الفصل الأول

الإبدال وأثره فى اللهجات

تعريفه: فى اللغة مصدر أبدلت كذا من كذا إذا أقمته مقامه[1] والأصل فيه: جعل شيء مكان شيء آخر[2].

وفى الاصطلاح: جعل حرف مكان آخر مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة[3]. وينظر إليه اللغويون على أنه جعل حرف مكان آخر أو حركة مكان أخرى.

والإبدال نوعان:

١- مطرد عند جميع العرب وهذا إذا استوفى شرطه وجب تنفيذه وهو الخاص بحروف (هدأت موطيا) وقد تكفل علم الصرف بدراسته.

٢- الإبدال غير المطرد، وهو الذى لا يخضع لشرائط خاصة بحيث إذا لم ينفذ عد مخالفة مرتكبا سبيل الشذوذ وهذا لا يكون عند العرب جميعا ولكن يتنوع بين القبائل[4] فقبيلة تقول أن وأخرى عن وهذا هو الذى تتنوع عن طريقه اللهجات العربية ويمكن الانتفاع به فى دراستها كما يمكن الربط بين الألفاظ المتشابهة فى

---

(١) شرح التصريح ٢/ ٣٦٦ ولسان العرب ١٣/ ٥٠، ٥١.

(٢) اللسان ١٣/ ٥٠.

(٣) فى كتب التصريف تفريق بين الإبدال والتعويض والقلب وبيان للنسبة بينها فهى تعرف الإبدال بأنه: جعل حرف مكان آخر مطلقا والتعويض بأنه جعل حرف خلفا عن حرف آخر أو أكثر سواء كان المعوض فى غير مكان المعوض منه مثل عدة وابن أو فى مكانه نحو اصطبر ومخيريج فى تصغير مستخرج، فكل إبدال تعويض ولا عكس، والقلب هو: جعل حرف من حروف العلة والهمزة مكان حرف منها مثل قام وقائم فكل قلب إبدال ولا عكس، وقد خرج التعويض عن تعريف الإبدال بقيد المكان. وخرج القلب بقيد الإطلاق إذ هو يختص بكون المبدل فى مكان المبدل منه ولا يختص بحروف العلة، ومن راعى الاختصاص جعل بينها التباين، انظر الأشمونى مع الصبان ٤/ ٢٧٩، ٢٨٠ والتصريح ٢/ ٣٦٦ والخصائص ١/ ٤٦٥، ٢٦٦ والأشباه والنظائر ١/ ١٢٣- ١٢٥ ومقدمة الإبدال لأبى الطيب اللغوى ١/ ٩.

(٤) فقه اللغة د. نجا ص٢٦، ٢٧ واللهجات العربية ص٥٥.

اللغات السامية[1] فالعربية والسـريانية والعبرية وغيرها من أخـواتها ترجع إلى لغة واحدة هى السامية الأم إلا أنها اختلفت لاخـتلاف البيئات والأحوال وأحيانا يكون هذا الإبدال قياسيا، فـالثاء فى العربية تقابلها الشين فى العبـرية والتاء فى السريانية فـ(يثب) العربية يقابلها (Yashav) العبرية و(Yateb) السريانية وأمـثلة هذا التبادل كثيرة فى الأخوات الساميات[2].

كما يمكن الربط عن طريق الإبدال بين اللغات الإنسـانية بعضها وبعض بكشف أوجه التشابه والاختلاف فى الأصوات كما فى (Cable) الإنجليزية و(كبل) و(حبل) فى العربية ويترتب عليه انتقال الكلمات من لغة إلى أخرى وهذا يكشف عن تفرع اللغات الإنسانية من أصل واحد ويمكن إجـراء مثل هذا النوع من البحوث الإبدالية بين العربية واللغـات الأخرى وتحديد الأصل فى هذه اللغات والمنقـول وهى عملية مطروحة للبحث والدراسة لكنها تحتاج إلى حيـدة علمية ودلائل موضوعية لإثبات الأصالة والفرعية فى اللغات ولعلنا نستطيع ـ إن شاء الله ـ أن نقوم بنوع من هذه البحوث فى دراسة مـقارنة بين العربية وغيرهـا لنضع الحقيقة الناصعـة أمام العيون بسبق العربية لسواها من اللغات الأخرى وإثبـات قدمها الراسخة فى وضع الألفاظ والدلالات اللغوية.

لهذا وغيره من المزايا كانت تلك الظاهرة مثار البحث بين علماء اللغة.

****

(١) فقه اللغة للدكتور محمد المبارك ص٥٠.

(٢) الفلسفة النغوية لجورجى زيدان ص٣٦، ٣٧ وفيه أمثلة للإبدال فى العبرية والآشورية.

آراء العلماء فى الإبدال

لما كانت ظاهـرة الإبدال تمثل قدرا كبـيرا فى تفـسير مـا قيل إنه من اللهـجات العربية أرى من الضـرورة العلمية ذكر آراء العلماء فى قضـية الإبدال، وما حكموا فيه بتطور الألفاظ بعضها عن بعض أو مـا نشأ منها عن طريق اختلاف اللهجات، وأسباب هذا الحكم أو ذاك.

وقد أولى ابن جنى هذه الظاهرة عناية فـائقة فى بعض كتبـه، ونسب إليه رأى أصبح شائعا فى أوساط اللغويين ممثـلا للرأى القديم عند علماء اللغة العرب، ولذا كان علينا أن نورد رأيه مدعما بأدلته، ونبين من تابعه عليه من القدامى والمحدثين، ثم نذكر علاجا حديثا لهذه المشكلة اللغوية ليتضح تفرع الألفاظ العربية المختلفة فى بـعض الحروف وطـرق نشأتها، هـل حـدثـت بطريق الإبدال والتطور الـصـوتى أو المعنوى أو نشأت عن لهجات متـعددة لا صلة لإحداها بالأخرى؟ وبهذا نكشف نوع الصلة بين بعضها وبعض، ونضع أساسا صالحـا للتفسير اللغوى الذى نرتضيه فيما حدث من اختلاف لفظى أو معنوى بين القبائل فيما يمكن تفسيره على أنه من الإبدال أو اختلاف اللهجات.

رأى ابن جنى:

إن ابن جنى قد عـرض للإبدال كظاهرة لغوية لها أهميـتها فخـصص لها قدرا كبيراً من مؤلفاته ـ كما ذكـرنا ـ ويكفينا دلالة على هذا الاهتمام قوله فى اعتزامه أن يشرح كـتاب يعقوب بن الـسكيت فى القلب والإبدال «ونحن نعتقـد إن أصبنا فسـحة أن نشرح كـتاب يعقوب بن الـسكيت فى القلب والإبدال فإن معـرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمـثال لغته وذلك أن مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس[1].

ورأى ابن جنى يتلخص فى أنه نظر إلى كل كلمـتين اتحدتا فى جمـيع الحروف إلا حرفا واحـدا واتحدتا فى المعنى على أنهمـا تارة يكونان من الإبدال وأخرى من

(١) الخصائص ٢/ ٨٨.

اختلاف اللغات (اللهجات) وقد وضع مقياسا للحكم على الكلمتين متى تكونان من قبيل الإبدال ومتى تكونان من اختلاف اللهجات؟

«فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصلين كل واحد منهما قائم برأسه لم يسغ العدول عن الحكم بذلك فإن دل دال أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عمل بموجب الدلالة وصير إلى مقتضى الصنعة»[1]، وقد تبين من كلامه العديد فى سر الصناعة والخصائص أن مقياسه هو أن اللفظين إذا تساويا فى الاستعمال والتصرف «فلست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منه بحمله على ضده» وعلى هذا فكل لفظة لغة لقوم بأعيانهم يقول فى سر الصناعة: علث الطعام - وغلثه والنشوع والنشوغ لغات كلها لاستوائها فى الاطراد والاستعمال[2] ويقول فى الخصائص «هتلت السماء وهتنت هما أصلان ألا تراهما متساويين فى التصرف يقولون هتنت السماء تهتن تهتانا وهتلت تهتل تهتالا وهى سحائب هتّن وهتّل[3] ويقول فى موضع آخر: «فأما قولهم إناء قربان وكربان إذا دنا أن يمتلئ فينبغى أن يكونا أصلين لأنك تجد لكل واحدة منهما متصرفا أى قارب أن يمتلئ وكرب أن يمتلئ»[4] فمن النصوص السابقة نفهم وجهة نظره فيما إذا تساوت الكلمتان فى

---

(١) الخصائص ٢/ ٨٢.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤٧، ٢٤٨، علث وغلث الطعام: خلطه، والمادتان مذكورتان فى المعاجم (اللسان ٢/ ٤٧٤، ٤٧٨) ولعل إحداهما ناشئة عن الأخرى بطريق التصحيف، ومادة (نشع) - بالعين - فى المعاجم دون الغين، والنشوع هو السعوط والوجور الذى يوجره المريض أو الصبى والسعوط فى الأنف والوجور فى الفم، ويقال: نشع الطيب: شمه (اللسان: ١٠/ ٢٣٢).

(٣) ٢/ ٨٢ بتشديد التاء المفتوحة فى هتّن وهتّل وتتفق اللام والنون فى المخرج وهو طرف اللسان مع اللثة العليا وبينهما الراء وتتفقان فى جميع الصفات وهذا يسوغ التبادل بينهما وقد جزم ابن جنى بأنهما أصلان يعنى أنهما فى لهجتين مختلفتين وليسا من الإبدال وقد ورد فى كتب اللغة ما يؤيد أنهما لهجتان ونسبت الكلمات التى باللام إلى أهل الحجاز وتميم وقيس وكثير من أهل نجد، ونسبت الكلمات التى بالنون إلى بنى سعد من مضر وبعض كلب (البحر ١/ ٣١٨ والتهذيب ١٥/ ٣٩٤ والقلب والإبدال ٢٨٧).

(٤) ٢/ ٨٦ ولا مانع من التبادل بين القاف والكاف لأنهما من مخرج واحد وهو أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويتفقان فى الانفتاح والإصمات والهمس - على رأى المحدثين فى القاف - ويمكن نسبتهما إلى اللهجات أيضا، ولعل القاف مناسبة للقبائل البدوية لأنها من الأصوات المستعلية والكاف للقبائل الحضرية لاستفال الكاف ورقتها.

التصـرف والاستـعمال وهى أن تـكون كل منهما لغـة (لهجـة)، أما إذا لم تتـساو الكلمتان تصرفا واستـعمالا بأن كانت إحداهما أكثر تصرفا أو أدور استـعمالا فإنهما حينئذ من قبيل الإبدال وتكون الكلمة الكثيـرة التصرف أو الاستعمال هى الأصل[1] والقليلة هى الفـرع[2] وهذا يتـضح لنا أيضـا من كـلام ابن جنى نفسـه يقـول فى الخصائص: «رجل خامل وخامن النون فيه بدل من اللام ألا ترى أنه أكثر وأن الفعل عليه تصرف وذلك قولهم خمل يخمل خمولا وكذلك قولهم قام زيد فُمّ عمرو الفاء بدل من الثاء فى ثم ألا ترى أنه أكثر اسـتعمالا»[3] ويقول فى سر الـصناعة: «وأما قولـهم فى الدرع نثرة ونثلة فـينبغى أن يكـون الراء بدلا من اللام لقولهم نثل علـيه درعه ولم يقولوا نثرها فـاللام أعم تصرفا فهى الأصل»[4] ويقول فى موضع آخر: «يقال تركـته وقيذا أو وقـيظا والوجه عندى والقـياس أن تكون الظاء بدلا من الذال لقوله عـز اسمه ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ [المائدة: ٣] بالذال ولقولهم وقـذة يقذه ولم أسمع وقظه ولا موقوظة فالذال إذًا أعم تصرفا فلذلك قضينا بأنها هى الأصل»[5].

ويمكن بعد هذا أن نقـول إن رأى ابن جنى هو: الكلمتان المتحـدتان فى جميع الحروف ما عدا حرفا واحدا يكونان.

---

(١) المبدل منه. (٢) المبدل.

(٣) ٢/ ٨٤ ولا مانع من التبادل بينهما لتوافر العلاقة الصوتية فهما شفويان ومتفقان فى جميع الصفات ما عدا الذلاقة للفاء والإصـمات للثاء، ويجوز أن تكون كل منهما أصـلا دون النظر إلى حكم ابن جنى بأصالة الثاء لكثرة التصرف، ومن الجائز نسبتهما إلى اللهجات على أن تكون الفاء للحجاز والثاء لتميم.

(٤) ١/ ٢٠٦ ومعـانى المادتين متقـاربة، فهمـا تدوران حول التفـريق ونقل الشىء من مكان إلى غيـره، ونثر معروفـة فى التفريق ونثل: منها نثـل الركية أخرج ترابها، ونثل كـنانته: أخرج ما فيـها من النبل، ونثل اللحم فى القدر وضعـه فيه مقطعا، ومقيـاس التصرف ليس هو الأساس المطرد لمعرفـة الأصل فيجوز أن يكون كل من الراء أو اللام أصـلا أو أن اللام نشـأت لثغـة عن الراء أو كل منهـمـا أصل فى لهجـتين مختلفتين والراء لتميم واللام للحجاز (التهذيب ٢/ ٣٨٢، ٨/ ٩١، ١٢/ ٣٥٥، ١٣/ ١٥٨، ٢٥٧).

(٥) ١/ ٢٣٣ والتبـادل سائغ بينهمـا لاتفاقهـما فى المخرج والصـفات ما عـدا الاستعـلاء والإطباق فى الظاء والاستفـال والانفتاح فى الذال، وحكم ابن جنى بكثرة تصـرف الكلمة بالذال غير سـديد لكثرة تصرف الكلمة بالظاء أيضا كما ورد فى المعاجم (القاموس ٢/ ٤٠٠) واللائق بالأمر أن تكون الظاء فى بيئة بدوية تميل إلى التفـخيم والأصوات المسـتعلية المطبـقة، وأن تكون الذال من خصـائص بيئة حـضرية تميل إلى الترقيق والأصوات المستفلة المنفتحة.

١- **من الإبدال:** إذا أمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى وذلك - كما نقلنا عنه - إذا كانت إحدى الكلمتين أكثر تصرفا أو استعمالا من صاحبتها، وهذا يمكن حدوثه عند قبيلة واحدة أو عند العرب جميعا.

٢- **من اختلاف اللهجات:** إذا لم يمكن الحكم بأصالة إحدى الكلمتين وفرعية الأخرى، وذلك بأن تتساوى الكلمتان تصرفا واستعمالا ويكون عنده قبائل متعددة.

وهذا الحكم المبنى على الشيوع وكثرة التصرف قد تعرض لنقد بعضهم علماء اللغة فوجهته - عندهم - غير صالحة لأن تكون مقياسا علميا سديدا وحددوا وجوه الضعف فى نقاط نجملها فيما يلى:

١- مقياس التصرف لا ينبغى أن يعول عليه لجواز الاستغناء عن تصرفات الكلمة القليلة التصرف بتصرفات كلمة أخرى أو أن الكلمة متصرفة ولم يصل إليها الرواة «وعلى هذا فعدم الاشتقاق فى الظاهر لا يصح أن يكون مقياسا معولا عليه فى الحكم بالفرعية لما سبق».

٢- كثرة الاستعمال الذى يعتبره أصحاب هذا الرأى مقياسا للأصالة والفرعية لا يسير وفق أمر مطرد حتى يتخذ مقياسا لهذا الأمر فالكلمة قد تنتشر فى عصر وتهمل فى غيره مما يجعل الكلمة معرضة للأصالة والفرعية «وهذا ما يجعل ذلك الأساس غير مستساغ»[١].

على أنهم لاحظوا أن ابن جنى نفسه قد أحس بضعف هذا المقياس فى قرارة نفسه وظهر فى تطبيقه له بما يؤكد تشككه فى صلاحيته، يقول فى سر الصناعة: وقالوا خطر بيده يخطر وغطر يغطر فالغين كأنها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلة الغين وقد يجوز أن يكونا أصلين إلا أن أحدهما أقل من صاحبه[٢]، ويقول فى

---

(١) اللهجات العربية. د. نجا ص٥٧ وفقه اللغة له ٤/ ٢٩.

(٢) ١/ ٢٤٧، ظاهر أن العلاقة الصوتية تسوغ التبادل بين الخاء والغين فكلاهما من حروف الحلق من أدناه وتتفقان فى الرخاوة والاستعلاء، ويبدو أن الاختلاف - هنا - اتجه إلى اختلاف اللهجات، والغين للبدو لميلهم إلى الحروف المجهورة والخاء للحضر لميلهم إلى المهموس وهو المشهور فى كتب اللغة.

الخصائص: «فأما قولهم ما قام زيد بل عمرو وبن عمرو فالنون بدل من اللام ألا ترى إلى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بن) والحكم على الأكثر لا على الأقل هذا هو الظاهر من أمره ولست مع هذا أدفع أن يكون (بن) لغة قائمة برأسها[1].

وقد أوضح أستاذنا الدكتور نجا[2] أن ابن جنى ومن تابعه قد تخلوا عن التزام هذا المقياس فيما ورد عنهم مما يجعلنا لا نوقن بالتزامه وحكى عن ابن جنى قوله فى سر الصناعة: «وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم فى بعض اللغات فقد قالوا اجدمعوا فى اجتمعوا واجدزّ فى اجتزّ ومنه قول المشاعر:

فقلت لصاحبى لا تحبسانا ينزع أصوله واجدزّ شيحا

ولكننا عندما ننظر فيما كتبه ابن جنى عن الابدال نجده يستعمل مقياسه فى بيان الأصل والفرع وأجراه تطبيقا على كثير من الألفاظ التى يصدق عليها، فلعله يعده غالبًا وكثيرًا وقد يتخلف أحيانًا، وهذا الحكم الذى اعتمده ابن جنى اعتمده - أيضًا - علم اللغة الحديث وهو الذى قامت على أساسه الدراسات اللغوية وقوانين اللغة العربية.

ويشترط ابن جنى لتطبيق رأيه السابق تطبيقا صحيحا أن يكون الحرفان المختلفان فى الكلمتين متقاربى المخارج ويقوى ذلك بالتماثل أو التقارب فى بعض الصفات أيضا.

ويمكن إدراك هذه الحقيقة فى مواضع كثيرة من أهم مؤلفاته التى أشرنا إليها ومن ذلك قوله: «القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها وذلك الدال والطاء والتاء والذال والظاء والثاء والهاء والهمزة والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه[3] وقوله فى موضع آخر: ونحو من هذا التقريب فى الصوت قولهم فى سبقت صبقت وفى سقت صقت وفى سلق صلق وفى سويق صويق وذلك أن

(١) ٢/ ٨٤.

(٢) اللهجات العربية ص ٥٨ وفقه اللغة العربية ص ٢٩ وسر الصناعة (باب الدال) ١/ ٢٠١.

(٣) سر الصناعة ١/ ١٩٧.

القاف حرف مستعل والسين غير مستعل إلا أنها أخت الصاد المستعلية فقربوا السين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السين وهو الصاد[1]، وكثيرا ما عبر ابن جنى فى الإبدال بأن هذا الحرف أخ لهذا الحرف فالراء أخت اللام والباء أخت الميم والزاى أخت الصاد وهكذا[2]، وهذا الشرط أساسى لتحقق الإبدال ولذلك رأيناه لا يذكر فى كتبه شيئا مما لم يتحقق فيه هذا الشرط مما تباعدت مخارجه مثل خلع وجلع: ذهب حياؤه[3] والزحاليف والزحاليق وفى صدره علىّ حسيفة وحسيكة[4] ولم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط فى أى مثال من أمثلته على هذه الظاهرة اللغوية[5]، وربما أضاف إليها مقويا لها اشتراكها فى بعض الصفات كما قال عن إبدال التاء من السين فى النات وأكيات يريد الناس وأكياس: «فأبدلت السين تا لموافقتها إياها فى الهمس والزيادة وتجاور المخارج»[6] ويقول فى موضع آخر- معللا لقلب الثاء تاء فى افتعل من الثريد-: «وإنما قلبت

---

(١) المصدر السابق ٢٠١ ولا مانع من التبادل بين السين والصاد لأنهما من مخرج واحد هو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى بجانب اشتراكهما فى الهمس ومع ذلك فاحتمال اللهجات أمر قائم، وتتأثر السين بأصوات الإطباق فتقلب إليها ونسبت هذه الظاهرة إلى قريش، ويقول أبو حيان: إنه اللغة الجيدة (البحر ١/ ٢٥) ولعل هذه الظاهرة أن تنسب إلى أهل البادية أجدر فصوت الإطباق فيه من الوضوح ما يتناسب مع البيئة الصحراوية (اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص١٥٠) وقد نسب ذلك إلى قوم من تميم هم بلعنبر أو إلى قوم من اليمن (الجمهرة ٢/ ١٥٤، ١٦٢) وربما كانت الصاد متطورة عن السين فى لهجة البدو (الكتاب: باب ما تقلب فيه السين صادا فى بعض اللغات ٤/ ٤٧٩، وسر الصناعة ١/ ٢٢٠).

(٢) الخصائص من ص١٤٧ إلى ص١٥٢ ج٢.

(٣) اللسان ٩/ ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٣٠ والعلاقة الصوتية بعيدة مع الربط بينهما لملابسة ما وربما دخل ذلك التصحيف (من أسرار اللغة ص٥٢).

(٤) المزهر ١/ ٢٦٨ والزحاليف أو الزحاليق آثار تزلج الصبيان من أعلى إلى أسفل، وفى اللسان ١٠/ ٣٩٢: الحسيفة والحسيكة: الغيظ والعداوة والعلاقة متباعدة بين الفاء والكاف ولذا فهما من اللهجات، فالصوت الشديد للقبائل البدوية والرخو للحجازية.

(٥) لم يتنازل ابن جنى عن هذا الشرط بمعنى البعد البعيد كالأمثلة المذكورة وإلا فإنه قال بإبدال السين من الشين فى مثل سده وشده وهما متباعدان مخرجا، ويظهر أن ابن جنى يلاحظ هذا التباعد بين السين والشين فيشك فى الإبدال بينهما، ولذلك لم يصرح فى باب السين بأنها تبدل من غيرها، وقال: ينبغى أن تكون السين بدلا منها بأسلوب التضعيف كما نرى، ولم يلتزم ذلك كثير ممن رووا ألفاظ هذه الظاهرة من القدماء كأبى الطيب اللغوى. انظر كتابه الإبدال جـ١ صحائف ٢٠٥ - ٢٥٢ ومقدمة محققه ص١٠، ١١.

(٦) سر الصناعة ١/ ١٧٢.

تاء لأن الثاء أخت التاء فى الهمس فلما تجاورتا فى المخارج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وأدغموها فى التاء بعدها ليكون الصوت نوعا واحدا»[1] ويبدو من ذلك أن ابن جنى يقصد بتقارب المخارج اتحادها أو تجاورها.

ويتصل بتمام رأى ابن جنى فى هذا الموضوع أن تكون الكلمتان متحدتى المعنى والاشتقاق وإلا فإذا كان المعنى مختلفا أو كان الاشتقاق مختلفا ولكنه أدى إلى تركيب اشتبه فيه ظاهر اللفظين فلا يعتبر هذا من الإبدال كما صرح ابن جنى فى مواضع كثيرة فمن الأول ما ذكره عن كلمتى (ثوم وفوم) قال: «وذهب بعض أهل التفسير فى قوله عز اسمه ﴿وَفُومِهَا﴾ [البقرة: ٦١] إلى أنه أراد الثوم فالفاء على هذا بدل عنده من الثاء والصواب عندنا أن الفوم الحنطة وما يختبز من الحبوب يقال فومت الخبز أى خبزته وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء»[2]، ومن الثانى ما ذكره عن كلمتى (حثحثوا وحثثوا) فى التعليق على قول الشاعر:

كأنما حثحثوا حصا قوادمه أو أم خشف بذى شث وطباق

قال: «فأما الحاء فبعيدة من الثاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها وينقل عن أبى علىّ أستاذه قوله: وإنما حثحث أصل رباعى وحثث أصل

(١) المصدر السابق ١/ ١٨٩، وذلك مثل قولهم: اترد وهو مترد وجاء عكس ذلك يقلب التاء ثاء: اثرد ومثرد واثأر واثنى.

ونرى أن إبدالهما أمر مستقيم لقرب مخرجيهما إذ التاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا والثاء من طرفه إلا أنه يحتك ويتصل بأطراف الثنايا العليا نفسها فالفرق طفيف جدا والحرفان يتفقان فى صفات كثيرة وهى الهمس والاستفال والانفتاح والإصمات والثاء حرف يحتاج إلى مجهود عضلى فى نطقه مما دعا إلى تسهيله والنطق بالتاء سهل سريع مما جعله يتناسب مع أهل البادية الذين يميلون إلى الأصوات الشديدة، على حين يميل الحضر إلى الأصوات الرخوة، (فى اللهجات العربية د. أنيس ص١٠٠- ١٠٧) وربما وقع التصحيف بينهما مثل فى لسانه رثة والصواب بالتاء ولث السويق والصواب بالتاء، ويحيى ابن أكتم وهى بالثاء (تثقيف اللسان ٤٨- ٥٣ باب التصحيف إلى ص٧٣).

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٥٢، ولا مانع - كما ذكرنا - من وقوع التبادل بين الثاء والفاء للتقارب فى المخارج والاتفاق فى بعض الصفات،ولكن اختلاف معنى اللفظين يؤكد عدم الإبدال كما ذهب إليه ابن جنى ووجد فى معاجم اللغة ففيها: الفوم: الزرع أو الحنطة وأزد السراة يسمون السنبل فوما وقال بعضهم: الفوم الحمص لغة شامية والفوم الخبز أيضا يقال: فوموا لنا أى اخبزوا وينقل ابن منظور عن الفراء أن الفوم لغة قديمة وهى الحنطة والخبز معا. (اللسان ١٥/ ٣٥٧).

ثلاثى وليس واحد منهما من لفظ صاحبه إلا أن حثحث من مضاعف الأربعة وحثث من مضاعف الثلاثة فلما تضارعا بالتضعيف الذى فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما، ثم يقول: وهذا هو حقيقة مذهبنا ـ وإذا قامت الدلالة على أن حثحث ليس من لفظ حثث فالقول فى هذا وفى جميع ما جاء منه واحد وذلك نحو تململ وتملل ورقرق ورقق وصرصر وصرر[1].

موقف العلماء من هذا الرأى:

ونحن إذا استعرضنا آراء العلماء من قدامى ومحدثين فى حل هذه المشكلة اللغوية فإننا نجد من سار على درب ابن جنى كما نجد فى الوقت نفسه من خالفه وربما كانت الموافقة له أو المخالفة فى جانب من الموضوع وهذا يقتضينا أن نناقش أهم هذه الآراء لنقف على مدى الموافقة أو المخالفة فقد وافق ابن جنى فى رأيه السابق بجوانبه المختلفة ابن سيده وابن يعيش[2] وإن كان يبدو لنا من حديث ابن سيده عن الإبدال نوع من عدم الدقة، ومما يؤيد وجهة نظر ابن جنى قول ابن سيده: وأذكر الآن شيئا من المعاقبة وأرى كيف تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير علة (عند القبيلة الواحدة من العرب) وإما لافتراق القبيلتين فى لغتين فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعلة فلا حاجة إلى ذكره فى هذا الكتاب لأنه قانون من قوانين التصريف[3] ويشترط ابن سيده توافر التقارب بين الحروف حتى يصح الإبدال فهو يقول: فأما ما لم يتقارب مخرجا ألبتة فقيل على حرفين غير مقاربين فلا يسمى بدلا[4].

وابن سيده كابن جنى يرى أنه لابد من اتحاد المعنى فى اللفظين حتى يمكن عدهما من باب الإبدال ولابد أن يكون المعنى حقيقيا لا تجوز فيه فبعض العرب

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٩٧، ١٩٨، واضح أن ابن جنى لم يقل بالإبدال لبعد المخارج وإن اتفقت الثاء والحاء فى الصفات، وهى الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات ونحن مع ابن جنى فيما ذهب إليه إذ لابد أن تكون المخارج متقاربة للحكم بالإبدال ولابد كذلك أن تكون الكلمتان متحدتين معنى واشتقاقا.

(٢) اللهجات العربية د. نجا ص ٥٦ وفقه اللغة العربية ٤/ ٢٧.

(٣) المخصص ١٤/ ١٩.

(٤) المصدر السابق ١٢/ ٢٧٤.

يقـول: جمس الودك وجـمـد الماء ولا يقال جـمس الماء ولا جـمد الودك وكـان الأصمعى يخطئ ذا الرمة فى قوله:

ونقرى سديف الشحم والماء جامس[1]

وعلى هذا فإذا قـال بعضهم جـمس الودك وجمد فليس هذا بدلا إذ مع تبـاعد مخـرج السين والدال فى اللفظين لا يمكن الجمع بين معنـييهمـا إلا على ضرب من المجاز[2]، وفكرة الأصالة والفرعية غير واضـحة عنده ولهذا رأيناه يعقد فى الفصل الواحد أبوابا مـختلفة فمنه البـدل ومنه ما يجرى مجرى الـبدل وباب الحرف الذى يضارع به حرف من موضعه والحرف الذى يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه وباب ما يجىء مقولا بحرفين وليس بدلا وباب المحول من المضاعف[3] وابن يعيش ينقل فى شرح المفصل كـلام ابن جنى وأمثلته وينبه على تقارب المخـارج والصفات بين المتبادلين ويحكم بالأصالة والفرعية تبعا لكثرة التصرف والاستعمال على حسب مـا عـرفناه عن ابن جنى[4] ومن ذلك مـا قاله فى إبدال الـطاء من التاء فى نحـو اصطبر وفحصت برجلى قال: فأبدلوا من التاء طاء لأنهما من مخرج واحد[5] وقال عن إبدال الهاء من الهمزة إنهم «أبدلوها منها إبدالا صالحـا على سبيل التخفيف إذ الهمزة حرف شديد مسـتفل والهاء حرف مهموس خفيف فمخـرجاهما متقاربان إلا أن الهـمزة أدخل منهـا فى الحلق قـالوا: هرقت الماء أى أرقتـه... إلخ[6] وقال:

(١) السـديف: السنام المقطع وقيل شـحمه. الودك: الدسم وجمس وجمد بمعنى واحـد وقيل الجموس للودك والجمـود للماء والجـامس من النبات مـا ذهبت غضـوضتـه ورطوبته فـولى وجسا. الـلسان ٧/ ٣٤١، ٣٤٢, ١١/ ١٧، ٤٨، ١٢/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) المخصص ١٢/ ٢٨٧. (٣) المصدر السابق ١٣/ ٢٦٧- ٢٩٠.

(٤) انظر شرح المفصل ١٠/ ٧ وما بعدها.

(٥) المصدر السابق ٤٦، ٤٧. للتاء والطاء والدال علاقة صوتية تسوغ التبادل بينها فالمخرج واحد وقد يقتضى تجاور التاء مع حـروف الإطباق إبدال التاء طاء لمناسبتـها فى الاستعلاء والإطبـاق مع أنها أخت التاء فى المخرج وفحصط - بالطاء - تنسب إلى تميم الذين يفضلون الصوت المستعلى المطبق، فى حين تنسب التاء إلى الحجازيين الذين يفضلون الصوت المستفل المهموس

(٦) المصدر السابق ٤٢، لا مانع من حدوث التبادل بين الهمـزة والهاء لتدانى المخارج فهما من حروف الحلق ويتفـقان فى صـفات الاسـتفـال والانفتـاح والإصمـات ويمكن أن تكون بعض العرب نطقت بـإحداها والآخرون بالثانية ونسبت بعض الكلمات بالهاء إلى طيئ (اللهجات العربية ص ٦٥، ٦٦).

«قالوا: مازلت راتما على هذا الأمر أى راتبا حكى ذلك عن أبى عمرو بن العلاء فالميم بدل من الباء لكثرة الباء وتصرفها ألا تراك تقول: رتب يرتب فهو راتب أي ثابت ولا تقول: رتم يرتم فى هذا المعنى فكانت الباء هى الأصل وقالوا: رأيته من كثم وكثب أى من قرب حكى ذلك يعقوب فالباء ينبغى أن تكون أصلا والميم بدلا منها لعموم تصرف الكثب وأنه يقال: قد أكثب لك الأمر ورماه من كثب أى من قرب[1].

وكثير من المحدثين لم يزيدوا على ما قاله ابن جنى شيئا وإن اختلفوا معه عرضا وأسلوبا فيرى بعضهم ـ كما يرى ابن جنى ـ تقسيم الألفاظ التى تحمل اسم هذه الظاهرة فسمين.

١- فبعضها من الإبدال: إذا كانت هناك علاقة صوتية.

٢- وبعضها من غيره إذا لم توجد هذه العلاقة «وأغلب الظن حينئذ أن الصورتين تنتميان إلى منبعين مختلفين وأن كلا منهما أصيل فى ذاته وليس مثل هذه الكلمات إلا مثل كل المترادفات»[2].

يقول الدكتور أنيس «حين نستعرض تلك الكلمات التى فسرت على أنها من الإبدال حينا أو من تباين اللهجات حينا آخر لا نشك لحظة فى أنها جميعا نتيجة التطور الصوتى أى أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفا من حروفها نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هى الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها غير

(١) المصدر السابق ١/٣٥، وانظر سر الصناعة (مخطوطة الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ٨١ فقد نقل كلام ابن جنى مع تغيير قليل، والرأى الذى قاله ابن يعيش هو رأى ابن جنى وهو إجازة الإبدال بين الباء والميم والباء هى الأصل لكثرة تصرفها فى المثالين، وأجاز ابن جنى كون كل منهما أصلا مستقلا عن الآخر قال: (ويحتمل الميم فى هذا عندى أن يكون أصلا غير بدل) لتصرفات أخرى ذكرها هناك، والباحث فى المعاجم يرى لكل من (رتب ورتم) معانى خاصة بها مع اتفاقهما فى الدلالة على معنى الإقامة والثبوت حقيقة أو مجازا، وكذلك (أكثب وأكثم) تشتركان فى معنى القرب الذى يجمع بينهما وليست الباء أكثر تصرفا من الميم كما ذكر ابن جنى، وعلى هذا يجوز أن تكون كل من الباء والميم بدلا من الأخرى أو أن كلا منهما مستقل عن الآخر خاص بقوم دون قوم لاختلاف مادة الاشتقاق.

(٢) من أسرار اللغة ط٣ ص٥٩.

أنه فى كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه»[1] والعلاقة الصوتية التى أرادها الدكتور أنيس هى القرب فى المخرج أو الصفة إذ إنه «شرط أساسى فى كل تطور صوتى[2]، ويقول الدكتور صبحى الصالح عقب نقله رأى الدكتور أنيس السابق «ورأى المحدثين - على جراءته - أسلم اتجاها وأصح نتيجة من رأى تلك الطائفة من المتقدمين الذين ذهبوا إلى إكثار العرب من الإبدال كأنه سنة أو عادة وكأن النطقين المختلفين عندهم متساويان يوضع أحدهما مكان الآخر وكأنهم يعتمدون هذا الإبدال إعجابا به وتفننا فيه»[3]، ولكن الدكتور الصالح يعتمد فى العلاقة الصوتية المخرج لا الصفة فهو يقول «فقد لوحظ فيها الأمر الأهم وهو اتفاق المخرج أما اختلاف الصفة فليس بذى بال لأن المعول فى معرفة نوع الصوت ودرجة إيقاعه على العضو الذى خرج منه من بين أعضاء جهاز النطق وليس على الطريقة أو الكيفية التى تم بها انطلاق هذا الصوت فالدال والتاء حرفان نطعيان كلاهما يخرج من سقف غار الحنك الأعلى المسمى بـ«النطع» فهما إذًا متجانسان وعلى هذا المعول فلا ضير بعد هذا أن توصف الحاء بالإطباق والاستعلاء وهما صفتان قويتان على حين توصف الدال بالصفتين المضادتين الضعيفتين الانفتاح والاستفال[4] وقد صرح الدكتور شاهين بأنه (لا يكون الإبدال إبدالا حقا إلا إذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صوتية كقرب المخرج أو الاشتراك فى بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس والشدة والرخاوة)[5].

وقد قسم الدكتور أنيس الكلمات التى توجد بينها علاقة صوتية أقساما ثلاثة:

١- كلمات روى كل منها بنطقين ونسب كل نطق إلى بيئة معينة: فمتى أمكن معرفة الأصل والفرع حكمنا بذلك وبحثنا عن سر التطور الصوتى[6] وإذا لم يمكن «نستعين بالقوانين الصوتية وتطورها للحكم على أى الصورتين هو الأصل وأيهما هو الفرع ويكون حكمنا حينئذ مرجحا لا مؤكدا»[7].

---

(١) المصدر السابق ص٥٩.

(٢) المصدو السابق ط ٣ ص ٥٩.

(٣) دراسات فى فقه اللغة ص٢٣٩.

(٤) المصدر السابق ص٢٤٥.

(٥) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص٧٣.

(٦) من أسرار اللغة ط٣ ص٦٥.

(٧) المصدر السابق ص٦١.

٢- كلمات روى لكل منها نطقان ونسب أحد النطقين لبيئة معينة ولم ينسب النطق الآخر: نعتمد لمعرفة الأصل والفرع منهما على كثرة التصرف والاستعمال وورود النص القديم مشتملا على الصورة الشائعة يؤكد لنا الأصالة بين النطقين أما حين نفتقد النص فالأصالة عن طريق الشيوع مرجحة رجحانا كبيرا ولا يصح الرجوع عن هذا إلا إذا أبت قوانين تطور الأصوات مثل هذا الاعتبار[١].

٣- كلمات روت المعاجم لكل منها نطقين متساويين فى الفصاحة والشيوع ولا ينسب أحد النطقين لبيئة معينة: إذا أمكن معرفة الأصل من الفرع حكمنا بذلك وإلا اعتمد الكثير التصرف والاستعمال أصلا لصاحبه «فإذا ورد لأحد النطقين نص قديم اعتبرناه الأصل. . أما حين يرد كل من النطقين فى نصوص قديمة فكثرة الشواهد الخاصة بأحد النطقين ترجح فى الغالب أصالته»[٢].

فالدكتور أنيس يضع لمعرفة الأصل والفرع - بعد تحقق العلاقة الصوتية - مقياسا له جانبان:

١- معرفة المتقدم فى وجوده على الآخر فإذا وجد ما يدل على سبق أحدهما زمنا كان هو الأصل والثانى هو الفرع.

٢- إذا لم يعرف المتقدم من المتأخر فيحدد الأصل بكثرة شيوعه وتصرفه والفرع بضد ذلك.

وهذا لم يزد على رأى ابن جنى شيئا فقد جعل - مثله - معرفة الأصل من الفرع مرهونة بورود الدليل الذى يبين أسبقهما[٣] معتمدا على الشيوع وكثرة التصرف.

وقد تابعه أيضا فى اعتماد المقياس السابق الدكتور الصالح فهو يقول «ومقياسنا فيما ورد بوجهين لتمييز الأصل من الفرع هو كثرة الشواهد المتعلقة بأحد الوجهين فما أكثر الأمثلة على كثب والأقطار واللثام وما أقلها فى كثم والأقتار واللفام[٤].

(١) المصدر السابق ص٦٢.

(٢) المصدر السابق ص٦٣.

(٣) سر الصناعة ١/ ٢٢١.

(٤) دراسات فى فقه اللغة ص٢٧١.

فهـذا كله يؤكد أن الرأى الحـديث لا يختلف عن القديم إلا أسـلوبا فقط وهو يروى الحقيقة التالية:

اللفظان على الصورة المعروفة يكونان:

١- من الإبدال إذا وجد مسوغه وهو التقـارب الصوتى وهذا عـنـد قبيلة واحدة أو عند العرب جميعا أو أحد اللفظين فى قبيلة والآخر فى غيرها.

٢- من اخـتلاف اللهـجـات: إذا لم يتحـقق هذا التـقارب وشـأنها شـأن كل المترادفـات على أن الحكم الفـيصل ـ كـما قرروا ـ لمعـرفة الأصل من الـفرع هو الشيوع وكثرة التصرف.

وأعتقد بـعد هذا الإفصاح التام - أن ذلك هو رأى ابن جنى نفسـه مع اختلاف طفيف.

وكأن الدكتور أنيسا قد أحس بذلك حـين قال معبرا عن رأى ابن جنى «وأخيرا تعرض ابن جنى فى الفصل الرابع إلى أن بعض الكلمات قـد تختلف بنيتها وذلك بأن يستعمل أحد الحرفين المتقاربين مكان صاحبه ثم ضرب أمثلة لذلك مثل طبرزن وطيـرزل ودهمج ودهنج وخامـل وخامن وبنات مـخـر وبنات بخر، ومـثل هذه الكلمات يمكن أن تنتمى إلى لهجات متـعددة أو إلى لهجة واحدة ولكن فى جيلين مختلفين مـن أبنائها على أن ابن جنى لم يحدثنا فى هذا الفصل عـن معنى تقارب الصوتين ووجه الشبه بينهما من الناحية الصوتية[١].

ونقد الدكتور أنيس لابن جنى بأنه لم يوضح مـعنى تقارب الصوتين فى الفصل الذى ذكره غـير مسلم فـقد أوضح أنه هو تقـارب المخارج والصفـات فى مواضع كثيرة ذكرت بعضها عند بيان رأيه وتفصيلاته[٢].

ويرى فريق آخر من الـعلماء قدامى ومحدثين أن ألفـاظ هذه الظاهرة نشأت من اختلاف اللهجات.

---

(١) فى اللهجات العربية ط ٢ ص١٥٥.

(٢) انظر ١١٥ وما بعدها من هذا الكتاب.

وعلى رأس القدماء الذين قالوا بذلك أبو الطيب اللغوى فقد قال: ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هى لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان فى لغتين والمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا فى حرف واحد، قال والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى وكذلك إبدال لام التعريف ميما والهمزة المصدرة عينا كقولهم فى نحو أن: عن لا تشترك العرب فى شىء من ذلك إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون[1].

وقد أوضح لنا هذا الرأى أستاذنا الدكتور نجا فى كتابيه اللهجات العربية وفقه اللغة وقال بعد عرضه لرأى أبى الطيب ومناصريه: وهذا الرأى يفهمنا أن الإبدال لا يكون إلا من قبائل متعددة[2].

ويوافق أبا الطيب فى هذا الرأى من القدامى ابن السكيت وأبو محمد البطليوسى وابن خالويه وأبو علىّ القالى: فقد نقل السيوطى عن هؤلاء ما يؤكد ميلهم إلى هذا الرأى وأخذهم به.

فنقل من كتاب ابن السكيت أمثلة من بينها ما اتضح فيها رأيه وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللهجات يقول فى إبدال الهمزة من العين: والأسن قديد اللحم وبعضهم يقول العسن[3] ويقول بعد ذلك بقليل: وذأى البقل يذأى بلغة أهل الحجاز ولغة نجد ذوى يذوى[4] وكذلك قوله: الأثافى ولغة بنى تميم

(١) المزهر ١/ ٢٢٢.

(٢) اللهجات العربية ص٥٦ وفقه اللغة العربية ص٢٧.

(٣) المزهر ١/ ٢٢٢ وعبارة القاموس: الأسن بقية الشحم، والواقع أن الإبدال يكون من الهمزة إلى العين كثيرا لأن العين أسهل من الهمزة، والإبدال عادة يتجه نحو السهولة لا العكس، وإن كانت الشعوب تختلف فى إحساسها بالثقيل والخفيف من الحروف فالهمزة أخف فى النطق الإنجليزى من العين وعند العربى بالعكس، وربما أبدلت الهمزة من العين فى بعض اللهجات مثل يا أبد الله - فى عبد الله - فى لهجة مكة وهو قليل (سر الصناعة ١/ ١٢١).

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٢٢، لا توجد علاقة صوتية تسوغ التبادل والمسألة ترجع إلى اختلاف اللهجات بين الحجاز وتميم وكان الأصل أن الهمز للتميميين وأحرف العلة للحجازيين وأشباه كل من البدو والحضر ولكن النسبة هنا وردت بعكس ذلك وهذا مما يوضح عدم الاطراد فى الظواهر اللغوية (انظر إبدال الهمزة من حروف العلة والعكس فى هذا الكتاب).

الأثافى[1] ونقل عنه السيوطى فى خاتمة هذا الباب (الإبدال) وقال ابن السكيت: حضرنى أعرابيان من بنى كلاب فقال أحدهما إنفحة وقال الآخر منفحة ثم افترقا على أن يسألا جماعة أشياخ من بنى كلاب فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا وهما لغتان[2].

وأما أبو محمد البطليوسى فيقول فى شرح الفصيح: ليس الألف فى الأرقان ونحوه مبدلة من الباء ولكنهما لغتان ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحيانى قال: قلت لأعرابى أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه؟ فقال لا أقول مثل حلكه[3]، وقال أبو بكر بن دريد قال أبو حاتم قلت لأم الهيثم كيف تقولين أشد سوادا من ماذا؟ قالت من حلك الغراب قلت أفتقولينها من حنك الغراب قالت لا أقولها أبدا[3] وقد ذكر ابن خالويه فى شرح الفصيح ما يقرب من هذا قال: أخبرنا ابن دريد عن أبى حاتم عن الأصمعى قال: اختلف رجلان فى الصقر فقال أحدهما بالسين وقال الآخر بالصاد فتحاكما إلى أعرابى ثالث فقال أما أنا فأقوال الزقر بالزاى قال ابن خالويه: فدل على أنها ثلاث لغات[4]، ويؤكد لنا رأى القالى قوله فى أماليه: يقلل: هرت الثوب وهردة وهرطه ثلاث لغات[4].

(١) المصدر السابق١/ ٢٢٤، الأثافى والأثاثى: الحجارة التى تنصب ويوضع عليها القدر، وقد رجح ابن جنى أن تكون الثاء بدلا من الفاء لكثرة تصرف الفاء ولو مع بعد الاشتقاق إذ ورد أثفية ولم يرد أثية، ولكن ذكرت المعاجم تصرفات للكلمتين فيمكن أن تكون أثافى من (ثفا يثفو) تبع أو من (أثف الرجل) تبعه أو من (أثف القدر) وتشترك معها (أثاثى) فى ذلك الاشتقاق، ويمكن أن تكون (أثاثى) من (أث يئث ويؤث) إذا كثر والتف وفى هذا المعنى ثبات الشىء فى موضعه ويقال: تأثث الرجل المكان إذا لم يبرحه، وبهذا تختلف المادتان معنى واشتقاقا فلا إبدال بين الكلمتين، وربما أفاد هذا أن كلا منهما لهجة لطائفة من العرب فالفاء للحجاز والثاء لتميم.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٢١ إذ لا علاقة بين الهمزة والميم فلا إبدال.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٢٩.

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٢٩، ولا مانع من التبادل بين الزاى والسين والصاد لاتحاد المخرج وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى وتشترك فيما بينها فى الرخاوة والصفير والإصمات، ويجوز إرجاع هذا التبادل إلى اختلاف اللهجات وينسب اللغويون النطق بالزاى والصاد إلى القبائل البدوية كقبائل عذرة وكعب وبنى القين (البحر ١/ ٢٥) وأزد عمان وبنى العنبر، كما تنسب السين إلى الحجاز وهذا لأن الأصوات المجهورة والمستعلية تناسب البدو والمهموسة والمستفلة تناسب الحضر.
وبين الدال والتاء والطاء علاقة صوتية تسوغ التبادل ويمكن أن تعود إلى اللهجات على أن التاء للحضر والدال للبدو لمناسبة المهموس للحضر والمجهور للبدو والطاء تناسب البدو كذلك لاستعلائها وإطباقها.

وقد أيد هذا الرأى من المحدثين فريق من العلماء على رأسهم أستاذنا الدكتور إبراهيم نجا فهو يقول ـ بعد أن أفصح لنا عن آراء العلماء فى هذا الشأن وناقشها مناقشة علمية دقيقة -: «فالحق أحق أن يتبع وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللغات كما ذهب إلى ذلك أبو الطيب اللغوى[1] وممن ذهب إلى هذا الرأى من المحدثين الدكتور إبراهيم السامرائى يقول - بعد أن عرض آراء العلماء فى الإبدال -: وأريد أن أخلص من هذا العرض لأقوال الأقدمين والمحدثين فى هذه المشكلة إلى أن العربية قد اشتملت على لغات عدة هى لغات القبائل المختلفة وطبيعى أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة وعلى هذا فإن كثيرا مما حمل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات وعلى هذا فليس هناك إبدال بل هناك اختلاف بين المعربين فالذى يقول (صراط) لا يقولها بالسين سراط، والعكس حاصل أيضا[2].

ويقول قبل ذلك يقليل: أريد أن أقول: إن اللغة فطرة وبداهة فالذى يقول مدحه لا يمكن أن ينسرح لسانه فيقول مدهه والعكس صحيح أيضا[3]، وهذا يشرح رأيه بوضوح وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللهجات، ويعتبر هذه النظرة هى النظرة الصحيحة فيقول: وعلى هذا فلم نعدم أن نجد بين الأقدمين من نظر إلى هذه المشكلة النظر الصحيح فقد قال أبو الطيب اللغوى الحلبى: ليس المراد من الإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف وإنما هى لغات مختلفة[3]... إلخ ويضيف الدكتور السامرائى «إلى رأيه العلاقة الصوتية فلابد من التقارب بين الحروف المختلفة فى لهجات الناطقين من قبائل متعددة وإن لم تكن على طريق الإبدال، فقد نقل قول ابن السيد البطليوسى ـ مع شرحه ـ «إن الحرف الأضعف يقلب إلى الأقوى ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف».

ثم عقب عليه بقوله: وما ذكره ابن السيد صحيح فى كون تقارب المخرج هو الذى يؤدى إلى هذه المعاقبة[4].

---

(١) اللهجات العربية ٥٨ وفقه اللغة العربية ٤/ ٣٠.

(٢) التطور اللغوى التاريخى ص١١١.

(٣) المصدر السابق ص ١٠٨.

(٤) المصدر السابق ص١١٣.

ويرى هذا الرأى أيضا الدكتور على عبد الواحد وافى ويشترط أن يتقارب الصوتان فى المخرج أو يتحدا فى جميع الصفات ما عدا الإطباق مثل أسود حالك وحانك وخامل الذكر وخامن الذكر[1]، ويذكر من أمثلة الاتفاق فى الصفات ما عدا الإطباق تناوب الصاد والسين بمثل ساطع وصاطع والسراط والصراط[2]، ثم يقول «ويرجع السبب فى كثير من ظواهر هذا التناوب إلى اختلاف القبائل فى النطق بأصوات الكلمة فمادة كشط مثلا كانت تنطقها قريش بالكاف على حين أن أسدا وتميما كانت تنطقها بالقاف»[3] وقد وافقه أستاذنا الدكتور العزازى فى كل ما ذهب إليه[4] إلا أنه أفرد له بابا خاصا عنونه بالإبدال أو الاشتقاق الأكبر ولعل ذلك جمع بين موقفين وهناك غير هؤلاء كثير لا يتسع المقام للإشارة إلى أقوالهم[5].

ويلاحظ أن هذا الرأى على الرغم من أنه يجعل ألفاظ هذه الظاهرة من اختلاف اللهجات لا ينسى أن التقارب بين الحروف ملحوظ فيها وهذا يشير إلى تطور صوتى وإن كان بين لهجات متعددة.

وبعد استعراضنا لكل هذه الآراء ومناقشتنا لها نحس أنه لابد لنا من نظرة واعية وعميقة ومن تحليل علمى دقيق نتتبع به الظواهر المختلفة والدواعى الكثيرة التى أحاطت وتحيط باللغة ونشأة مفرداتها والأحوال التى عاشت فيها ومرت بها فى مراحلها التاريخية المتعددة حتى نصل إلى الحقيقة ونستنتج القانون الذى ينظم حوادثها إن كان لها قانون مطرد وهذا يعتبر المفتاح لعلم الاشتقاق الذى يكشف الصلة بين كلمات تباعدت أصولها[6].

أسباب الإبدال:

هناك عوامل متعددة ساعدت على وجود هذه الظاهرة وقد أشار العلماء إلى كثير منها وإن مال كل منهم إلى واحد أو أكثر وسنحاول تتبع معظمها حتى

---

(١) فقه اللغة د. وافى ص١٧٨.

(٢)، (٣) المصدر السابق ١٧٩.

(٤) فقه اللغة للدكتور العزازى ص١٨٩، ١٩٠.

(٥) انظر مثلا فقه اللغة للمبارك ص٥٠ وغيره.

(٦) المصدر السابق ص٣٩.

نستطيع تفسير ما ورد من ألفـاظ هذه الظاهرة فربما رجع اللفظان إلى واحد أو أكثر من تلك العوامل ولا مانع من ذلك إذ هذه الأسباب غيـر متعارضة، والذى جعلنا ـ كغيرنا مـن الباحثين ـ نفكر فى هذا التفسيـر هو وجود بعض تلك الألفاظ فى لغتنا العربية غير منسوبة إلى قائليهـا بل تضطرب المراجع فى نسبتها فهى أحيانا من لسان قريش وأخرى من لسان تميم وثالثة من لسان غيرهم من قبائل العرب[1].

وبعد عرضنا للأسباب وتحليلها تحليلا علمـيا نحاول تطبيقها على الكلمات التى يمكن تطبيقها عليها فى إطار دراستنا للهجات العربية.

أولا: اختلاف اللهجات:

المعروف أن العرب سكنوا الجزيرة العـربية وتفرقوا فى أنحائها وبيئاتهـا الطبيعية والاجتمـاعية مختلفـة بين بداوة وحضارة ولذلك ـ بلا ريب ـ أثر كبـير فى تعدد اللهجات واللغة عادة اجتماعية وخروج الفرد عليها يلقى مقاومة من المجتمع تأخذه بعقاب[2] ومن هنا صرح العلماء «بأن الذى يقول مدحه لا يمكن أن ينسرح لسانه فيقول مـدهه والعكس صحيح أيضا»[3] وقد مر بنا من الروايات اللغـوية ما يؤكد تمسك الجماعات الإنسانية بالنطق المتعـارف بينها كرواية أبى حاتم عن أم الهيثم من حلك الغراب أو حنكه فقالت لا أقـول من حنكه أبدًا وكذلك رواية أبى حاتم عن الأصمعى: اختلف رجلان في الصقر... إلخ، واختلاف اللهجات فى الواقع يعد عامـلاً مهمًّـا فى تفسـير هذه الظاهرة فـالقبائل البـدوية مثـلاً تميل إلى الأصوات الشديدة فى نطقها وهو أمر طبيعى يلـتئم مع ما عرف عن البدوى من غلظة وجفاء فى الطبع وبهـذا يتميـز نطقهم بسلسلة من الأصـوات القوية السريـعة التى تطرق الآذان كأنما هى فرقعات متـعددة فى حين أن أهل المدن المتحضرة يميلون إلى رخاوة تلك الأصوات الـشديدة بوجه عـام... فالبـاء والتاء والدال والكاف وغـيرها من

---

(١) القراءات القـرآنية فى ضوء عـلم اللغة الحديث ص١٠٤ وانظر مـا يقرب من هذا فى الأصـوات اللغوية ص١٥١.

(٢) اللغة والمجتمع د. وافى ص٤٢٣.

(٣) التطور اللغوى التاريخى ص ١٠٨.

الأصوات الشديدة تستعمل فى أفواه المتحضرين على الترتيب فاء. سينا. زايا. شينا[1] ويمكن ـ بناء على ذلك ـ تفسير عدد غير قليل من الألفاظ التى عدت من الإبدال، ولو أن اللغويين نسبوا كل لفظ إلى قائله لقلل ذلك من خطر تلك الظاهرة ووجودها.

ثانيًا: التطور الصوتى:

يرجع كثير من علماء اللغة ـ ومنهم ابن جنى ـ قدرًا كبيرا من أمثلة الإبدال إلى التغيرات الصوتية وذلك لعلاقة بين الحروف المتبادلة فى المخرج أو الصفات وإن اختلفوا فى تحديد هذه العلاقة فكلمات اللغة تتألف من أصوات ينسجم بعضها مع بعض يقول الأستاذ فندريس: «فى كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا فهى تكوّن نظامًا متجانسًا مغلقًا تنسجم أجزاؤها كلها فيما بينها هذه هى أول قاعدة من قواعد الصوتيات وهى ذات أهمية قصوى لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من الأصوات[2] وإن الانسجام والتآلف يقتضى بعض التبدلات الصوتية باختلاف الناطقين وبيئاتهم وتبعًا لنواح (طبيعية فسيولوجية ونفسية معًا)[3]، بل إن هذا الاختلاف في النظام الصوتى «يتغير إن قليلاً وإن كثيرًا من سن إلى أخرى[4] وقد أكد لنا المحدثون أنه ليس بين أبناد اللغة الواحدة اثنان ينطقان نطقًا متماثلاً فى كل الصفات[5] وهذا التطور يؤدى إلى وجود صيغ جديدة وفى البيئة الواحدة قد تستعمل هذه الصيغ بجانب القديمة فى مدة معينة ثم بعدها تبقى الجديدة وحدها فى عالم الاستعمال وقد توجد صيغتان فى بيئة واحدة إذا استعملت الأخرى غير الشائعة على طريق المحاكاة أو اتجاهًا إلى اللغة المثالية أما في البيئات المتعددة فلا مانع من وجود كل فى موضعه ولهذا التطور الصوتى عوامل كثيرة ساعدت عليه نتحدث عنها بالتفصيل فيما يلى:

---

(١) فى اللهجات العربية ط٣ ص١٠٠ ومن أمثلة ذلك عكوب الطير وعكوف الطير، والنات والناس والدغدغة والزغزغة. انظر المصدر السابق ص١٠١، ١٠٥، ١٨٦ وهذا مجرد فرض إمكان حصول ذلك.

(٢) اللغة ص٦٢. (٣) المصدر السابق ص ٩١.

(٤) المصدر السابق ص٦٦ واللغة بين الفرد والمجتمع -جسبرسن) ص٣٥، ٣٦.

(٥) الأصوات اللغوية ص ١٧٠.

أ- أعضاء النطق:

إن جهاز أعضاء النطق هو الذى يختص بإخراج عدد لا يحصى من الأصوات[1]، وقد حاول بعض العلماء أن يعزو التبدلات الصوتية إلى هذا الجهاز من نواح متعددة وسنقف منها جميعًا الموقف العلمى الصحيح.

١ - **اختلاف أعضاء النطق باختلاف الشعوب:** ينسب بعض العلماء التطور الصوتى إلى اختلاف أعضاء النطق فهى «تختلف فى تكوينها واستعدادها ومنهج تطورها تبعًا لاختلاف الشعوب وتنوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب والتى تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف»[2] وهذا يعنى أن لكل شعب جهازًا مكونًا على نمط خاص يجعله قادرًا على إصدار الأصوات بطريقة معينة تختلف عن الشعوب الأخرى، ولكن هذه النظرية لم يثبتها علم التشريح بل لقد برهن معظم علماء التشريح على أن أعضاء النطق عند الإنسان تتحد فى جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح وعجز بعض الشعوب عن نطق بعض الحروف ليس دليلاً على اختلاف أعضاء النطق فعجز الإنجليزى عن نطق العين أو الضاد أو القاف لا يعنى أن جهاز النطق عندهم قد خلق على طبيعة لا تمكنه من النطق بهذه الحروف بل إن العادات الصوتية التى نشأ عليها والبيئة الاجتماعية من حوله هى التى جعلته لا ينطق بها فالجهاز الصوتى مستعد لإصدار جميع الأصوات بلا استثناء كل ما هنالك أنه يحتاج إلى المران عليها، فلو أن طفلا إنجليزياً نشأ فى بيئة عربية لنطق بهذه الأصوات كاملة المخارج والصفات كما ينطقها العربى تمامًا «وقد ثبت بالتجربة أن مدرس (الفوناتيك) يستطيع أن يعلم تلاميذه أى صوت من الأصوات فى أى لغة من لغات العالم مع شىء من المران والشرح العلمى دون أن يصحب عضلات نطق التلاميذ أى تغير فى تكوينها التشريحى»[3]، وعلى كل حال فلابد أن يكون هناك تأثير ما - وإن لم يوجد اختلاف واضح - لأننا قررنا أن النطق يختلف من إنسان لآخر والطفل يختلف عن أبويه اللذين يقلدهما تقليداً ناقصًا كما يقول الدكتور المبارك وقد وصف الأستاذ (فندريس) هذا التغير بأنه «خطير النتائج لأنه لا يبشر بشىء أقل من انقطاع التوازن فى النظام الصوتى[4]، وإذا كان هذا

(١) التجويد والأصوات ص ٨.
(٢) علم اللغة د. وافى ص ٢٧٤.
(٣) الأصوات اللغوية ص ١٧٢.
(٤) اللغة ص ٦٥.

فى بيئة واحدة وشعب واحد فلا ريب أن الخلاف بين الشعوب يكون أكثر وضوحًا تبعًا لما يحيط بالفرد فيها من مؤثرات واستعداد لأعضاء الجهاز الصوتى.

٢- **تطور أعضاء النطق:** حاول بعض العلماء أن يطبق على الجهاز الصوتى نظرية النشوء والارتقاء فلابد أن يتطور كما يتطور كل ما فى الكون ولذلك تأثيره فى الأصوات وقد ذكرنا أن النظام الصوتى يتغير من سن إلى أخرى[١] ويقول الدكتور وافى: إن هذا أمر مقرر فسائر أعضاء نطقنا تختلف عما كانت عليه عند آبائنا الأولين إن لم يكن فى تكوينها الطبيعى فعلى الأقل فى استعدادتها وذلك تبعه تطور فى أصوات الكلمات وقد كشف ذلك جماعة من العلماء على رأسهم هرمان بول ورسلو الذى تجرى حقائقه بالوسائل القديمة وبوسيلة الأجهزة الحديثة[٢]، ولكن الدكتور المبارك ينقض ذلك بقوله «إن ما ادعاه بعضهم من تطور الجهاز الصوتى تطورًا مطردًا مردود إذ لا برهان له عليه»[٣] ويبدو لنا أن التغير الذى يعترى كل ما فى الكون يشمل أعضاء النطق أيضًا وإن كان هذا التغير بنسبة ضئيلة غير ملحوظة إلا أنها تترك أثرًا ما.

٣- **عيوب أعضاء النطق:** قد يولد الإنسان مصابًا بعلة تمنع أعضاء الكلام من تأدية وظيفتها وقد يعرض للإنسان فى أثناء حياته مرض يتسبب فى إحداث عيب فى أعضاء النطق وهذا يؤثر فى حديثه والمعروف أن الرواة كانوا يتحرون جمع اللغة عن القبائل الفصيحة ولم يكن لهم اتجاه إلى النظر فى أعضاء النطق للتحقق من سلامتها وكانوا يكتفون بالأخذ عن العربى الواحد كما قرر ابن جنى[٤] وربما كان هذا العربى الذى شهد له بالفصاحة مصابًا بلكنة تسببت فى تغير بعض الأصوات وربما انتقلت الكلمة على هذا النحو إلى التراث اللغوى فاللثغة اللسانية تتسبب - ولا ريب - فى إبدال بعض الحروف فالراء تتحول عند الألثغ إلى غين أو همزة

---

(١) اللغة ص ٦٦.

(٢) الفونيتيك التجريبى. علم اللغة د. وافى ص ٢٧٠، ٢٧١ وفقه اللغة له ص ١٣٠.

(٣) فقه اللغة ص ٤٠.

(٤) الخصائص ٢/ ٢١.

أو لام فكلمة يا ربى قد تنطق يا غبى ويا أبى ويا لبى[1] وقد عزا الأستاذ جورجى زيدان إلى عيوب أعضاء النطق معظم ما عرف من ألفاظ هذه الظاهرة وقال: «وهى فى الغالب نتيجة علة طبيعية فى أعضاء النطق»[2] وجعل ذلك عامّاً فى جميع الأمم ولكننا نرى فى هذا القول مبالغة وإن كنا نوافقه موافقة عامة على أن لهذه العلل أثرًا ما قد يتسبب فى إبدال بعض الكلمات على أن الأستاذ فندريس يقول: إن التغير الذى يعتبره اللغوى هو التغير الذى يظهر فى كلام مجموعة من الأفراد ثم يقول: ولكن لابد من تفرقة بين التغيرات الفردية والتغيرات المشتركة بين جميع الأطفال فى نفس الجيل فقد يحدث أن أحد الأطفال لا يستطيع النطق ببعض الأصوات نتيجة لاستعداد خبيث موروث أى أن يكون عنده بعبارة أخرى نقص فى النطق هذه الحالات من النقص الفردى فى غالب الأحيان لا تعنى غير الطبيب وغاية ما يعنى العالم اللغوى من أمرها أنه قد يستدل بها على اتجاهات اللغة[3].

ب- المكان والزمان:

تؤثر الطبيعة التى تحيط بالإنسان فى سماته الخلقية وسائر تصرفاته ومنها اللغة إذ هى لون من التصرف ولا ريب أن اللغة فى بلد زراعية تختلف فى اتجاهها عنها فى بلد صناعية أو صحراوية أو جبلية أو ساحلية ويمكن أن نرى ذلك واضحًا فى البيئة العربية إذ كان البدو يعيشون حياة لا تعرف الاستقرار على حين كانت طائفة منهم تسكن المدن التى تتصل بما يجاورها عن طريق التجارة والثقافة فاختلفت فى اتجاهها اللغوى على ما نرى في اختلاف لهجات البدو والحضر فى الجهد العضلى والأناة والسرعة فى النطق والفروق النطقية بينهم مبثوثة فى كتب اللغة كما أن انتقال اللغة من جيل إلى آخر يصاحبه شىء من التغير فى النظام الصوتى فالطفل منذ نشأته يحاول أن يقلد أباه أو يتعلم منه «وأغلب الظن أن استعدادت الطفل الموروثة تلعب دورها فى هذا التعلم ولكن يمكننا أن نقدر دون عناء العوارض التى

(١) ومن أنواع اللثغات الرتة والبأبأة والتمتمة والفأفأة. المزهر ١/ ٢٦٥ وتاريخ آداب العرب ١/ ١٥٤.

(٢) الفلسفة اللغوية ص ٣٩، ٤٠.

(٣) اللغة ص ٦٩، ٧٠.

يمكن أن تعرض لسلامة النطق فى كل جيل[1] وعلى مر الزمن يحدث تقليد الأبناء للآباء تبدلات فى الحروف مهما يبالغ السلف فى تلقينهم وتعليمهم وهذا لا تسلم منه لغة فى العالم ولكن هناك عوامل أخرى قد تقلل من هذا التأثير كالكتابة والتلقين فى المدارس[2] وقد حظيت اللغة العربية الفصحى بما لم تحظ به لغة على الإطلاق فقد بذل أهلها وعلماؤها جهدًا كبيرًا فى الحفاظ عليها ووصف أصواتها وصفًا دقيقًا وكان ذلك اهتمامًا بالقرآن الكريم الذى نقل إلينا أصوات العربية حتى فيما قبل القرآن من آماد بعيدة[3] أما اتجاه المحادثة الدارجة فقد سار على النمط العام التطورى وبهذا ندرك أن البيئة الطبيعية ومرور الزمن يؤثران على الجماعة البشرية بما يحدث بعض التغيرات فى لغتها ومن بينها تبدلات تعترى الأصوات مما يسبب ظهور ألفاظ تحمل اسم ظاهرة الإبدال.

جـ- الحياة الاجتماعية:

١- العزلة والاختلاط الاجتماعى: تتأثر اللغة ـ كغيرها من وسائل الحياة ـ بلقاء الإنسان بالآخر وانعزاله عنه فإذا قدر لطائفة من البشر أن تعيش فى مكان لا صلة له بالآخرين - لأن طبيعة البيئة الجغرافية كالجبال والآكام أو صعوبة المواصلات والبعد عن العمران أو غير ذلك قد عزلتهم عن غيرهم - فإن هذا يؤثر على سلوك هذه الطائفة ومنه الاتجاه اللغوى الذي يأخذ شكلاً يخالف الاتجاهات الأخرى عند بقية الشعوب وربما عزل فريق من أهل اللغة الواحدة عن بقية بنى جلدتهم فتحدث بعض اختلافات وتطورات صوتية بينهم وبين إخوانهم من أبناء لغتهم[3] وقد يكون لذلك أثر فى الإبدال.

كما أن الاختلاط بصوره التى تحدثنا عنها - فى لقاء أصحاب اللهجات - يؤثر فى اختلاف الأداء الصوتى وانقسام اللغة إلى لهجات وعن طريق هذا الاتصال بين الشعوب وأبناء اللغة الواحدة، «كانت الانقلابات السريعة فى تطور بعض اللغات

(١) المصدر السابق ص ٦٤.

(٢) فقه اللغة للمبارك ص ٤٠.

(٣) المصدر السابق ص ٤٩.

لأن الشعب الذي يتخذ لغة جديدة يطبق عليها - أحيانًا - عوائد النطق فى اللغة التى تركها[1] فيمكن قراءة صفحة من الفرنسية وقد بدا عليها طابع النطق الإنجليزى أو الألمانى[2] وإذا تكلم الإنسان لهجة أجنبية تعرض للأخطاء بسبب التردد فى صيغة الكلمات[3] وهذا حدث للعربية فى تفرعها إلى لهجات وتأثرها باللغات التى اتصلت بها وبخاصة بعد الفتوحات الواسعة وإن التأثر الواقع من تلك اللغات واللهجات بعضه ـ ولا شك ـ صوتى وإن الحروف التى تكون بين الحروف العربية لخير شاهد على ذلك[5].

٢- **الثقافة والحضارة:** هذا العامل له اتصال بسابقه إذ ينشأ عن قطيعة شعب لجيرانه ألا يعرف تطور الحياة ونوازعها الجديدة وثقافاتها المتعددة التى تنشأ بين الحين والآخر كما أن اتصال الشعوب وتبادل الثقافات عن طريق المعاملات الودية أو الغزو يؤدى إلى رقى الشعوب وتقدمها وحضارتها وهذا - بنوعيه - له أثر فى النواحى اللغوية وبعضه يتصل بالأصوات وقد حدث ما يشبه ذلك للعربية الفصحى وقت نشأتها ونموها تأثرًا بالثقافة والحضارة ونجم عن ذلك بعض أمثلة الإبدال.

٣- **الحالة النفسية:** إن الجو النفسى للفرد والمجتمع تظهر بعض آثاره على النطق فقد يكون اللفظ رقيقًا ضعيفًا وقد يكون قويًا ذا جرس وبقدر سرور الإنسان أو حزنه واستقراره وعدمه تكون ألفاظه معبرة فمن وضوح أو غموض ومن تفخيم أو ترقيق إلى غير ذلك من وسائل التعبير اللغوى ومظاهره ويعزو بعض العلماء تطور الأصوات من شدة إلى رخاوة أو العكس إلى الحالة النفسية التى يكون عليها الشعب «فالشعب حين يميل إلى الدعة والاستقرار تميل أصوات لغته إلى الانتقال من الشدة إلى الرخاوة فإذا اعتز الشعب بقوته وجبروته مال إلى العكس»[6]

---

(١) فى اللهجات العربية ط٢ ص١٨.

(٢) اللغة ص٨١، ٨٢.

(٣) المصدر السابق ص ٦٣.

(٤) المصدر السابق ص ٨١.

(٥) انظر كتاب سيبويه باب الإدغام وكتابنا «أصوات اللغة العربية».

(٦) الأصوات اللغوية ص ١٧٤.

وكما يحـدث ذلك للجماعة يحـدث للأفراد فيخـتلف نطقهم عن ذويهم من أبناء لغتهم وهذا ذو أثر أيضًا فى ظاهرة الإبدال.

٤- **عوامل اجتماعية أخرى:** وهى كثيرة قومية ودينية وعصبية وغيرها وقد يتسبب ذلك أو بعضه فى إحيـاء صوت مهجور وإماتة صوت مـولد أو هجر صوت قديم وتوليد آخر وهذا يترك أثرًا على ما يعيش من أصوات اللغة «فالرغبة فى العودة إلى الفصحى فى البـلاد العربية فى العصر الحاضر هى التـى عادت ببعض الحروف من الشكل الذى آلت إليه كالهـمزة بدل القاف فى كثير من المدن العـربية والثاء والذال والظاء فى لفظهـا العامى إلى نطقهـا القديم الفـصيح»[1] وقد كـان القرآن الكريم عاملاً دينيًا دعا إلى الحفاظ على اللغة العربية وأصواتها بطابعها القديم - كما ذكرنا - وقد تعصبت القبائل العربية للهجاتها المتعددة ونحن نعرف الصراع الطويل الذى حدث بينهـا حتى استطاعت القرشـية التغلب عليهـا بعد أن أثرت فيهـا اللهجات الأخرى[2] وكم تصارعت أيضًا مع اللغات التى اتصلت بها بعـد الفتوح الإسلامية ولا شك أن هذا وغيره له آثار يتعلق بعضها بظاهرة الإبدال.

ثالثًا: دواع لغوية:

هناك عوامل لغوية متعددة ذوات أثر فى الإبدال نتحدث عن أهمها:

١- **تفاعـل الأصوات:** هو تأثر الصـوت اللغـوى بما يجاوره قـبله أو بعـده من الحروف وهذا يـشمل ما يسـمى بالمماثلة والمخـالفة والتناوب بـين الأصوات وهاك بيانها:

أ- **المماثلة:** حروف الهـجاء منهـا ما يأتلف ومنها مـا يختلف ولابد من تحـقيق التآلف بين الحـروف عند تركيب الكلام حتى يتـحقق الانسجـام الصوتى فتـتمكن أعضاء النطـق من التفوه به فإذا تجاور حـرفان متنافران غـير أحدهما ليـقترب من الآخر أو يتـحد معه مـخرجًا أو صفـة «وهذه ظاهرة شائعة فى كل اللغات بصـفة

(١) فقه اللغة للمبارك ص ٤١.

(٢) اللهجات العربية د. نجا ص ٥١، ٥٢.

عامة غير أن اللغات تختلف فى نسبة التأثر وفى نوعه[١] وهذا التأثر واقع فى اللغة العربية قديمها وحديثها كما يقول أستاذنا الدكتور نجا[٢] كانقلاب النون الساكنة ميمًا إذا وليها باء وتحول تاء الافتعال طاء مما أوله صوت مطبق كما فى عمبر وشمباء واصطبر واطلع واظطلم ونحو ذلك مما أدنى فيه الصوتان أحدهما من الآخر[٣] وهذا التأثر متفاوت الدرجة فقد لا يعدو أن يكون مجرد انقلاب الصوت من الجهر إلى الهمس أو العكس وأقصى ما يصل إليه الصوت فى تأثره بما يجاوره أن يفنى فى الصوت المجاور فلا يترك له أثرًا»[٤]، وقد قسم علماء اللغة المحدثون هذا التأثر إلى رجعى وتقدمى وذلك على حسب الصوت المتأثر بالآخر.

ب- **المخالفة**: الأحوال اللغوية مختلفة فقد يكون الصوتان مقبولين فى موضع غير مقبولين فى موضع آخر لاعتبارات خاصة ومن ذلك أن الحرفين المتماثلين قد تبقى صورتاهما فى اللفظ إذا كان ذلك لا يحتاج إلى مجهود عضلى كبير وقد يقلب أحدهما إلى حرف آخر إذا احتاجا إلى هذا المجهود توفيرًا للجهد وتحقيقًا للسهولة فالأول مثل قطّع وعلّم بتشديد العين والثانى مثل أملى وتظنّى فالأول مقبول لأن إدغام الحرف فى الحرف أخف عليهم من إظهار الحرفين ألا ترى أن اللسان ينبو عنهما معًا نبوة واحدة[٥]، والمثلان فى غير الإدغام ثقيلان لما فى النطق بهما من تحرك اللسان ورجوعه إلى مكانه الأول فهو شبيه بمشى المقيد كلما تحرك خطوة رجع أخرى[٦] فلا إنكار للتخفيف بإبدال أحد المتماثلين ياء[٧] ولأن الصوت مع نقيضه أظهر منه مع قرينه ولصيقه ولذلك كانت الكتابة بالسواد فى السواد خفية وكذلك سائر الألوان، وإذا كان ذلك فى المثلين فالثلاثة أولى وهذا هو معنى المخالفة التى أوضحها المحدثون وقد أشار إليها سيبويه فى (باب ماشذ فأبدل مكان

(١) الأصوات اللغوية ص١٢٦.

(٢) التجويد والأصوات ص ٢٩.

(٣) الخصائص ٢/ ١٤٠، ١٤٥، ٢٢٧ - ٢٣٠ وغيرها.

(٤) الأصوات اللغوية ص ١٣٠.

(٥) الخصائص ٢/ ٢٢٧.

(٦) فقه اللغة د. العزازى ص ١٦٦ - ١٧١.

(٧) الخصائص ٢/ ٢٣٢.

اللام ياء لكراهية التضعيف وليس بمطرد) ومثل لها بقولهم تسرّيت وتظنّيت وتقصّيت. . . وأصلها تسرّرت وتقصّصت[1] ونبه ابن جنى أيضا على استثقالهم المثلين حتى قلبوا أحدهما فى نحو أمليت - وأصلها أمللت - وقولهم لا وربيك لا أفعل يريدون لا وربك لا أفعل[2] ويرى الدكتور أنيس أن هذه الظاهرة قد شاعت فى كثير من اللغات السامية وليست إلا تطورًا تاريخيًا للأصوات[3] ويذكر أن كثيرًا من الكلمات التى تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة يتغير فيها أحد الصوتين إلى صوت لين طويل - وهو الغالب - أو إلى أحد الأصوات الشبيهة بأصوات اللين فى بعض الأحيان ولا سيما اللام والنون وهو يرى - كذلك - أن المخالفة «لا تكاد تتم إلا حين يتجاوز صوتان متماثلان من أصوات الإطباق أو الأصوات الرخوة على أن المخالفة قد تكون فى النادر من الأحيان بين الأصوات الشديدة مثل (إجار) التى روى فيها (إنجار)[4] وكذلك (إجاص) روى فيها - أيضًا - إنجاص[5] فالمخالفة تجرى بين الحروف التى تحتاج إلى جهد عضلى وفى غير ذلك يبقى المثلان دون تغيير كاللامين والنونين فلا تتناولهما عملية المخالفة إلا فى النادر من الأحيان[5].

جـ- **التناوب بين الأصوات:** تبين من ملاحظة ظواهر التطور فى مختلف اللغات الإنسانية أن الأصوات المتحدة النوع القريبة المخرج تميل بطبعها إلى التناوب وحلول بعضها محل بعض فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت ساكن متحد معه فى مخرجه أو قريب منه[6] ففى العربية تناوبت أصوات اللين القصيرة (الفتحة - الكسرة - الضمة) فمثل (يعوم - يسمع - يلطم - يضرب - محمد - تعبان) تغيرت حركاتها الفصحى بأخرى فى العامية المصرية وحدث كذلك تناسخ فى

(١) الكتاب ٢/ ٣٠١.

(٢) الخصائص ٢/ ٢٣١.

(٣) الأصوات اللغوية ص١٥٢.

(٤) بمعنى سطح المنزل وفى حديث الهجرة واستقبل الناس النبى ﷺ على الأناجير.

(٥) المصدر السابق ص ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥.

(٦) فقه اللغة للدكتور وافى ص ١٣٦.

أصوات اللين الطويلة نفسها وبخاصة فى الألف اللينة إذا أميلت فى لغات بعض القبائل العربية القديمة (ومنها قريش) وتمال الآن فى لهجات القبائل العربية النازحة إلى مصر وفى بعض اللهجات فى بلاد الشرقية والأصوات الساكنة كذلك ففى عاميتنا حلت الدال فى (دبور) محل الزاى فى (زنبور) الفصحى، والسين فى (يسدأ) محل الصاد فى (يصدق) الفصحى وهكذا، ومثل ذلك حدث فى اللغات الأوربية[1].

٢- **الاشتقاق**: قد تتفق كلمتان فى ظاهر أمرهما فى جميع الحروف إلا حرفًا واحدًا وأصلهما - فى الحقيقة - مختلف لأخذ كل منهما من أصل معين وقد ضرب ابن جنى لذلك أمثلة متعددة كما فى حثثوا وحثحثوا وآديته وأعديته فإذا أدركنا أصول الألفاظ على هذا النحو أمكننا تفسير ألفاظ كثيرة ظن أنها من الإبدال.

٣- **تغير المعنى**: تتغير معانى الألفاظ من آن لآخر تبعًا للأحوال التى تمر بها اللغة ويتطور المعنى بإحدى الصور الثلاث التى لا رابع لها (توسيع المعنى - تضييقه - انتقاله)[2] «وينحرف الناس - عادة - باللفظ من مجاله المألوف إلى آخر غير مألوف حين تعوزهم الحاجة فى التعبير وتتزاحم المعانى في أذهانهم أو التجارب فى حياتهم ثم لا يسعفهم ما ادخروه من الألفاظ وما تعلموه من كلمات[3] ثم يشيع ذلك المجاز حتى يصبح مألوفًا ويعد حينئذ من الحقيقة وتظل تلك الدلالة القديمة ملازمة للفظ فى حدود ضيقة ويكون للفظ دلالتان أو استعمالان - وكلاهما من الحقيقة - غير أن إحدى الدلالتين تكون أكثر شيوعًا من الأخرى بل قد يصل الأمر إلى أن تصبح الدلالة القديمة من الندرة وقلة الاستعمال بحيث تستدعى الانتباه وتكاد تعد كالمجاز حين تقارن بالدلالة الجديدة الشائعة المألوفة[3]، وفى هذه اللغة الشاعرة توجد كلمات كثيرة بقى معناها الحقيقى مع شيوع معناها المجازى على

---

(١) علم اللغة د. وافى ص ٢٩٠ - ٢٩٣.

(٢) دور الكلمة فى اللغة ص١٦٥.

(٣) دلالة الألفاظ د. أنيس ص ١٢٦ واللغة والمجتمع د. وافى ص ١٧، ١٨.

الألسنة حتى ليقع اللبس فى أيهما السابق وأيهما اللاحق فى الاستعمال[1]، فالعزة يوصف بها المكان المنيع والرجل المنيع فالعزيز فى الحالين غير السهل المباح[2]، وكلمة رأس التى تطلق على رأس الإنسان ورأس الجبل ورأس النخلة ثم أخيرًا رأس الحكمة[3]، وهكذا نرى أن المعانى تتجدد وتتطور وبخاصة فى لغتنا المبنية على المجاز وهذا التطور المعنوى قد يتسبب فى مساواة لفظ بآخر فيتفق معه فى المعنى وقد يتصادف أن تتفق - حينئذ - الكلمتان فى جميع الحروف إلا حرفًا واحدًا وقد يكون أحد المعنيين مجازًا إلا أنه عرف واشتهر فكأنه حقيقة بكثرة الاستعمال على ما سبق وقد يكون من ذلك ما جزم به ابن جنى من اختلاف المعنى بين كلمتى ثوم وفوم وأن الفاء ليست بدلاً من الثاء لاختلاف المعنى وتؤيده المعاجم فيما ذهب إليه[4] ولو أن اللغويين حاولوا الفصل بين المعانى وبيان حقيقيها ومجازيها وصلة هذه المعانى بعضها ببعض لأدى ذلك إلى تفسير قدر كبير من الألفاظ التى تدخل فى ظاهرة الإبدال.

٤- **التصحيف والتحريف:** هذا العامل يرجع إلى عصر تدوين اللغة وكتابتها[5] فإن الحروف العربية تنقسم إلى مجموعات متشابهة والتصحيف خاص بنقط الحروف المتشابهة فى الشكل مثل (ب ت ث - ج ح خ - د ذ - رز - س ش - ص ض - ط ظ - ع غ - ف ق)[6] فإن صور تلك الحروف واحدة ولا يفرق بعضها عن بعض فى الكتابة الحديثة إلا النقط ومقدارها والتحريف خاص برسم الحروف المتشابهة وشكلها مثل (د ر - د ل - ذ ز - ز ن) فى الحروف المتقاربة الصورة و(ل ع - م ق) فى الحروف المتباعدة الصورة[7].

---

(١) اللغة الشاعرة ص ٣٩.

(٢) المصدر السابق ص ٤١.

(٣) فى اللهجات العربية ص ١٩٣.

(٤) س الصناعة ١/ ٢٥٢ والقاموس ٤/ ١٠١، ١٨٧.

(٥) التصحيف والتحريف (للعسكرى) ص ٩.

(٦) المزهر ١/ ٢٥٥ - ٢٦٧ واللغة العربية كائن حى ص ٥٧.

(٧) تحقيق النصوص ونشرها ص ٥٠ - ٥٢.

والتصحيف قسمان تصحيف الخط وتصحيف السمع فالأول ينشأ عن اختلاط نقط الحروف المتشابهة - كما سبق - ومن صور الإبدال التى يمكن فيها ذلك «رجل صلب وصلت» والدبر والدثر والكرت والكرب ورغاث ورغاب وجاص وجاض والنافجة والنافحة»[1]. وقد وقع أصحاب المعاجم في كثير من هذا اللون من التصحيف[2]، والثانى ينشأ من نطق الأحرف المتقاربة مخرجًا أو صفة وهى - غالبًا - لا تتشابه رسمًا عند إهمال نطقها مثل (ء هـ - ب م - ت ط - ث س ف - ج ش - د ض - ذ ز ظ - س ص - ق ك) ومن صور الإبدال التى يتوهم فيها ذلك اتمأل واتمهل ومن كثب ومن كثم والأقتار والأقطار والوطث والوطس واللثام واللفام والوقيذ والوقيظ[3] وقد وقع التصحيف والتحريف من علماء ورواة أفذاذ أمثال الخليل والأصمعى وأبى عمرو بن العلاء وأبى زيد وأبى عبيد وغيرهم كثير[4] وصرح ابن جنى بوقوع التصحيف والتحريف فى بعض أمثلة الإبدال فى فصل التحريف[5] ومن كلامه فيه «قالوا لا بل ولا بن وقالوا: قام زيد فم عمرو كقولك ثم عمرو وهذا وإن كان بدلاً فإنه ضرب من التحريف»[6] واعترف المحدثون بأن بعض ما وقع فيه الإبدال من ذلك كالدكتور الصالح[7] والأستاذ جورجى زيدان[8] والدكتور أنيس[8] فليس من التجنى إذا أن نرجح أن بعض الكلمات التى قيل لنا إن بينها إبدالاً لا تمت للإبدال بأية صلة بل هى وليدة التصحيف[9] والتحريف.

---

(١) المزهر ١/ ٢٥٥ - ٢٦٧ واللغة العربية كائن حى ص ٥٧.

(٢) مما يمثل ظاهرة الإبدال فى المعاجم ويحتمل فيه التصحيف ما ورد فى باب الهمزة من القاموس مثل (جفأه وحفأه صرعه، خفأه اقتلعه فضرب به الأرض، جلأ بالرجل: صرعه وبثوبه رماه، حلأه بالأرض صرعه وبالسيف ضربه، ساسأ وشاشأ دعا الحمار ليشرب رأرأت الظباء: بصبصت بأذنابها، زأزأ الظليم: مشى مسرعًا رافعًا رأسه وذنبه إلخ).

(٣) انظر المخصص باب البدل ١٣/ ٢٦٧ وما بعدها.

(٤) المزهر ٢/ ١٨١ وما بعدها.

(٥) الخصائص ٢/ ٤٣٦.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٤٤٠.

(٧) دراسات فى فقه اللغة ص ٢٦٨ - ٢٧١.

(٨) اللغة العربية كائن حى ص ٥٦، ٥٧.

(٩) من أسرار اللغة ص٥٣ - ٧٠.

٥- **صنع الألفاظ واختلاقها:** لقد حدث هذا الخلق والابتداع فى اللغة ولا سيما تراثها الأدبى وعلى رأسه الشعر فقد كانت قبائل العرب ذات عصبيات كثيرة ومفاخر وأمجاد فحاولت كل منها أن تظهر بشرف ومجد أعظم من الأخرى ولذلك اخترع بعضها القصائد ونسبتها إلى أجدادها الأوائل تحقيقًا لما تهدف إليه، يقول ابن سلام: «لما راجعت العرب فى الإسلام رواية الشعر بعد أن اشتغلت بالجهاد والغزو واستقل بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قد قلت وقائعهم وأشعارهم فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم ثم كانت الرواية بعد فزادوا فى الأشعار التى قيلت وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضعوا ولا ما وضع المولدون وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من ولد الشعراء أوالرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال[١] ويفهم من نص ابن سلام السابق أن الرواة زادوا فى الآثار الأدبية واتهم بذلك خلف الأحمر وحماد الرواية[٢] ولا ريب أن اللغة بألفاظها تعتمد على التراث الأدبى وبخاصة الشعر الذى كان يحتل الصدارة فى البيئة العربية ويسرى على الألسنة فى جميع الأصقاع فتنتشر لذلك الألفاظ ولو كانت فى أبيات مصنوعة وقد قال الخليل «إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ما ليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت[٣] وقد أورد السيوطى أمثلة كثيرة لكلمات مصنوعة فى أبواب متعددة من مزهره[٤] ومن ذلك عنشج: ثقيل وخم وضهيد: الرجل الصلب والألظ: نبت[٥] وغير ذلك كثير.

وقد ذكر الأستاذ السامرائى أن السعة التى أضيفت للمعجم العربى بطريقة الإبدال قد توسع فيها وربما دخلها شىء من التجوز والتوسع والكذب وذلك أنك

---

(١) طبقات فحول الشعراء ص ٣٩ - ٤١ والمزهر ١/ ٨٦، ٨٧ ويقول ابن سلام أيضًا - وفى الشعر المسموع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه. الطبقات ص ٥، ٦ والمزهر ١/ ٨٥.

(٢) طبقات فحول الشعراء ص ٣٩ - ٤١.

(٣) العين ١/ ٥٩ والمزهر ١/ ٨٥.

(٤) انظر مثلاً ١/ ٥٢ - ٥٦، ٦٣، ٦٧، ٨٥ - ٩١، ١٠٦ - ١١١، ١٢٠ - ١٢٤.

(٥) المزهر ١/ ٦٣ - ٦٧، ١٢٠ - ١٢٤.

تجد الكثير مما عرض له الإبدال كما نص عليه الأقدمون يفتقر إلى الشاهد الصحيح وضرب لذلك أمثلة ـ من المعاجم ـ منها بعير مبلند، ومكلند: إذا كان شديداً وقد ابلندى يبلندى ابلندادا واكـلندى يكلندى اكلنداء إذا اشتـد[1] ثم قال ومـا أظن أن العربيـة تفيد من هذه السعـة غير المقتـضاة[2] ويبدو لنا أن هذا حكم مطلق يجب تخصيصه بما روى عمن ليس من أهل الضبط والإتقان وبعد هذا نقول: لا يبعد أن تكون بعض الألفـاظ المختـرعة قد أضـيفت إلى اللغـة وكان لهـا أثرها فى ظاهرة الإبدال.

وهذه الأسباب التى عرضناها تعـد أساسًا صحيحًا لتفـسير ظاهرة الإبدال وبيان صلتها باللهـجات العربية نشأة وظهـورًا وسنحاول تطبيقـها على بعض ألفاظ هذه الظاهرة مما له مصطلح لهجى أو لغوى معروف، ومما لم يضع له العلماء مصطلحًا لهجياً أو لغوياً.

ويتسع الإبدال ليشـمل مظاهر كثيرة لاختـلاف اللهجات فبعض القـبائل تفضل حرفًا معينًا، فى حين أن قبائل أخرى تفضل حرفًا آخر.

وبعض القبائل تفضل حركة معينة فى حين أن غيرها يفضل حركة أخرى.

ولذا سنتكلم عن أهم مظاهر هذين النوعين ونفسر قدرًا صالحًا مما ورد فى كتب اللغة من أمثلة لهما نراها جديرة بالدرس والبحث، ونحللها تحليلاً علمياً مبنياً على ما صح من المقاييس التى وضعها القـدامى والمحدثون من علماء اللغة ونبين بالحجة والدليل الرأى الجدير بالاتباع.

****

(١) لسان العرب ٤/ ٦٥، ٣٨٥.

(٢) التطور اللغوى التاريخى ص ١١٥.

أولاً: الإبدال فى الحروف

ما له مصطلح لهجى أو لغوى:

وقع الإبدال فى بعض الحروف عند القبائل المختلفة، وبعضه وضع له اللغويون مصطلحًا لهجيًا، أو مصطلحًا لغويًا.

وقد وصفت بعض هذه الظواهر الإبدالية بأنها من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ وذلك بعد أن هذبت اللغة، وأطبقت العرب على النطق الحر والأسلوب المصفى[1].

ومن ذلك: الكشكشة والكسكسة والفحفحة والعنعنة والاستنطاء ونحو ذلك مما ذكره ابن فارس تحت عنوان (باب اللغات المذمومة)[2] وذكره السيوطى ـ نقلاً عنه ـ تحت عنوان: (معرفة الردىء والمذموم من اللغات)[3].

الكشكشة:

يجعل بعض العرب بعد كاف الخطاب فى المؤنث شينا فيقولون فى: رأيتك: رأيتكش، وفى بك: بكش، وفى عليك: عليكش[4] وهؤلاء الناطقون ـ كذلك ـ طوائف، فمنهم من يثبت الشين حالة الوقف فقط حرصًا على البيان فإذا وصلوا حذفوا وهو الأشهر، ومنهم من يثبتها فى الوصل أيضًا، ومنهم من يجعل الشين مكان الكاف، ويكسرها فى الوصل ويسكنها فى الوقف فيقولون فى مررت بك اليوم، مررت بِشِ اليوم، وفى مررت بك فى الوقف: مررت بش، قال الشاعر:

فعيناشِ عيناها وجيدشِ جيدها ولكن عظم الساق منشِ دقيق

وأنشد ابن الأعرابى:

علىّ فيما أبتغى أبغيش بيضاء ترضينى ولا ترضيش

(١) تاريخ آداب العرب ١/ ١٤٠.

(٢) الصاحبى: ٣٥.

(٣) المزهر: ١/ ٢٢١.

(٤) الجمهرة ١/ ١٥٣.

وتـطَّـبـى وُدَّ بـنِـى أبـيـش إذا دنوت جـعـلت تـنبـيـش

وإن نـأيت جـعـلت تـدنيـش وإن تـكلـمت حـنت فـى فـيـش

حتى تنقى كنقيق الديش

وجاء قلب الكاف شينًا فى غير كاف الضمير[1] فى (الديك) لضرورة القافية قال ابن جنى بعد ذكره الأبيات: فشبه كاف الديك لكسرتها بكاف ضمير المؤنث[2].

وقال الراجز:

أى غـلام لـش عـلـود العـنـق ليـس بكـيـاس ولا جـد هـمق

لش: لك، وهى لغة لبعض العرب[3].

وعليها قرأ بعضهم ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤] (قد جعل ربش تحتش سريًا).

وتنسب الكشكشة لأسد وهوازن، وقال ابن فارس: هى فى أسد، ونسبها بعضهم إلى تميم وبعضهم إلى ربيعة ومضر[4].

ويعد سيبويه من أوائل من ذكر هذه اللهجة، يقول: واعلم أن ناسًا من العرب يلحقون الشين ليبينوا بها الكسرة فى الوقف، وذلك قولهم: أعطيتكش وأكرمتكش، فإذا وصلوا تركوها، وإنما يلحقون الشين فى التأنيث، لأنهم جعلوا تركها لبيان التذكير[5].

وإضافة الشين عند الوقف على المؤنث، لأن الكسرة تخفى عند الوقف فأرادوا بيانها بإبدالها شينًا أو بزيادة شين بعد الكاف.

---

(١) مجالس ثعلب ١/ ١١٦.

(٢) سر الصناعة ١/ ٢١٧.

(٣) التهذيب ٢/ ٢١٦.

(٤) الكامل ١/ ٣٧١ قال المبرد: إنهم التميميون الذين منهم عمرو بن تميم، والصاحبى ص٢٤ والأساس ص٨٢٢، والمحكم ٦/ ٣٩٧، ٣٩٨ وشرح المفصل ٩/ ٤٨ والمزهر ١/ ٢٢١ وانظر سر صناعة الإعراب ١/ ٢١٦، ٢٣٥ وفقه اللغة للثعالبى ص ١٢٩.

(٥) الكتاب ٤/ ١٩٩، ٢٠٠.

ويروى سيبويه ـ كذلك ـ قلب الكاف شينًا فى الوصل مثل: أنش ذاهبة ومالش ذاهبة، يريد: أنك وما لك[1] وقد نسبها إلى تميم وناس من أسد[2].

وإلحاق الشين بعد الكاف أو إبدالها منها لتوافقهما فى كثير من الصفات كالهمس والاستفال والانفتاح والإصمات مع تقارب المخارج فالكاف من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والشين من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى[3].

وبعض المحدثين يرى أنه لابد فى الكشكشة أو الكسكسة أن تحل الشين أو السين محل الكاف ليمكن أن تعد هذه الظاهرة من ظواهر اللهجات، إذ ليس هناك ما يسوغ أن تتصل الكاف بصوت آخر فى حالة الوقف، بل الأقرب إلى القوانين الصوتية وطبيعة اللهجات أن يحل صوت محل آخر[4].

ونرى أنه لا يتحتم ذلك مطلقًا، إذ بعض اللهجات تزيد حرفًا وبعضها تنقص، ولا شىء فى ذلك.

الكسكسة:

يجعلون بعد الكاف أو مكانها فى خطاب المؤنث سينًا كالكشكشة فيقولون أعطيتكس وأكرمتكس وأبوس وأمس فى (أعطيتك وأكرمتك وأبوك وأمك) وورد عن معاوية حين سئل: من أفصح الناس؟ قال: قوم تياسروا عن كسكسة بكر أى إبدالهم السين من كاف الخطاب حين يقولون: أبوس وأمس يريدون: أبوك وأمك وبعضهم يزيد السين بعد الكاف فى الوقف مثل: مررت بكس أى بك[5] والكسكسة لبكر وأسد وربيعة ومضر[6] ومنع الحريرى نسبتها إلى ربيعة

(١، ٢) الكتاب ٤/ ١٩١ وانظر مجالس ثعلب ١/ ١١٧ وسر الصناعة ١/ ٢١٤.

(٣) انظر كتابنا: أصوات اللغة العربية.

(٤) فى اللهجات العربية د. أنيس: ١٢٢.

(٥) النهاية فى غريب الحديث والأثر ٤/ ١٧٤.

(٦) الكامل ١/ ٣٧١ وقد نسبها المبرد فيما يختص بقلب كاف الخطاب للمؤنث سينًا إلى بعض بكر ومثله فى فقه اللغة للثعالبى ١٢٩ وسر الصناعة ١/ ٢١٤ والصاحبى ٢٤ فيما يختص بزيادة سين بعد كاف المؤنث فى الوقف والمفصل ٩/٧ وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٣٨١ وفى التهذيب: الكسكسة لغة من لغات العرب تقارب الكشكشة ٩/ ٤٣٠.

ومضر[١]، وصاحب القاموس يذكر أنها لتميم[٢]، وقيل نسبت لهوازن[٣] ونرى أنها تنسب لهؤلاء جميعًا.

ويحاول بعض المحدثين أن يفسر الكشكشة والكسكسة على أنها صوت مركب (ch) ثم قلبت الشين سينًا فى الكسكسة يقول: فالأصل فى هذه الظاهرة أن تكون الكاف للمؤنث حتى تجتذب الكسرة الكاف إلى الأمام، فتقلب إلى نظائرها من أصول الثنايا فتصير (ch) أى شجرية، وبعد ذلك صارت (تس) وقلب الشين سينًا مطرد فى اللغات السامية، فضمير الغائب «شون» فى الأكادية و«سون» فى بعض اللغات العربية الجنوبية[٤].

وادعى بعضهم أن قلب الكاف سينًا أو شينًا أو صوتًا مركبًا (تس ـ تش) يتمشى مع قانون الأصوات الحنكية الذى يقرر أن الأصوات تنتقل من أقصى الحنك (الطبق) إلى الشفتين، فالكاف على هذا التفسير تصير سينًا[٥].

ونرى أن هذا غير صحيح، لأننا لم نسمع به مطلقًا على طريقة النطق والكتابة، ولم يرد فى كتب القدماء، وإن شاع ذلك فى بعض النطق الحديث بالجزيرة العربية[٦] ولا يفسر القديم بالحديث للخلل الواقع فى النطق الحديث بما أبعده عن الفصيح، ولا يحتج به فقد تغير نطق بعض الأصوات وشوه تشويهًا خطيرًا، فقد تحول ـ مثلاً ـ فى نطق أهل الرياض ـ صوت الكاف ـ أول الكلمة إلى (تس) مثل: كيف حالك (تسيف حالك) وفى وسط الكلمة كذلك، فكلمة (باكر) تنطق هناك (باتسر) فلا يعول على هذا النطق المحرف لتفسير الفصيح من كلام العرب.

ويرى بعضهم أن الكسكسة والكشكشة حدثتا نتيجة للتطور فى مرحلتين:

---

(١) درة الغواص فى أوهام الخواص ص٣٥.

(٢) ٢/ ٦٢٥ وانظر الاقتراح للسيوطى ص٨٣ والمزهر ١/ ٢٢١.

(٣) الخصائص ١/ ١٢ ومجالس ثعلب ١/ ٨١.

(٤) اللهجات العربية فى التراث ١/ ٣٦٤.

(٥) الأصوات اللغوية ص٧٩.

(٦) فى منطقة الخليج والسعودية.

الأولى: انتقال الكاف إلى الصوتين المزدوجين: تس وتش.

والثانية: تطور الصوتين المزدوجين إلى السين الخالصة تارة والشين الخالصة تارة أخرى[1] وهذا كلام لا يسنده الدليل العلمى أو التاريخى.

الشنشنة:

ورد هذا اللفظ فى كتب اللغة ولكن ليس بالمعنى الاصطلاحى المعروف ففى المعجمات أن الشنشنة: الطبيعة والخلق والسجية وفى المثل:

شنشنة أعرفها من أخزم من يلق آساد الرجال يكلم[2]

وفى الاصطلاح: جعل الكاف شينًا مطلقًا سواء كانت لمذكر أو لمؤنث[3] وسواء كانت أصلية أو زائدة مثل: لبيش اللهم لبيش فى لبيك[4] والديش فى الديك[5] وقد سمع بعض أهل اليمن فى الحج يقول: (لبيش اللهم لبيش). ويرى بعض المحدثين أن ما يسمى بالشنشنة هو صوت بين الجيم والشين أو هو الصوت المركب (تش) Ch المعروف فى الإنجليزية، ولأن العرب لا يعرفون طريقة كتابة هذا الصوت فإنهم كتبوه تارة بالكاف وثانية بالشين وقيل ـ أيضًا ـ إن الكاف فى أى موضع من الكلمة حينما يأتى بعدها صوت لين أمامى فإنها تقلب إلى نظيرها من الأصوات الحنكية (أصوات وسط الحنك).

ونحن لا نرتضى هذين التفسيرين لمخالفتهما لطبيعة نطق الأصوات العربية وخصائصها لأن العربية لا تعرف الحروف المتداخلة أو المركبة بين حروفها وقد ماتت الأصوات التى بين بين منها.

ونسبت فى العقد الفريد لتغلب ففيه فى خبر الرجل ـ من السماط ـ الذى كلم معاوية عن أفصح العرب قوم تيامنوا عن شنشنة تغلب[6]، وتنسب أيضًا إلى

(١) اللهجات العربية فى التراث ص١٢٣.

(٢) مجمع الأمثال ٢/ ٥٥ واللسان ١٧/ ١١٠ والعين ٦/ ٢٢٠.

(٣) لهجات العرب لأحمد تيمور ص١٢٣.

(٤) المزهر ١/ ٢٢٢ وتاريخ آداب العرب ١/ ١٤١ ومميزات لغات العرب ص١٣.

(٥) الجاسوس ص١٨٣. (٦) ٢/ ٤٧٥، ٣/ ٣٢٠.

بكر بن وائل، وقد نسبها ابن دريد والقلقشندى إلى حمير[1] ولكنها شائعة فى القبائل اليمنية وهى تنسب إلى أهل البداوة منهم، ومازالت حتى الآن فى اللهجة الشحرية والمهرية والقطرية وحضرموت.

العنعنة:

ورد فى بعض كتب القدماء أن العنعنة قلب الهمزة عينًا[2]، ويقول ابن دريد: العنعنة حكاية كلام نحو قولهم: عنعنة تميم، لأنهم يجعلون الهمزة عينًا[3] ويقول السيوطى: إنهم يجعلون الهمزة المبدوء بها عينًا[4] ومن ذلك قول الشاعر:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

وقال جران العود:

فما أبن حتى قلن يا ليت عننا تراب وعنّ الأرض بالناس تخسف

وقال الآخر:

تعرضت لى بمكان حل تعرضا لم تأل عن قتلا لى[5]

وقال:

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم غداة دعانا عامر غير معتلى[6]

ومن ذلك: الأسف والعسف.

ومما ورد من ذلك مما وقعت فيه الهمزة عينًا: كعص أى كأص بمعنى أكل يقال: كعصنا عند فلان وكأصنا أى أكلنا، قال أبو حاتم:

---

(١) الجمهرة ١/ ٢٣٨، ٣/ ٧٧ وصبح الأعشى ١/ ١٦٠.

(٢) العين ١/ ١٢١ وفقه اللغة للثعالبى ص١٢٩ والأمالى للقالى ٢/ ٨١.

(٣) الجمهرة ١/ ١٦٠. (٤) المزهر ١/ ٢٢٢.

(٥) قال ابن جنى: يجوز أن يكون أراد (أن قتلالى) فأبدل الهمزة عينًا (سر الصناعة ١/ ٢٣٧) ويجوز أن يكون أراد الحكاية كأنه حكى النصب الذى كان معتادًا من قولها فى بابه أى كانت تقول: قتلا قتلاً ثم حكى ما كانت تلفظ به، سر الصناعة ١/ ٢٣٦، ٢٣٧، واللسان ١٦/ ١٧٨.

(٦) الجمهرة ١/ ٢٣٨، ٣/ ٧٧ وسر الصناعة ١/ ٧٥ والخصائص ١/ ٤١١ والمزهر ١/ ٢٢٣.

هى همـزة قلبت عينًا لأن بنى تميم ومن يـليهم يحـققـون الهمـزة حتى تصـير عينًا[1].

ومما ذكره الخليـل فى العين: الخبع: الخبء فى لغـة تميم يجعلون بدل الهـمزة عينًا[2].

وحكى عن بنى تميم: هذه خباعنا، يريد خباؤنا، ويقال: خبع الرجل فى المكان إذا دخل فيه، وأحسب أن هذه العين همزة[3].

ولا تزال هذه الظاهرة قائمة فى بعض اللهجات الدارجة فى صورها المشار إليها أولاً ووسطًا وآخرًا.

ففى مدن تهـامة يقولون: (عالة) فى (آلة) و(العـمام) فى (الإمام)[4] ومن ذلك فى لهجات صعيد مصر (اسعل وسعال) بدل (اسأل وسؤال) و(لع) مكان: (لا).

ويرى بعض الباحثين أن العنعنة تكون فـى (أنْ وأنّ) لكثرة استعمالهمـا وطولهما بالصلة[5] وبعضهم كـالفراء وابن فارس يخصهـا بالهمزة المفتـوحة فى (أنّ) المشددة النون، ففى لسـان العرب «لغة قـريش ومن جاورهم (أنّ) وتميم وقـيس وأسد ومن جـاورهم يجعلون ألـف (أن) إذا كـانـت مـفـتـوحة عـينًا يقـولون: أشـهـد عنك رسول الله، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف[6] وابن جنى يرى ذلك ـ أيضًا ـ فيذكر أن بنى تميم يقولون فى موضع (أنّ): (عنّ) فيقـولون: ظننت عنّ عبد الله قائم، وقال: إن مجىء النون فى العنعنة يدل على أن إبدالهم إياها هو فى همزة (أنّ) دون غيرها.

وقولهم: عنعنة مشتق من قولهم: عن عن فى كثير من المواضع[7] إلا أن عالمنا ابن جنى يذكر أنهم أبدلوا الهمزة فى غير (عن)[8] سواء كانت أولاً أو وسطًا.

---

(١) الجمهرة ٣/ ٧٦.
(٢) العين ١/ ١٤١.
(٣) الجمهرة ١/ ٢٣٧، ٢٣٨.
(٤) فى اللهجات العربية: ١١١.
(٥) سر الصناعة ١/ ٢٣٤ وشرح المفصل ٨/ ١٤٩.
(٦) اللسان ٤/ ٣١٤٣ (عن) والتهذيب ١/ ١٢٢ وشرح المفصل ١/ ١٩٨، ٨/ ١٤٩ وانظر الصاحبى ص٢٤ والمغنى ١/ ١٣٠.
(٧) سر الصناعة ١/ ٢٣٧.
(٨) المصدر السابق ١/ ٣٤٠.

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن اشتراط البدء بالهمزة أو أن تكون مفتوحة ليس له ما يبرره[1] من الناحية الصوتية، وإنما الذى يبدو أن يكون أقرب إلى الاحتمال هو أن هذه القبائل كلها من البدو، وكانت تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة فى السمع أيّاً كان موضعها من الكلمة وبأى حركة تحركت[2].

ويتهم القدماء الذين قصروا العنعنة على الهمزة المبدوء بها بأن مبنى رأيهم على الرواة الذين استقرأوا أمثلة هذه الظاهرة استقراء ناقصًا، والأمر فى كل رواية لا يعدو أن يكون حكمًا خاصاً مبنيًا على مثل خاص سمعه الراوى دون استقراء لباقى الحالات[3].

ويبدو لنا أنه اتهم الرواة دون دليل، والقدماء لا ينكرون إبدال العين من الهمزة فى الأول والوسط والآخر، ونصوص القدماء السابقة تشهد لذلك وإن خصها بعضهم بالابتداء.

وقد نسب بعض العلماء العنعنة إلى تميم خاصة، ومنهم الخليل بن أحمد والأصمعى[4] وابن فارس[5] وابن جنى[6] وجعلها ابن دريد فى تميم ومن يليهم[7] وينسبها بعضهم إلى تميم وقيس وأسد[8].

ولكن كثرة النصوص الواردة بالعنعنة ونسبتها إلى قبائل متعددة يؤدى بنا إلى القول بكثرة القبائل البدوية التى شاركت تميمًا فى قلب الهمزة عينًا والإشارة إلى تميم، لأنها أكبر القبائل فى شرقى الجزيرة.

والانتقال من الهمزة إلى العين ممكن لأنهما أختان تخرجان من الحلق فالهمزة من أقصاه والعين من وسطه[9].

---

(١) كذا بالأصل والصواب (يسوغه) مكان (يبرره).

(٢، ٣) فى اللهجات العربية: ص١١.

(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٢٣٤.

(٥) الصاحبى: ص٣٥.

(٦) سر الصناعة: ١/ ٢٣٤.

(٧) الجمهرة ١/ ١٦٠.

(٨) تهذيب اللغة ١/ ١١١ وتاج العروس ٩/ ٢٨٢.

(٩) الكتاب ٤/ ٤٣٣ وسر الصناعة ١/ ٥٢.

وهى مناسبة لطبيعة البدو الذين يحتاجون إلى نبرة عالية، لاتساع الصحراء والعين مجهورة، أما الهمزة فهى ـ فى أدق الآراء ـ لا مجهورة ولا مهموسة أو هى مهموسة على رأى بعض المحدثين[1].

الفحفحة:

هى قلب الحاء عينًا مطلقًا[2] سواء كانت حاء حتى أو غيرها، فى لغة هذيل يجعلون الحاء عينًا فيقولون فى مثل: حلت الحياة لكى حى: علت العياة لكل عى، وعلى لغتهم قرأ ابن مسعود (عتى حين) فى قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]، ونقل صاحب النهاية أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ بلغه أن ابن مسعود يقرئ الناس بلغة هذيل «عتى حين» فقال: إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش[3] وقال الزمخشرى: وفى قراءة ابن مسعود «ليسجننه عتى حين» وهى لغة هذيل، وعن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ (عتى حين) فقال: من أقرأك؟ قال: ابن مسعود، فكتب إليه: إن الله أنزل هذا القرآن بلغة قريش فلا تقرئهم بلغة هذيل والسلام[4] وورد عنهم أيضًا: وجلست عنده عتى الليل.

وبعض الباحثين يرى أن الفحفحة خاصة بحاء (حتى).

يقول أستاذنا الدكتور إبراهيم نجا: المشهور فيها إبدال الحاء من (حتى) عينًا، وذكر القراءة (عتى حين) ونقل عن فريق من الباحثين أن الإبدال ليس مقصورًا على حاء حتى مثل: اللعم الأعمر إلخ ثم يقول: وهذا النقل ضعيف لأنه لم يرد لنا من نصوص العرب وشواهدهم ما يجعلنا نقبل وجهتهم، ومع هذا فقد رأينا ابن مسعود قد اقتصر على إبدال الحاء من (حتى) ولم يبدلها من (حين) فلو كان الإبدال عاماً لقرأ بالعين فى كلتا الكلمتين فدل ذلك على أن الفحفحة خاصة بحاء حتى[5].

---

(١) الوجيز فى فقه اللغة للأنطاكى: ص٢٠٠ وانظر كتابنا: أصوات اللغة العربية.

(٢) سر الصناعة ١/ ٢٤٦ والمزهر ١/ ٢٢٢ والأمالى ٢/ ٧٠.

(٣) النهاية ٣/ ١٨١. (٤) الكشاف ٢/ ٣١٩.

(٥) اللهجات العربية د. نجا ص٨٢، وانظر مميزات لغات العرب ص١١.

ولكن يبدو لنا أن ظاهرة قلب الحاء عينًا مطلقًا ثابتة لورود ذلك فى أمثلة لغوية ضمتها المعاجم اللغوية مثل بحثر وبعثر وروى اللحيانى قولهم: عصد الرجل إذا مات وحكى عن أبى ضبة قال: لغتنا حصد ولغة الأكثر عصد[1]. وهذا التبادل كثير مثل، الحبكة والعبكة وهى الحبة من السويق[2] وضبحت الخيل وضبعت إلى غير ذلك.

ويرى بعض المستشرقين أن (عتى) ـ فى لغة هذيل ـ لها صلة بكلمة (عدى) الموجودة فى بعض اللغات السامية وفى العربية الجنوبية القديمة، وكذلك الكلمة العبرية (عد) بمعنى حتى فالحاء تقابل العين والتاء تقابل الدال أى أننا أمام صورتين لكلمة واحدة إحداهما تشتمل على صوتين مهموسين والأخرى تشتمل على نظيريهما من المجهورات وحينئذ يمكن تفسير هذا على أن الصورة المشتملة على المهموسات صورة حضرية وأن الأخرى صورة بدوية ولا تكون هناك فى هذه الحالة ظاهرة عامة تدعى الفحفحة[3] وقد روى عن العرب قلب الحاء عينًا فى غير (حتى) مثل: علت العياة لكل عى وقولهم: (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض) فى (اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض)[4] وتنسب هذه الظاهرة لهذيل أو لبعض بطونها ولثقيف[5] وقد وجد هذا القلب فى الآية فى مصحف ابن مسعود ومصحف الربيع بن خثعم.

والحاء والعين من مخرج الحلق ويتفقان فى صفات الاستفال والانفتاح والإصمات إلا أن العين مجهورة، والحاء مهموسة والحاء رخوة والعين صوت متوسط بين الشدة والرخاوة فأمكن تبادلهما، ولذا قال ابن جنى «لولا بحة فى الحاء لكانت عينًا»[6] ويقول فى المحتسب مشيرًا لظاهرة الفحفحة:

---

(١) الإبدال لأبى الطيب ١/ ٢٤٦.

(٢) المزهر ١/ ٤٦٦.

(٣) فى اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠٩.

(٤) مميزات لغات العرب: ص١٣ وفى اللهجات العربية: ص ١٠٨.

(٥) انظر المصادر السابقة فى هذا الموطن وابن عقيل ٣/ ١٢ ط دار الفكر ولسان العرب ٢/ ٣٢٨. حيث يقول: فى (عتى) هذلية ثقفية.

(٦) سر الصناعة ١/ ٢٤٦ وتكلم عن هذه القراءة فى (حتى) فيقول: أبدلت العين من الحاء فى بعض المواضع قرأ بعضهم (عتى حين) يريد: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ [يوسف: ٣٥]

«العرب تبدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما فى المخرج كقولهم بحثر ما فى القبور أى بعثر»[1] وضبعت الخيل أى ضبحت وهو يحنظى ويعنظى إذا جاء بالكلام الفاحش فعلى هذا يكون (عتى وحتى) لكن الأخذ بالأكثر استعمالاً وهذا الآخر جائز وغير خطأ.

والمعروف أن فى قبيلة هذيل ميلاً إلى البداوة، إذ كانت مجاورة لبعض البدو على حين أن ثقيف من القبائل الحضرية، وربما نسبت لها لتأثرها بمن ينطقها لكن بعض المحدثين ينفى وجود هذه الظاهرة وبنى هذا النفى على أمور:

١- أن قصة قراءة ابن مسعود للآية (عتى حين) مشكوك فى صحتها فكيف ينهى عمر ابن مسعود عن القراءة بالعين مكان الحاء فى هذه الآية مع ما نقله عمر نفسه من استحسان الرسول ﷺ قراءة ابن مسعود حينما كان يسمر عند أبى بكر وكان عنده عمر فخرج رسول الله ﷺ وعمر وأبو بكر معه فإذا رجل قائم يصلى فى المسجد فقام رسول الله ﷺ يسمع قراءته فقال عمر: فلما كدنا أن نعرف الرجل قال: **«من سره أن يقرأ القرآن رطبا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»** (يعنى ابن مسعود).

٢- لم يسمع قلب الحاء عينًا عن هذيل فى غير هذه القراءة المروية والمثال واحد لا يكفى لإثبات اللهجة، وهناك آيات أخرى كثيرة لم تبدل فيها الحاء عينًا.

٣- نقل عن ابن مسعود القراءة بإبدال العين حاء فى بعض الآيات فى مثل قوله تعالى ﴿**أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ**﴾ [العاديات: ٩] قرأها (بحثر) بالحاء وهذا نقيض القراءة السابقة فى (حتى حين).

٤- وقوع القراءة بإبدال الحاء عينًا فى (حتى حين) فى مصحف الربيع بن خثعم مما يدل على أن هذه الظاهرة ليست مختصة بهذيل.

٥- نسبة هذه الظاهرة إلى هذيل تبعًا لابن مسعود لأنه قرأ بها نسبة غير مقبولة لأن قراءة القارئ قد لا تعتبر لغة قومه فابن محيصن وابن كثير يقرآن ﴿**إِنَّ اللَّهَ**

(١) المحتسب ١/ ٣٤٣.

﴿لا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً﴾ [البقرة: ٢٦] بياء واحدة (يستحى) وهى لغة تميم مع أنهما مكيان فقد خالفا بذلك لهجة قومهما وبذلك فإنه لا يتعين أن تكون قراءة ابن مسعود ممثلة للغة قومه الهذليين[١] على أن قبيلة هذيل متصلة بالحجاز ومساكنها قريبة منها والفحفحة ظاهرة بدوية مما يبعد نسبة هذه اللهجة إلى تلك القبيلة.

٦- التسمية نفسها تحمل على الشك فى وصف القدماء لهذه الظاهرة فكلمة الفحفحة إذا نظر إليها فى ضوء الكشكشة والعجعجة نرى أن الحرف الثانى فى كل من هذين المصطلحين هو الحرف المقلوب إليه وكان مقتضى هذا أن يكون معنى الفحفحة قلب العين إلى الحاء لا العكس[٢].

ولكننا نرى أن هذا النفى غير صحيح فالشك فى قراءة لا يؤدى إلى إسقاطها إلا إذا كان معتمداً على أوجه عدم صحة النقل وطرق الرواية وذلك لم يتوافر لصاحب النفى.

كما أن اعتداد الرسول بقراءة ابن مسعود يؤكد صحة الرواية وليس دليلاً على نفيها وهو توجيه للقارئ للاتجاه إلى الصفة العامة الغالبة وإن صحت القراءة بغيرها أو يقرأ القرآن على وجوه كثيرة تبعًا لتعدد القبائل وتيسيراً على الناطقين من المسلمين على حسب لهجاتهم، لكن فى مقام التعليم يلجأ إلى الأقوى.

ولم يقتصر أمر هذه اللهجة على مثال واحد بل ورد غيره كما أن ما نقل عن ابن مسعود من القراءة بقلب العين حاء يؤكد صحة هذا النوع من التبادل ولا ينفى عكسه بل يؤيده من لجوء القبيلة إلى كل منهما لما بين الصوتين من تقارب يدعو إلى جذب أحدهما إلى صاحبه.

كما أن نسبة هذه الظاهرة إلى غير هذيل[٣] دليل على صحتها وعلى انتشارها فى مواطن عدة وهذا يثبتها ولا ينفيها.

ولذا نرى أن النفى دليل لا يعتد به.

---

(١) اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠٨، ١٠٩ واللهجات العربية فى التراث ص٣٧٢، ٣٧٣.

(٢) فى اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠٨.

(٣) نسبت أيضًا إلى ثقيف (جواهر الأدب ص٣٩٣).

العجعجة:

هى جعل اليـاء المشددة جيـمًا فيـقولون فى تميمىّ تميـمجّ وهذا علجّ يريدون: علىّ، وكذلك الياء المخففة الواقعة بعد العين مثل: الراعج خرج معج فى قولهم: الراعى خـرج معى[1] وقـال ابن فارس: وكـذلك الياء المشـددة تحول جـيمًـا فى النسب، يقولون: بصرجّ وكوفج[2].

ويقول السيوطى: ومن ذلك العـجعجة فى لغة قضاعة يجعلون اليـاء المشددة جيمًا يقولون فى تميمىّ: تميمج[3]. وقال أبو عمرو بن العلاء: قلت لرجل من بنى حنظلة: ممن أنت؟ فقال: فقيمجّ قال: قلت: من أيهم؟ قال: مُرّجّ يريد: فُقيمىّ ومُرّىّ، وقال يعقوب: بعض العـرب إذا شددت الياء جعلتها جـيمًا[4]، وفى حديث ابن مسعود: فلما وضعت رجلى على مُذمَّر أبى جهل قال: اعل عنّج أى تنح عنى[5].

ومن ذلك قول الراجر: قال الأصمـعى: حدثنى خلف قال: أنشدنى رجل من أهل البادية:

خـــالـى عُـــويف وأبو عـلجّ
المطعـــمـــان اللحم بالـعـــشجّ
وبالـغـداة كـــســـر البـــرنجّ
تقـلع بالـوَدّ وبالصـــيـــصجّ

أراد: علىّ - العشىّ - البرنىّ - الصيصى[6].

---

(١) يقول الرضى: ويبدل ناس من بنى تميم الجيم مكان الياء فى الوقف شديدة، كـانت الياء أو خفيفة. شرح الشافية ٣/ ٢٨٧.

(٢) الصاحبى ٣٧ وشرح المفصل ١٠/ ٢٠. (٣) المزهر ١/ ٢٢٢ والتهذيب ١/ ٦٨.

(٤) سر الصناعة ١/ ١٩٢ والإبدال لأبى الطيب ١/ ٢٥٧.

(٥) انظر النهاية ٣/ ٢٩٤ ولسان العرب ٦/ ٦١ ومذمر كمعظم القفا. القاموس (ذمر).

(٦) الأشمـونى ٤/. ٢٨١ وإبدال ابن السكيت ٩٥ ورواه ابن جنى عـمى بدل خالى وروى غـيره فلق وكـتل وقطع مكان كسر وكلها بمعنى أجزاء الشىء والبرنج بفتح الباء وسكون الراء: من أنواع التمر الجيد والود: الوتد، والصيصى: جمع صـيصة وهى القرن والفعل تقلع مبنى للمفـعول. انظر سر الصناعة ١/ ١٩٢ والكتاب ٤/ ١٨٢.

ومن ذلك ما أنشده ابن الأعرابى:

كـــأن فى أذنـابهـن الشـــوّل من عـبس الصـيف قـرون الأجّل

يريد: الأيل.

وأنشد الفراء:

بـكيـت والمحـــتـــرز البكـج وإنما يـأتى الـصـبـا الـصـبج

يريد: البكى والصبى[1].

وفى الأمـالى: ويمكن أن يكون (حار) لغـة فى (يار) كـما قـالوا: الصهـاريج والصواب الصهارى وصهريج وصهرى لغة تميم[2].

وقد تقلب الياء المخففة جيمًا فى مثل قول الشاعر:

يارب إن كنـت قـبلـت حـجـتج فـــلا يـزال شـــاحج يـأتيـك بج

أقمر نهات ينزّى وفْرَتج

فالأصل: حجتى ـ بى ـ وفْرتى[3].

وكذلك قول همیان بن قحافة السعدى:

يطير عنها الوبر الصهابجا

يريد الصهابى ـ من الصهبة ـ [4] فحذف إحدى الياءين وقـلب الأخرى جيمًا للقافية[5]، وبعضهم اشترط أن تجتمع الياء مع العين[6] ولكن الظاهر فيما ورد من أمثلة عدم اشتراط ذلك.

---

(١) سر الصناعة ١/ ٩٣ ولهجات العرب لأحمد تيمور ١٨.

(٢) الأمالى ٢/ ٢١٧.

(٣) سر الصناعة ١/ ١٩٣ وشرح شافية ابن الحاجب ٤/ ٥١٦.

(٤) الوبر أو الشعر الصهابى: ما فيه شقرة.

(٥) سر الصناعة ١/ ١٩٣ والإبدال لابن السكيت ٩٥ وشرح الشافية ٤/ ٢١٦.

(٦) الصحاح ١/ ٣٢٨ والإبدال لابن السكيت ٩٥ ومعجم الشعراء للمرزبانى ١٩٧.

كما أن الياء المشددة التى تبدل جيمًا يطلق عليها مصطلح (العجعجة) إذا وقعت آخرًا لا وسطًا، وقد خصها بعضهم بحالة الوقف دون الوصل وبعضهم جعلها فيهما معًا فمن الأولين سيبويه والسيرافى وابن يعيش والرضى ومن الآخرين ابن جنى والقالى والزمخشرى[١].

والمشهور نسبة هذه الظاهرة إلى قضاعة[٢] وناس من تميم أو ناس من بنى سعد من تميم ونسبها صاحب الأمالى وابن السكيت إلى فقيم وحنظلة[٣] ونسبها الفراء فى الياء المخففة إلى بنى دبير من بنى أسد ونسبها أبو زيد لأهل اليمن، والأصمعى إلى طيئ فى الياء المشددة، وإلى بعض بنى أسد فى الياء المخففة[٤] ونسبت كذلك إلى هذيل، كما نقل عن ابن مسعود[٥].

وهكذا نرى اختلاف القبائل فى طريقة قلب الياء جيمًا ومواطنه ويعلل سيبويه لهذه الظاهرة بأن الياء خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف[٦].

ويعد ذلك القدامى من الإبدال النادر أو القليل[٧] أو الشائع[٨] وقد ذكروا أن بين الياء والجيم علاقة صوتية، لأنهما من مخرج واحد هو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى أو أنهما قريبا المخرج وتشتركان فى بعض الصفات كالجهر والاستفال والانفتاح والإصمات والجيم أدخل من الياء ولذا كان الانتقال من الياء إلى الجيم سائغًا وفى الجيم بعض الشدة التى تتناسب مع البدو[٩] ويجرى الوصل مجرى الوقف[١٠].

---

(١) فى لسان العرب: والعجعجة فى قضاعة كالعنعنة فى تميم يجعلون الياء جيمًا مع العين ٨/ ٣٨ (عجج) وفى مادة (شجر) روى نسبتها لناس من بنى سعد فى الوقف خاصة فإذا وصلوا لم يبدلوا كذلك فى كتاب سيبويه ٣/ ١٨٢.

(٢) الكتاب ٤/ ١٨٢ وشرح الشافية ٢/ ٢٨٧ واللسان (عجج).

(٣) الأمالى ٢/ ٨٩ والإبدال لأبى الطيب ونوادر أبى زيد ١٦٤.

(٤) الإبدال لأبى الطيب ١/ ٢٥٧، ٢٥٨.

(٥) لسان العرب ٦/ ٦١.

(٦) يقول سيبويه: إنهم يبدلون الجيم مكان الياء لأنها خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف. الكتاب ٤/ ١٨٢.

(٧) شرح التصريح ٣٦٧ والأشمونى ٤/ ٢٨١.

(٨) الأشمونى ١/ ٢٨٢.

(٩) انظر الكتاب لسيبويه باب الإدغام.

(١٠) شرح الشافية ٢/ ٢٨٧.

وبهذا يتضح أن هذا الإبدال من خصاص بعض اللهجات البدوية، فطيئ تسكن أواسط نجد وحنظلة من أكبر القبائل التـميمية تنسب إلى حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم وفـقيم بطن من دارم من تميم العـدنانية، وبنو سعـد من تميم وبنو أسد من القبائل البدوية.

ويبدو أن القبـائل البدوية كبنى تميم نسب إليـها الأمران قلب الياء جـيمًا وقلب الجيم ياء (صهريج: صهرى) ومعنى ذلك أنها تختار صوتًا فى موقع ثم تختار غيره فى موقع آخر ورأى بـعض الباحثين أن إبدال الياء جـيمًا من خصائص لـهجة تميم وعكسه دخيـل عليها[1] على سبـيل التأثر بالقبـائل الأخرى وربما يكون ذلك فى بعض بطون القبيلة دون بعض[2].

الوتم:

قلب السين تاء عند أهل اليمن فيقولون فى الناس: «النات»[3] قال الشاعر:

يا قـــاتـل الله بـنى الســـعـــلاة عـــمـــرو بن يـربوع شـــرار الـنات

ليسوا أعفاء ولا أكيات

ويقال: إن إبدال السين تاء من قـبيح البدل أو من قبـيح الضرورة[4] وبعضهم يقول: إنه نادر[5] أو على البدل الشاذ.

ولكن حكى عن أبى عمرو أن قلب السين تاء لغـة وذلك قد ورد فى قراءة الناس: النات فى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس: ١] وقال إنها لغة قضاعة[6].

ويقـول الرجل لعدوه: لا بأس عليك: تأمـينًا له وهذا فى اللغـة العامـة وعند حمير يقال (لبات) وعليه قول الشاعر:

---

(١) لغة تميم د. ضاحى عبد الباقى ص٨٤ وانظر ص٢٣٥ وما بعدها من هذا الكتاب.

(٢) انظر ص ٢٨٩ من هذا الكتاب لمعرفة نظائر لذلك.

(٣) المزهر ١/ ٢٢٢.

(٤) النوادر فى اللغة لأبى زيد: ص٣٤٥، ٤٢٣.

(٥) شرح الشافية ٣/ ٢٢١.

(٦) مختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه: ص١٨٣.

شربنا اليوم إذ غضبت غلاب بتسهيد وعقد غير مين

تنادوا عند غدرهم لبات وقد بردت معاذر ذى رعين[1]

ولبات بلغتهم: لا بأس، قاله الأزهرى[2].

ويقال: الكرم من توسه وسوسه أى من خليقته، ورجل حفيتأ وحفيسأ: ضخم البطن قصير[3].

وأورد ابن جنى (ست) فى سدس والسنات وأكيات فى الناس وأكياس وطست فى طس وختيت فى معنى خسيس، وبذلك يتبين أن السين أبدلت تاء فى أول الكلمة ووسطها وآخرها.

وأوضح ابن جنى رأيه فى أن السين قلبت تاء فيما ذكر ففى المثال الأول قلبوها تاء لتقرب من الدال التى قبلها والتاء مع ذلك حرف مهموس كما أن السين مهموسة فصار التقدير: سدت فلما اجتمعت الدال والتاء وتقاربتا فى المخرج أبدلوا الدال تاء لتوافقهما فى الهمس ثم أدغمت التاء فى التاء فصارت (ست) كما ترى[4]، وكذلك تحدث عن البواقى، ففى الناس وأكياس أبدلت السين تاء لموافقتها إياها فى الهمس والزيادة وتجاور المخرج، وفى ختيت أبدلوا السين تاء، وقد أكد الدكتور أنيس هذا التقارب الصوتى وقال: إنهما يكادان يكونان متماثلين فى المخرج كما أن كلاً منهما صوت مهموس ولم يبق إذًا إلا أن يلتقى طرف اللسان بأصول الثنايا العليا التقاء محكمًا فإذا افترقا سمعنا التاء وإذا لم يكن الالتقاء محكمًا فهى السين[5].

ونحن نلمح بعدا بين الحرفين فبينهما فى المخرج الصاد والزاى ولكن اشتراكهما فى طرف اللسان ربما كان سببًا لهذا التبادل، وإذا رجعنا إلى ما قاله علماء اللغة

(١) غلاب: قبيلة. ذى رعين: حميرى ذكره صاحب الأمالى فى الحديث عن غزو تبع الحميرى بلاد العجم.

(٢) التهذيب ١٣/ ١٠٩، ١١٠.

(٣) الأمالى ٢/ ٦٨.

(٤) سر الصناعة ١/ ١٧١ - ١٧٣.

(٥) فى اللهجات العربية ص١٠٥.

نجد أن هذا من قبيل اللغات المختلفة فبعض العلماء يجعل ذلك الذى هو إبدال السين تاء لهجة تسمى بالوتم وتنسب إلى أهل اليمن[1]، ونسبها بعضهم إلى خثعم وزبيد من قبائل اليمن البدوية[2]، وهذا يؤكد أن ما ورد من هذه الأمثلة من اختلاف الناطقين إذ ليست العلاقة بين التاء والسين قوية تسوغ التبادل وبالرجوع إلى المعاجم فى كلمتى ختيت وخسيس نجد أنهما من مادتين مختلفتين ـ اشتقاقًا ومعنى ـ ففى مادة (خت): الخت الطعن مداركة وموضع والختت محركة الفتور فى البدن والختيت الخسيس والناقص وأخت استحيا وفلانًا أخس حظه[3]، وفى مادة (خس): وخس نصيبه جعله خسيسًا دنيئًا حقيرًا وخسست ـ بالكسرة ـ خسة وخساسة إذا كان فى نفسه خسيسًا والخساسة بالضم علالة الفرس والقليل من المال وتخاسوه تداولوه وتبادلوه[4] ـ فدلالة المادة الثانية على النقص والخسة والحقارة واضحة وحقيقية ودلالة المادة الأولى عليها من قبيل المجاز والتوسع المعنوى ونظرًا لاختلاف المعانى ـ كما ترى ـ لم يكن هناك إبدال وإنما هو اتفاق معنوى تطورى.

وقد ورد فى لسان العرب أن الطس والطسة بفتح الطاء وكسرها لغة فى الطست وقال: ومن العرب من يثقل الطسة ويظهر الهاء، وأورد صاحبه رأيًا ثالثًا نقله عن أبى عبيد فقال: قال أبو عبيد: ومما دخل فى كلام العرب الطست والثور والطاجن وهى فارسية كلها[5].

وعلى هذا فالواضح أن كلمة الطست كلمة أجنبية معربة هذبت على هذا الوضع ونطقها قوم طس وآخرون طست فلا إبدال فى الحقيقة بل اختلاف فى طريقة التعريب.

وفى موضع آخر أوضح ابن جنى أن التاء تقلب سينًا عكس الأول - فى قول العرب:

---

(١) انظر ما سبق ص١٦٢.
(٢) فى اللهجات العربية ص١٠٥.
(٣) القاموس المحيط ١/ ١٤٧.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٢١٠.
(٥) لسان العرب ٧/ ٤٢٨، ٤٢٩.

استخذ فلان أرضًا بمعنى اتخذ[1]، وقد فسر ابن جنى هذا المثال على وجهين فقال:

وفى ذلك عندنا قولان:

أحدهما: أنه يجوز أن يكون أصله اتخذ بوزن افتعل من قوله عز وجل: ﴿لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] ثم إنهم أبدلوا التاء الأولى التى هى فاء افتعل سينًا كما أبدلوا التاء من السين فى ست لأن أصلها سدس فلما كانت التاء والسين مهموستين جاز إبدال كل واحدة منهما من أختها.

والقول الآخر: أنه يجوز أن يكون أراد استتخذ أى استفعل فحذفت التاء الثانية التى هى فاء الفعل كما حذفت التاء الأولى من قولهم: تقى يتقى وأصله اتقى يتقى فحذفت التاء الأولى التى هى فاء.

ورأينا أن الإبدال غير مستساغ هنا لأن مخرجى التاء والسين مختلفان ـ كما عرفنا ـ وهما مختلفتان فى الشدة والرخاوة والصفير، وإن كان الدكتور أنيس أجاز وقوع الإبدال بينهما.

وعلى ما نرى فإما أن يكون استخذ لغة فى اتخذ، وتكون السين من خصائص البادية وتلحق بما يسمى (الوتم) أو نرجح القول الثانى لابن جنى.

الاستنطاء:

جعل العين الساكنة نونًا إذا جاورت الطاء، فأعطى يقال فيها: أنطى[2] ومنه فى قراءة شاذة قرأ بها الحسن وطلحة وابن محيصن وغيرهم وهى قراءة مروية عن رسول الله ﷺ: «إنا أنطيناك الكوثر» فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] ومنه قوله ﷺ - فى حديث الدعاء - «لا مانع لما أنطيت ولا منطى لما منعت» ومن كلامه ﷺ: «اليد العليا المنطية واليد السفلى المنطاة»[3]

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٠٩.

(٢) المزهر ١/ ٢٢٢ والاقتراح ص ٥٠٤ واللسان (نطا).

(٣) البحر المحيط ٨/ ٥١٩.

وقوله ﷺ: «اليد المنطية خير من اليد السفلى» وكتب ﷺ إلى وائل بن حجر: «وأنطوا الثبجة» وقال عليه السلام لرجل: «أنطه كذا» يريد أعطه[1] وقال الأعشى[2]:

جيادك خير جياد الملوك تصان الحلال وتنطى الشعيرا[3]

وواضح أن هذه الظاهرة جاءت فيما وليت فيه الطاء العين، ولكن الدكتور أنيس يرى أن هذه الظاهرة وهى قلب العين الساكنة نونا ليست خاصة بذلك ولم يكن الأمر مقصورًا على الفعل (أعطى) بل يتعلق بنطق كل عين سواء وليها (طاء) أو صوت آخر، فلعل من القبائل من كانوا ينطقون بهذا الصوت بصفة خاصة نطقًا أنفميا، وذلك بأن يجعلوا مجرى النفس معه من الفم والأنف معًا فتسمع العين ممتزجة بصوت النون وليست فى الحقيقة نونًا بل هى (عين).

وفى زعمه أن الرواة قد سمعوا هذه الصفة ممثلة فى الفعل (أعطى) فأشكلت عليهم ولم يصفوها لنا على حقيقتها[4].

ولكننا نرى أن هذا اتهام للقدماء من الرواة الموثوق بهم دون دليل، فهم وصفوا ما سمعوه، وما ادعاه الدكتور أنيس من حدوث الاستنطاء فى غير المروى دعوى بلا دليل ويكفى ما ورد من أمثلة ليكون هو الأساس الذى ينبنى عليه تحقق هذه الظاهرة.

وإذا كان القلب فى الحروف إنما هو فيما تقارب منها مخرجًا أو صفة[5] فإن العين والنون متباعدان مخرجًا، ولكن بينهما تقارب فى بعض الصفات وهى الجهر والتوسط والاستفال والانفتاح وعلى ضوء هذا يسوغ التبادل بينهما، لكننا لا ننظر إلى العلاقة الصوتية لاختلاف اللهجات وربما كانت بقايا لهجية متخلفة بعد تهذيب اللغة.

---

(١) النهاية ٥/ ٧٦ والبحر المحيط ٨/ ٥٠٩ والفائق ٥/ ٧٦ (نطا) والإنطاء: الإعطاء. اللسان ٦/ ٤٦٥.

(٢) من بنى قيس بن عامر.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٥١٩ والأمالى ١/ ٧٥ قال أبو على القالى: وقرأت على أبى بكر بن دريد فى شعر الأعشى: جيادك فى الصيف فى نعمة انظر الديوان ص١٤٩.

(٤) فى اللهجات العربية: ١٤٢.

(٥) سر الصناعة ١/ ١٩٧.

ويرى الدكتور السامرائى أن «ملاك الأمر فى هذه النون أنها لم تكن مقابلة للعين فى أعطى وإنما جاءت من أن الفعل هو (آتى) بمعنى (أعطى) ثم ضعف فصار (أتى) بتشديد التاء ومعلوم أن فك الإدغام فى العربية وفى غيرها من اللغات السامية يقتضى إبدال النون بأحد الحرفين المتجانسين كما تقول فى العربية (جندل) من (جدّل) بتشديد الدال وهذا معروف[1].

ويرى أحد المستشرقين أن أنطى مقابل للفعل (نطا) العبرى بمعنى مد يده إلى فلان فقد صار الفعل على وزن (أفعل) فى العربية بزيادة الهمزة[2].

ويرى الدكتور عبد الرحمن أيوب أن فى العربية الفعل (ناط) بمعنى أسند الأمر لإنسان ما ليقوم به والفعل فى العبرية (ناتا) وهو فى الأمهرية مزيد عليه الهمزة كالفعل العربى (أعطى) ووجود النون فى العبرية فاء للفعل والميم فى الأثيوبية دليل على أن المادة الأصلية للفعل العربى (ن ط ى)[3].

ولعل فى ذلك ما يشير إلى وجود لهجتين فى الكلمة العربية التى قرئ بها فى القرآن الكريم.

وقد نسب الاستنطاء إلى سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس[4] والأنصار وفى اللسان أنها لغة أهل اليمن، وفى البحر المحيط عن أبى زكريا التبريزى[5] وأبى الفضل الرازى أنها لهجة العرب العاربة[6] قال: إن عنيا النون فى هذه اللغة (أنطيناك) مكان العين فى غيرها فحسن، وإن عنيا البدل الصناعى فليس كذلك بل كل واحد من اللغتين أصل بنفسه لوجود تمام التصرف من كل واحدة، فلا تقول: الأصل العين ثم أبدلت النون منها.

وهى لهجة لا يزال بعض البدو ينطق بها فى الصحراء[7] كأعراب الفيوم الذين

---

(١) دراسات فى اللغة د. السامرائى ص٢١٧.

(٢) فى اللهجات العربية د. أنيس ١٤٢ والمستشرق هو: رابين. (٣) العربية ولهجاتها ص٥١.

(٤) لعلها بنو قيس بن عامر من القحطانية. معجم القبائل العربية لكحالة ٣/ ١٧٢.

(٥) المزهر ١/ ٢٢٢ وتاج العروس ٢٥٨، ٢٥٩ ومميزات لغات العرب: ص١٥.

(٦) البحر المحيط ٨/ ٥١٩ عند شرح قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

(٧) مميزات لغات العرب ص١٥.

يرجعهم بعض الباحثين إلى أصل عربى وأنهم من بنى سعد[1] ولعلها تناسب بيئة البدو.

الطمطمانية:

يذكر بعض اللغويين أن الطمطمانية معناها العجمة[2] أو أن يكون الكلام مشبهًا لكلام العجم قال الشاعر:

تبرى له حول النعام كأنها حزق يمانية لأعجم طمطم[3]

وهى إبدال لام التعريف ميمًا.

يقول الثعالبى: الطمطمانية تعرض فى لغة حمير كقولهم: طاب امهواء يريدون: طاب الهواء[4].

وفى حديث أبى هريرة: أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال: الآن طاب امضرب أى حل القتال أراد طاب الضرب فأبدل لام التعريف ميمًا وهى لغة عربية يمانية[5].

ويفرق ابن الأثير بين قلب النون الساكنة ميمًا مع الباء فى مثل عنبر وشنباء وأنبئهم وهو ما يسمى بالإقلاب ـ عند علماء الأداء ـ وبين قلب لام التعريف ميمًا فى مثل طاب الهواء وهى الطمطمانية ويجعل النون لأهل اليمن فيقول: وفى كتابه ﷺ لوائل بن حجر: من زنى مم بكر فاصقعوه مائة أى اضربوه وأصل الصقع الضرب على الرأس وقيل: الضرب بباطن الكف ومم بكر لغة لأهل اليمن ومثله مم ثيب إلخ..

فقلب النون ميمًا أما مع بكر فلأن النون إذا سكنت قبل الباء فإنها تقلب ميمًا

---

(١) لغة هذيل ص١١٥. (٢) الفائق ٢/ ٤٥٩.
(٣) الكامل ١/ ٢٣٥.
(٤) فقه اللغة وسر العربية ص١٢٩ ومجالس ثعلب ١/ ٧٣.
(٥) النهاية ٣/ ١٥٠.

فى النطق نحو عنبر وشنبـاء وأما مع غير الباء فـإنها لغة عربية يمانية كـما يبدلون الميم مع لام التـعريف[1] وأهل اليمـن على هذا يبدلون النون مـيمًا فـى مثل مم بكر.

وروى عن شمـر أنه سأل امرأة حمـيرية عن بلادها فقـالت: النخل قال ولكن عيشتنا امقمح - امفرسك - امعنب[2] امحماط طوب أى طيب..

ويقول الحريرى:

«وقد روى عن حميـر أنهم يجعلون آلة التعريف (ام) فيـقولون: طاب امضرب يريدون: طاب الضـرب، وجاء فى الآثار فيـما رواه النمـر بن تولب أنه ﷺ نطق بهذه اللغة فى قوله: ليس من امبر امصيام فى امسفر[3].

وأنشد أبو عبيد -ونسب إلى بجير بن عتيمة الطائى-:

ذاك خـلـيـلـى وذو يـواصـلـنـى يرمى ورائى بـامـسـهم وامـسـلـمـة

أراد: بالسهم والسلمة وهى من لغات حمير[4].

فأم هى أداة الـتعريف بلغـة أهل اليمن بمعـنى الألف واللام والألف فيـها ألف وصل تكتب ولا تظهر إذا وصلت ولا تقطع كما تقطع ألف أم، وفى البيت السابق وصل الميم باللام ويقول الأزهرى: والوجـه ألا تثبت الألف فى الكتابة لأنهـا ميم جعلت بدل الألف واللام للتعريف[5].

ويروى ثعلب عن الأخفش أنه سمع قائلاً يقول: قام امرجل، يريد: قام الرجل قال ثعلب: هذه لغة للأزد مشهورة[6].

ويقول الأشمونى: مثل (ال) (أم) فى لغة طيئ[7] وتبدل اللام فى أداة التعريف

(١) النهاية ٣/ ٤٢، ٤/ ٣٦٣.
(٢) المزهر ١/ ٢٣٩. وانظر التهذيب ١/ ٤٢٤ ولسان العرب ١٢/ ٣٦٣.
(٣) درة الغواص ص٢٤٩ والنهاية ٣/ ٣٠٣ والخصائص ١/ ٤١١.
(٤) التهذيب ١٢/ ٤٤٧ واللسان (سلم).
(٥) التهذيب ١٥/ ٦٢٥. (٦) مجالس ثعلب ١/ ٥٨.
(٧) شرح الأشمونى ١/ ٥٩.

ميمًا ـ سواء كانت (أل) شمسية أم قمرية ـ كما ذكرنا فى الحديث السابق ليس من امبر إلخ وقام امرجل فهذا الإبدال حادث فى كلام اليمنيين فيما فيه (أل) مطلقًا[1] ولكن ابن هشام فى المغنى يذكر أن بعض طلبة اليمن حدثه بأن اليمنيين لا يبدلون اللام ميمًا فى (أل) الشمسية ويخصون ذلك بأل القمرية قال: (حكى لنا بعض طلبة اليمن أنه سمع فى بلادهم من يقول: خذ الرمح واركب امفرس ولعل ذلك لغة لبعضهم لروايتها فى امسهم وامسلمة وفى الحديث ليس من امبر إلخ دخلت على النوعين)[2].

والثابت إبدالها فى الشمسية والقمرية على سواء ورواية الطلبة ليست حجة لأنها تعبر عن طريقة اليمنيين المحدثين وربما حدث تغير لغوى وتأثر بعرب الشمال ولا سيما فى هذه العصور المتأخرة.

وقد جعل ابن جنى إبدال اللام ميمًا شاذاً لا يسوغ القياس عليه[3] لأنه لم يسمع غير الحديث: (ليس من امبر امصيام فى امسفر) وراوى الحديث هو النمر بن تولب الذى يقال: إنه لم يرو عن رسول الله ﷺ غير هذا الحديث[4].

ونحن نرى تقاربًا بين اللام والميم يسمح بالتبادل بينهما، ولكن لأنهما لهجة مخالفة للشائع عدت شاذة تحفظ ولا يقاس عليها لكن ما سمع منها يحكى على ما هو عليه، وقد نسبها إلى حمير[5] غير واحد من الباحثين القدامى والمحدثين،

---

(١) وانظر الهمع للسيوطى ١/ ٢٧٣.

(٢) مغنى اللبيب مع حاشية الأمير ١/ ٤٧.

(٣) الخصائص ١/ ٤١١.

(٤) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ٨١ الوجهان، وربما بنى ابن جنى رأيه على بعد مخرجيهما ولكن شيئًا آخر يسوغ هذا التبادل وقد ورد الحديث فى مسند الإمام أحمد بلهجة حمير وهو حديث كعب بن عاصم الأشعرى: حدثنا عبد الله عن أم الدرداء عن كعب بن عاصم الأشعرى وكان من أصحاب السقيفة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس من امبر الحديث.. مسند أحمد ٥/ ٤٣٤ وورد الحديث بلام التعريف فى فتح البارى ٩/ ٧، ١١ فى كتاب الجهاد والسير والمغازى والصيغة الأولى ربما كانت فى التحدث إلى يمنيين ولعل اختلاف الرواية لاختلاف المقام الذى قيلت فيه.

(٥) انظر المغنى لابن هشام ١/ ٤٧ والهمع ١/ ١٧٩.

وبعضهم نسبها إلى أهل اليمن أو طيئ أو الأزد وكلها قبائل يمنية جنوبية[1] لأن الأزد من قحطان وطيئ كذلك وهى قبائل كانت تسكن جنوب اليمن، ونسبتها إلى اليمن مشهورة.

وبعض المحدثين ينكر أن ينسب إبدال اللام ميمًا فى أداة التعريف إلى حمير لأن الحميريين لا يستعملون ذلك فى التعريف، وإنما أداة التعريف عندهم (ن) أو (ان) ويزعم أن الحديث المروى فى ذلك ضعيف أو مكذوب وضعه اللغويون شاهدًا على الطمطمانية وأن الرسول تكلم بلسان حمير، ويرى أن تنسب هذه الظاهرة إلى بعض عشائر طيئ[2] ولكن ما رآه هذا المحدث غير صحيح، لأنه رمى الحديث بالضعف والكذب دون دليل من علم الحديث وبتجرؤ غير مقبول، مع أن الحديث صحيح روته الكتب المعتمدة، فقد ورد فى مسند الإمام أحمد بن حنبل[3] وفى موطأ الإمام مالك[4] وفى منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى[5] وللفقهاء استدلال بهذا الحديث فى شأن المسافر.

وقد نسبت الطمطمانية إلى حمير وإلى اليمن[6].

وزعم بعض الباحثين أن علماء العربية خلطوا بين اليمن وحمير وربما أنهم فعلوا ذلك لعدم معرفتهم باللغة الحميرية فظنوا أنها هى اليمنية والحق أن الحميرية شىء واليمنية شىء آخر[7].

---

(١) النهاية ٣/ ١٣٩ والبيان والتبيين ٣/ ٢١٣ ومغنى اللبيب ١/ ٤٧، ٤٨ والهمع ١/ ٧٩ ودرة الغواص ص٤٩ والأشمونى ١/ ٩٦، ٩٧ وشرح الشافية ٣/ ٢١٥ واللهجات العربية د. نجا ص٤٨ وفى اللهجات العربية د. أنيس: ص١٤٢ عزاها هؤلاء إلى طيئ وعزاها ثعلب فى المجالس إلى الأزد ونسبها ابن يعيش فى المفصل ٩/ ٢٠٠ وابن منظور فى اللسان ١٠/ ٨٣ إلى اليمن.

(٢) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ٨/ ٥٧٦.

(٣) ٥/ ٤٣٤.

(٤) ٢/ ٩٨.

(٥) هامش مسند أحمد ٣/ ٣٤٤.

(٦) شواهد العينى على الأشمونى ١/ ٩٦ وشرح المفصل ٩/ ٢٠.

(٧) اللهجات العربية فى التراث ١/ ٣٩٩ ودراسات فى اللغة العربية د. خليل نامى: ٤٥.

والواقع أن هذا المدعى من التفـريق بين حميـر واليمن غيـر صحيح، فاليـمنية تشمل الحميرية، وحمـير كبرى الدول اليمنية وتنسب إليها اللهجـات اليمنية فيقال اللهجات الحميرية أحيانًا والسبئية أحيانًا أخرى[1].

وبين اللام والميم نسب قـريب إذ هما من الأصـوات الذلقية والمخـارج متـقاربة وبينهما اشتـراك فى بعض الصفات كالجهر والتوسط بين الشـدة والرخاوة - خلافًا لسيبويه فى اللام فإنها شديدة عنده - والاستفال والانفتاح[2].

****

(١) انظر كتابنا: اللغة العربية خصائصها وسماتها.

(٢) انظر كتابنا: أصوات اللغة العربية.

الإمالة والفتح[1]

الإمالة: أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف إن كان بعدها ألف نحو الياء وإلا فالممال الفتحة وحدها مثل: نعمة و﴿بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤] ورأيت خبط رياح ومن عمرو والفتى، والهدى، وملهى، وأرطى[2]، وباع، وعالم، وكاتب، والضحى، وشملال[3] وسربال ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦][4] ونحو ذلك[5].

هذا هو النوع المشهور بين القراء حتى ليكاد يفهم عند إطلاق اسم الإمالة لدى الباحثين فى القراءات واللغة.

وقد أضاف ابن جنى إلى ذلك ألوانا أخرى من الإمالة:

١- الفتحة الممالة نحو الضمة:

وهى التى تكون قبل ألف التفخيم نحو الصلاة والزكاة ودعا وغزا، وقام وصاغ وقال: كما أن الحركة أيضًا هنا، قبل الألف، ليست فتحة محضة، بل هى مشوبة بشىء من الضمة، فكذلك الألف التى بعدها ليست ألفا محضة، لأنها تابعة لحركة هذه صفتها، فجرى عليها حكمها.

وإمالة الفتح إلى الضم لم يشتهر بين القدماء ولكن ابن جنى أوضحه على الصورة السالفة وقال: إن لمح الإمالة فيه هو الذى تسبب فى أنهم كتبوا الصلوة، والزكوة والحيوة، بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو[6] ويقصد بذلك كتابتها فى المصحف العثمانى[7].

---

(١) قد يسمون الإمالة الكسر والبطح والإضجاع، ويسمون الفتح النصب.

(٢) الأرطى: شجر من شجر الرمل. اللسان ط بيروت ١/ ٣٢٥.

(٣) الشملال والشمال واحد بمعنى اليد الشمال، والشملال: الناقة الخفيفة السريعة. اللسان ١١/ ٣٧١.

(٤) فإذا كانت الفتحة وحدها -بدون ألف- أميلت نحو الكسرة مثل نعمة وبسحر، وإن كانت مع الفتحة ألف -أى بعدها- ذهبت إلى جهة الياء كالفتى ونحوه، وسيأتى شرح الإمالة فى الأمثلة بعد.

(٥) سر الصناعة ١/ ٥٨، ٥٩ والأشمونى ٤/ ٢٢٠-٢٣٥، وأوضح المسالك مع المنار ٢/ ٣٥٠-٣٥٩، والنشر ١/ ٣٠.

(٦) غير أن ابن جنى يقول بإمالة نحو دعا وغزا (إلى الياء) لأنها تئول إليها عند البناء للمجهول نحو دعى وغزى -بضم الفاء وكسر العين- وهو عند سيبويه مطرد، وقال المبرد: إنه قبيح. أما الاسم ذو الواو مثل الصلاة والزكاة فلا يمال عندهم. انظر: الأشمونى ٤/ ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٣١.

(٧) سر الصناعة ١/ ٥٦، ٥٩، ٦٠.

٢- الكسرة المشوبة بالضمة:

نحو: قيل، وبيع، وغيض، وسيق، فكما أن الحركة، قبل هذه اليـاء، مشوبة بالضمة، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو.

وهذا قد تعرض لـه القدماء، عند حديثهـم عن بناء الفعل للمجهـول، وسموه بالإشمـام، يقول الأشمونى شـارحا كلام ابن مـالك: (واكسر أو اشمم فـا) فعل (ثلاثى أعـل ∴ عينا) واويا أو يائيا، فـقد قرئ: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ [هود: ٤٤] بهما، والإشمـام هو: الإتيان بحركة بين الضم والكسر، وقد يسمى روما.

ويقول الصبان: الحركات ست: الثلاث المشهورة، وحركة بين الفتحة والكسرة، وهى التى قبل الألف الممالة، وحـركة بين الفتحة والضـمة، وهى التى قبل الألف المفخمـة، فى قراءة ورش، نحو: الصلاة والـزكاة، والحياة، وحركـة بين الكسرة والضمة، وهى حركة الإشمام، فى نحو: قيل: وغيض، على قراءة الكسائى[١].

والإشمـام فصيح وإن كـان قليلا[٢] وقد قـرئ به فى القرآن الكريم: ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٣] قرأ الجمـهور (سىء) بكسر السين، وأشـمهـا نافع وابن عـامر والكسـائى، وهكذا: ﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧] أشمهـا الضم أبو جعفر والحسن، وأبو رجاء، وشـيبة، وابن وثاب، وطلحة، وابن عامر، ونافع، والكسائى[٣].

وعلى الرغم من حـديث القـدماء عن ذلك فـإنهم لم يفـصـحوا عن الإمـالة الموجودة فى هذا المسلك اللغوى، ولكن ابن جنى أوضحها.

٣- الضمة المشوبة بالكسرة:

مثل: مررت بمذعور، وابن بور، نحوت بضمة العين، والباء نحو كسرة الراء، فأشـممتهـا شيئًا من الكسـرة، وكما أن هذه الحـركة قبل هذه الواو ليست ضـمة محضة، ولا كسرة مرسلة فكذلك الواو، أيضًا، بعدها، هى مشوبة بروائح الياء.

(١) الأشمونى مع الصبان ٣/ ٦٢، ٦٣.

(٢) المغنى فى تصريف الأفعال ص٢٠٢.

(٣) المصدر السابق ص٢٠٣.

ومثل ذلك: الفعل المبنى للمجهول الأجوف فإن بنى فقعس، ودبير، يضمون أوله، فتقلب ألفه واوا: فيقال فى باع: بوع، وفى حاك: حوك كقول الشاعر:

ليت وهل ينفع شيئًا ليت ليت شبابًا بوع فاشتريت

وكقول الآخر:

حوكت على نيرين إذ تحاك تختبط الشوك ولا تشاك

وبعض القبائل يميل الضمة فى الفعلين - وأمثالهما - نحو الكسرة، وليس ذلك من الشيوع والكثرة كغيرها من اللهجات[1].

وقد شرح ابن جنى الأسرار اللغوية الباعثة على حدوث الإمالة من الفتحة إلى غيرها من أخواتها، وهى الكسرة والضمة، دون العكس، بأن نحى بالكسرة والضمة نحو الفتحة.

وقد اعتمد حديثه، على أن الفتحة هى أول الحركات، وأدخلها فى الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة، فعند النطق بالفتحة تمر بمخرج الياء، والواو، لأنهما فى طريقها، فجاز أن تشمها شيئًا من الكسرة، أو الضمة، ولو تكلفت أن تشم الكسرة، أو الضمة، رائحة من الفتحة، لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان فى ذلك انتقاض عادة الصوت، بتراجعه إلى ورائه، وتركه التقدم إلى صدر الفم، والنفوذ بين الشفتين فلما كان فى إشمام الكسرة، أو الضمة، رائحة الفتحة، هذا الانقلاب والنقض، ترك ذلك فلم يتكلف ألبتة[2].

وأما انتحاؤهم، بالضمة نحو الكسرة، وإن كان فيه رجوع إلى الوراء، فلأن بين الضمة والكسرة، من القرب، والتناسب ما ليس بينها، وبين الفتحة، وهو -مع ذلك- قليل مستكره، ألا ترى إلى كثرة: قيل وبيع، وغيض، وقلة: نحو: مذعور وابن بور.

---

(١) الأشمونى ٢/ ٦٣ واللهجات العربية د. نجا ص٧٧.

(٢) سر الصناعة ١/ ٦٠، ٦١ وقد بنى ابن جنى هذا التحليل الصوتى على ما لاحظه من أن الحلق، والفم ينفتحان مع الألف وأن الأضراس وجنبتى اللسان، وظهره مع الحنك الأعلى تكون لها صورة خاصة، حال النطق بالياء، وأن الشفتين تستديران عند بروز صوت الواو، فلأجل ذلك جعلها مرتبة على الوضع المذكور، وعليه بنى إحساسه بالانتقاض لصعوبة تحقيق خصائص كل منها، حال الرجوع إلى الخلف.

وهذا الدليل قوى، لأن الرجوع إلى الخلف، صعب على اللسان، وجواز ذلك بين الضمة، والكسرة، راجع إلى اشتراكهما فى معنى الثقل، وطبيعة التكوين المخرجى، الأمر الذى يجعل كلا منهما، يشبه الآخر من هذا الاتجاه، فيصير الجو مهيئًا، لاستقبال واسطة بينهما عن طريق الإمالة، فأما الفتحة، فهى حركة مستعذبة، وهى طريق آخر غيرهما، فامتنع الرجوع منهما إليها، للبعد الصوتى، وعدم القدرة على مباشرة النطق، على الهيئة المطلوبة، ومع جواز إمالة الضمة إلى الكسرة، فإنه أمر مستكره، على ما بينا.

وقد وصف القدماء ظاهرة الإمالة، وأوضحوا أسبابها، على نحو فتح الطريق أمام المحدثين، ليقولوا كلمتهم على حسب نظريات علم الأصوات الحديث[1].

فقد ذكروا لها أسبابًا عدة، وجعلوا السبب الرئيس، منها: هو التناسب، يقول الأشمونى: (اعلم أن الغرض الأصلى منها هو التناسب، وقد ترد للتنبيه على أصل أو غيره، كما سيأتى[2] وذلك أن النطق بالفتحة، والألف، تصعد واستعلاء، وبالكسرة والياء، انحدار وتسفل، فإذا أملت الألف قربت من الياء، وامتزج بالفتحة طرف من الكسرة، فتصير الأصوات من نمط واحد، فى التسفل والانحدار[3] وعبر عن ذلك ابن جنى بقوله «لضرب من تجانس الصوت)[4] وجعل سيبويه هذا التقريب التماسا للخفة[5].

كما عللوا لذلك بسببين آخرين، أحدهما لفظى وهو: الياء، والكسرة، وثانيهما، معنوى وهو: الدلالة على ياء أو كسرة، وبينوا -من خلال ذلك- أن أسباب إمالة الألف ثمانية:

١- انقلابها عن الياء مثل: الفتى، والهدى وهدى، واشترى.

---

(١) انظر فى اللهجات العربية د. أنيس ص٤-٥٩ وغيرها ورسالة الدكتور عبد الفتاح شلبى للماجستير عن الإمالة فى القراءات واللهجات العربية.

(٢) الأشمونى ٤/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٢٠ ومنار السالك ٢/ ٣٥٠ والنشر ١/ ٣٥.

(٤) سر الصناعة ١/ ٥٨ وشرح المفصل ٩/ ٥٤.

(٥) الكتاب ٤/ ١١٧ وانظر المفصل -نقلا عنه- ٩/ ٥٤، ٥٥.

٢- مآلها إلى الياء، فى بعض التصاريف كألف ملهى وأرطى وغزا، لقولهم: ملهيان، وأرطيان، وغزى بالبناء للمفعول[١].

٣- كون الألف مبدلة من عين فعل يئول عند إسناده إلى التاء إلى قولك (فلت) بكسر الفاء، سواء كانت تلك الألف، منقلبة عن ياء، نحو: باع، وكال، وهاب، أم عن واو مكسورة، كخاف، وكاد.

٤- وقوع الألف بعد الياء، متصلة كبيان، أو منفصلة بحرف، كشيبان، وجادت يداه، أو بحرفين، أحدهما الهاء، نحو: دخلت بيتها.

٥- وقوع الألف قبل الياء كبايعته، وسايرته.

٦- وقوع الألف بعد الكسرة، منفصلة إما بحرف، نحو: كتاب وسلاح، أو بحرفين، أحدهما هاء نحو: يريد أن يضربها، أو ساكن نحو: شملال وسرداح[٢] أو بهذين وبالهاء نحو درهماك.

٧- وقوع الألف قبل الكسرة، نحو: عالم، وكاتب.

٨- إرادة التناسب، وذلك إذا وقعت الألف، بعد ألف فى كلمتها، أو كلمة قارنتها، قد أميلتا لسبب، فالأول كرأيت عمادا، وقرأت كتابا، والثانى كقراءة أبى عمرو والأخوين ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ [الضحى: ١] بالإمالة، مع أن ألفها منقلبة عن واو الضحوة لمناسبة ﴿سَجَىٰ﴾ [الضحى: ٢] وما بعدهما.

كما أن الفتحة تمال لوقوعها قبل حرف من ثلاثة:

١- الألف: وقد مضت، وشرطها: ألا تكون فى حرف، ولا فى اسم يشبهه، «وذلك لأن الإمالة نوع من التصرف وهو لا يدخل الحرف ولا ما يشبهه».

٢- الراء: بشرط كونها مكسورة، وكون الفتحة فى غير ياء، وكونهما، متصلتين، نحو: ﴿مِنَ الْكِبَرِ﴾ [مريم: ٨]، أو منفصلتين بساكن غير ياء، نحو: من عمرو، ورأيت خبط رياح.

---

(١) لذلك مستثنيات معروفة فى فن الصرف.

(٢) السرداح: الناقة الطويلة، وقيل: الكثيرة اللحم، والسرداح المكان اللين وأرض سرداح: بعيدة والسرداح: الضخم أو القوى الشديد التام. اللسان ٢/ ٤٨٢.

٣- هاء التأنيث: وإنما يكون هذا فى الوقف، خاصة، كـرحمة، ونعمة، لأنهم شبهـوا هاء التأنيث بألفه[١]، لاتفاقهـما فى المخرج، والمعنى، والزيادة، والتطرف والاختصاص بالأسماء، وعن الكسائى إمالة هاء السكت ـأيضًاـ نحو: ﴿كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] والصحيح المنع، خلافا لثعلب، وابن الأنبارى[٢].

وقد نظر المحـدثون إلى هذه الأسباب المخـتلفة، وفسـروها تفسـيرًا يتناسب مع طبيـعة التطور، الذى خضـعت له اللغة العربـية، كسائر الـلغات، والكائنات فى تاريخها الطويل.

فالمعروف أن الإمـالة اشتهرت عند قـبائل شرقى الجزيرة ووسطهـا مثل: أسد، وعبد القيس، وتميم، وتغلب، وطيئ، وبكر بن وائل.

كمـا اشتهـرت على ألسنة قراء الكوفـة، بالعراق فى القـرن الثانى الهـجرى، أمثال: حمزة، والكسائى، وخلف.

كما كان لها تأثير واضح ـ أيضًا ـ على ألسنة علماء الكوفة، وأهلها، واستمر ذلك حـتى عصـر أبى عـمرو الدانى، فى الـقرن الخـامس الهجـرى، فـقد قـيل للكسائى: إنك تميل ما قـبل هاء التأنيث فقال: هذا طباع أهل العربـية قال الحافظ أبو عمـرو الدانى: إن الكسائى «يعنى بذلك[٣] أن الإمالة لغـة أهل الكوفة، وهى باقية فيهم إلى الآن، وهم بقية أبناء العرب»[٤].

وهؤلاء وأولئك متـأثرون بالقبائل العـربية التى هاجرت إلى العـراق من شرقى الجزيرة، ووسطها، وهم أرباب الإمالة السابقون.

وهذه القبائل بدوية، تميل إلى عدم وضوح الأصوات، والخلط بينها، ولا ريب أن الإمالة تخلط بين الصوتين، فهى تجعل الفتحة قريبة من الكسرة، والألف قريبة من الياء، وهكذا تقرب الأصوات، أو تتجانس، ويحدث التناسب بينها.

---

(١) أى بألف التأنيث مثل ذكرى ونحوها.

(٢) انظر فى كل هذه الأسباب: الأشمونى وأوضح المسـالك، واللفظ لابن هشام، وانظر كتب القراءات مثل النشر وإتحاف فضلاء البشر وغيرهما.

(٣) الإشارة إلى إمالة ما قبل هاء التأنيث.

(٤) النشر ٢/ ٨٢.

وهذا يساعد على سرعة النطق، وعدم بذل مجهود عضلى كبير، وهو من خصائص البدو.

ويبدو أن الإمالة، كانت شديدة، لدى قبائل وسط الجزيرة، لتوغلهم فى البداوة وبعدهم عن الحضر، على حين كانت خفيفة لدى قبائل شرقيها، لمتاخمتهم لمدن العراق[1].

أما الفتح - كما يسمونه وهو عدم الإمالة - فإنه يؤدى إلى فصل الأصوات، وإعطاء كل منها حقه من النطق، وهذا يحتاج إلى جهد عضلى كبير، وهو من صفات المتحضرين الذين يميلون إلى الأناة، وعدم السرعة فى النطق، وحياتهم المستقرة تدعوهم إلى بذل مجهود أكبر، لإبراز الأصوات فى صورة واضحة، متناسقة.

ولذلك اشتهر الفتح عن قبائل غربى الجزيرة، من سكان الحجاز كقريش، وثقيف، وسعد بن بكر، والأنصار، وكنانة، وهوازن.

والإمالة والفتح، حركتان تدخلان ضمن أصوات اللين، سواء كانت الحركة قصيرة كإمالة الفتحة، أو طويلة، كإمالة الألف، والفرق بين القصيرة والطويلة، فى الأصوات اللينة، لا يعدو أن يكون فرقا فى المدة، التى يستغرقها النطق بكل منهما.

واللسان، مع الفتحة، يستوى فى قاع الفم، ومع الكسرة يرتفع إلى أقصى درجة فى الارتفاع بحيث لا يصدر حفيفًا.

فعند استواء اللسان، فى قاع الفم توجد حالة الفتح، وعندما يرتفع ينشأ وضع الإمالة.

وتبعًا لمقدار الارتفاع تكون الإمالة شديدة أو خفيفة.

فالذى يلاحظ أن وضع اللسان عند الحضرى يختلف عنه عند البدوى، فهو عند الأول مستو فى قاع الفم، وهو عند الثانى مرتفع فى اتجاه الحنك الأعلى، وهذا يحمل الإشارة بأن العرب كانت تتخير لنطقها ما يتفق مع طبيعتها الاجتماعية.

---

(١) فى اللهجات العربية ص٩٠، ٩١.

وقد قسم الدكتور إبراهيم أنيس الإمالة إلى نوعين مختلفين:

١- صوت لين خالص، تكون من صوت لين مركب.

٢- تغير فى مقياس صوت من أصوات اللين.

وقال: إننا «نلحظ الحالة الأولى، حين يكوت صوت اللين طويلاً، ومنقلبًا عن أصل، من أصول الكلمة، يائيا كان أو واويّاً، ففى مثل الفعلين: باع، وقال، يظهر أنه قد أتى عليهما حين من الدهر كان ينطق بهما (بيع وقول) ثم تطور الصوت الأول (ai) إلى (e) والصوت الثانى (au) إلى (o) أى أن فتحة فاء الكلمة فى الفعل الأول، قد أميلت إلى الكسرة، وأنها فى الفعل الثانى، قد أميلت إلى الضمة.

وعلى هذا إذا قيل لنا: إن من أسباب إمالة ألف المد، كون أصلها ياء، كما فى (باع) وجب أن نفهم من هذا أن الأصل اليائى، قد تطور أولاً، إلى الإمالة، ثم تطورت الإمالة إلى الفتح، أى أن المراحل التى مر فيها مثل هذا الفعل (باع) هى (بيع) ثم (إمالة) ثم (فتح) فالصوت المركب (ai) قد تطور أولا إلى (e) ثم إلى (a) وهكذا يرجح الدكتور أنيس أن بعض الكلمات العربية التى اشتملت على ياء أصلية، قد تطورت أولا إلى الإمالة، ثم إلى الفتح[١].

واستنبط من هذا أن قبائل الحجاز التى عرف عنها الفتح، قد قطعت مرحلة أخرى، فى تطور لهجاتها، على حين أن بعض القبائل فى وسط الجزيرة، وشرقها قد احتفظت بمرحلة الإمالة، التى هى أقدم حين تكون الياء، أصلية فى الكلمات.

ويرجع السر فى احتفاظ البدو بهذه الظاهرة، إلى أنهم عرفوا بها، فتعصبوا لها.

وقارن بين هذا النطق الفصيح، وبين ما تطورت إليه بعض اللهجات الدارجة فى مصر فى مثل كلمات (ليه وايه) ففى الفيوم يقولان لاه، وعشان آه و(شىء) (ai) تطورت إلى شىء (e) بل يقولون: شاء عجيب[٢].

---

(١) للاقتصاد فى الجهد العضلى، والميل إلى السهولة التى يلجأ إليها الإنسان فى معظم ظواهره الاجتماعية.

(٢) فى اللهجات العربية ص٥٤-٥٧.

أما حين تعرض الإمالة، لغير أصل من أصول الكلمة، كإمالة الفتحة أو إمالة ألف المد غير المنقلبة عن أصل، فليس هذا إلا نوعًا من الانسجام بين أصوات اللين، لتقليل الجهد العضلى، وهو منسوب إلى القبائل البدوية أيضًا، لأن الحضريين يميلون إلى وضوح الأصوات وفصلها[1].

وقد استنتج ـ بناء على هذا ـ أن كلمة (كتاب) ـ كما ينطق بها بغير إمالة ـ أقدم فى نسجها منها مع الإمالة.

ومن هنا انتهى إلى أن إمالة الفتح إلى الكسر، يجب فى الحقيقة أن يعزى إلى أحد عاملين:

١- الأصل اليائى.

٢- الانسجام بين أصوات اللين.

وجعل من الثانى الانتقال من الكسر إلى الفتح فى تلك الأفعال الثلاثية التى رويت لنا مرة، مثل: فرح، وأخرى مثل: فتح، دون تغير فى معناها مثل: خطف، خبط، قنط، وصورة فرح أقدم، وقد تطورت إلى صورة فتح، ليتحقق الانسجام بين الحركات[2].

وتطور الأصوات، وانتقالها من حال إلى حال، لا يؤمن بها بعض القدماء، كابن جنى، فهو لا يعترف بأن ما قرروه أصلا، كان مستعملا فى زمن ما، يقول: هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه، لا حقيقة تحته، وذلك قولنا: الأصل، فى قام، قوم، وفى باع: بيع، وفى طال: طول، وفى خاف ونام وهاب: خوف، ونوم وهيب، وفى شد: شدد، وفى استقام: استقوم، وفى يستعين: يستعون، وفى يستعد: يستعدد، فهذا يوهم أن هذه الألفاظ، وما كان نحوها، مما يدعى أن له أصلا، يخالف ظاهر لفظه، قد كان مرة يقال، حتى إنهم كانوا يقولون فى موضع: قام زيد: قوم زيد، وكذلك: نوم جعفر، وطول محمد، وشدد أخوك

(١) فى اللهجات العربية: ص٩١.

(٢) المصدر السابق ص ٥٧، ٥٨.

يده، واستعدد الأمير لعدوه وليس الأمر كذلك، بل بضده، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه، وتسمعه.

وإنما معنى قولنا: إنه كان أصله كذا: أنه لو جاء مجيء الصحيح، ولم يعلل لوجب أن يكون مجيئه (على ما ذكرنا) فأما أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه، فيما بعد إلى هذا اللفظ، فخطأ، لا يعتقده أحد من أهل النظر[1].

ولسنا مع ابن جنى فى كل ما قال، فهو يدعى أن الأصول المتروكة لم تستعمل مطلقًا، فى أى زمن مضى، ولو أنه حدد ذلك بما بعد عصر تهذيب اللغة، ونزول القرآن الكريم بها، لكان حكمه مقبولا.

أما وقد أطلق القول بذلك فى كل الأزمان دون تحديد، فإنه غير دقيق، إذ يختلف أمر اللغة، إبان نشأتها، عنه بعد اكتمالها، ونزول القرآن الكريم بها.

فقد كانت، الأصوات، والمفردات، والتراكيب، ـ فيها أول أمرها ـ غير ناضجة، ففيها الأصوات المتنافرة، والكلمات الحوشية، والتراكيب السقيمة، وقد تخلصت من كل ذلك بعد صراع اللهجات. بنشأة لغة عامة مهذبة تكلم بها العرب جميعًا، ونزل بها كتاب الله العزيز.

ولو قبلنا رأى ابن جنى من بعض جوانبه فسلمنا له بأن بعض هذه الأصول لم يستعمل يومًا ما، فإننا لا نستطيع أن نسلم له، أن الأصول جميعها لم تستعمل مطلقًا، إذ إن بعض هذه الأصول لم يزل يستعمل ـ بعد عصر تهذيب اللغة ـ، فهى بقايا تدل على أن أصولا أخرى كانت تستعمل كذلك ثم تغيرت واستقامت على منهج قويم.

ويعترف ابن جنى باستعمال بعض هذه الأصول القديمة قبل التهذيب فيقول: «اعلم ـ مع هذا ـ أن بعض ما ندعى أصليته، من هذا الفن، قد ينطق به على

---

(١) الخصائص ١/٢٥٦، ٢٥٧.

ما ندعيه من حاله، ومن ذلك: أطولت، وضننوا ونحوهما فإنها تخرج هكذا منبهة على أصل الباب، وشد وضن، وفر، واستعد، واطمأن، الأصل فيها: اشدد، واضنن، وافرر، واستعدد، واطمأنن، فهذان الاستعمالان ـ بالإدغام والفك ـ كما يقول ـ لغتان حجازية وتميمية[1].

فالذى نؤمن به أن التطور، قد عمل عمله، فى اللغة العربية، حتى تهذبت، واكتمل نموها، فى لغة عامة، نزل بها القرآن الكريم.

وقد اعتقد ذلك الرأى الأستاذ عبد الله العلايلى الذى قال: «إن كل هذه التقديرات ليست إلا حيلة المتحيل، وأما هى من الوجه الحق، فليست بأكثر من كونها أثرا من آثار التطور العام، الذى تخضع له كل لغة، فى سيرها الارتقائى، وتبقى هذه البواقى، والمتخلفات، لأسباب مكانية وظرفية، أو لأن التطور لم يتم دورته، بما يكفى لأن يأتى على كل مواثل الوجود المهضوم»[2].

ويقول أيضًا: «ليس الإعلال من اصطناع النحاة، بقدر ما هو من عمل العربى، وعمل النحاة، تصرف أسلوبى فقط، لأن الإعلال حقيقة راهنة، فى صميم اللغة، وهذا يدل على رقى عقلية العرب»[3].

كما قرر التطور فى حركات الكلمة، وقال: إنه ليس افتراضًا، بل بقى فى العربية، ما يدل عليه، ولذلك قيل: ليس فى كلام العرب (فِعُل) بكسر الفاء وضم العين إلا حِبُك، وشرح هذا المثال عندنا: أن أصله (حِبُك) بكسر الحاء وضم الباء ولما قضت العربية، باستثقال هذا البناء، وإماتته، نقلوا كلماته، بأحد وجهين، إما إتباع الفاء للعين، (حُبُك) بضمتين وإما إتباع العين للفاء (حِبِك) بكسرتين ولما كان الإتباع فى الضم قليلاً نظن بأن العربية قد قصدت أن تستقر عليها بالكسر، ويقول العلايلى: لكن الجمع بين الكسر والضم، لازما حيث كان ينبو الطبع عنه، فأهمل[4].

---

(١) الخصائص ١/٢٥٩، ٢٦٠.
(٢) مقدمة لدرس لغة العرب ص١٧٩، ١٨٠.
(٣) المصدر السابق ص٢١٦، ٢١٧.
(٤) المصدر السابق ص ١٨٢..

وهذا يؤيد وجهة النظر السابقة فى القول بالتطور اللغوى، بما فى ذلك تطور صيغ الإمالة فيما رآه الدكتور أنيس.

وقد بنى الدكتور أنيس تفسيره للنوع الأول من تلك الصيغ على أساس سكون الياء، أو الواو، فى الأصل، على حين يذكر القدماء أن الأصل فى مثل هذه الصيغ حركة العين.

قال ابن جنى: «كان الأصل فى قام: قوم، وفى خاف: خوف، وفى طال: طول، وفى باع: بيع، وفى هاب: هيب، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة، وهى الفتحة، والواو، أو الياء، وحركة الواو، والياء، كره اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة، فهربوا من الواو، والياء، إلى لفظ تؤمن فيه الحركة، وهو الألف وسوغها ـ أيضًا ـ انفتاح ما قبلها[1].

وإذا جاز هذا الاحتمال، فلعل العرب قد استثقلوا النطق، مع توالى أشياء، متجانسة، فبعضهم تخلص من ذلك بالقلب ألفا، وبعضهم الآخر تخلص بالإمالة.

أما تفسيره للنوع الثانى، الذى قصد به التناسب، فهو مبنى على أن الإمالة مرحلة متأخرة فى بعض الكلمات.

ومع فقدان الدليل التاريخى، فى مثل هذه الأحوال، فإننا لا نمنع أن يكون شىء من التطور ـ لاختلاف بعض القبائل عن بعض فى النشأة وعوامل الاجتماع ـ قد اعترى اللغة، وموادها فى نشأتها الأولى، وقد صار ذلك اتجاها لهجيا فيما بعد، وقد استقرت الأولى لدى البدو. وانتشرت الثانية فى الحضر، ولجأت إليها اللغة النموذجية، للوضوح، والفصل بين الأصوات، ومخارج الحروف، والحركات، التى هى من أخص خصائص الحضارة ورقى الاجتماع.

وأما تجويز المتأخرين من النحاة، والقراء، للأمرين، ـ بالإمالة والفتح ـ فى الألفاظ التى يمكن تحقيقها فيها، فذلك ليس راجعًا إلى جوازه بين العرب،

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٥.

الأولين، بحيث كان الواحد، أو الطائفة منهم، تنطق بالكلمة، طورا ممالة، وطورا آخر مفتوحة، لأنه ممتنع عليهم، كما بينا.

وإنما الجواز الذى أرادوه بالنسبة للسان العرب بعد أن أصبح لغة عامة، لا قبلية[1] فمن الجائز لنا الآن أن ننطق بأى الصورتين، فكل منهما لهجة عربية صحيحة منذ بدايتها، ولذا لا يجوز أن نرمى المتأخرين بالخطأ فى قولهم بجواز الإمالة[1].

***

(١) الإمالة فى القراءات واللهجات العربية ص١٠١ وجمع الجوامع ط ١٣٢٧ ج٢ ص ٢٠٠.

الهمز والتسهيل

الهمزة: صوت يخرج من أقصى الحلق كما يقول علماؤنا القدامى ومن الحنجرة ـ على ما توصل إليه علم الأصوات الحديث ـ وهى صوت مجهور شديد عند القدماء، ولا مجهور ولا مهموس ـ على أرجح الآراء فى العصر الحاضر ـ وينطبق معها الوتران تمامًا ثم ينفرجان فيخرج صوت له دويّ وانفجار وفرقعة شديدة، ولذا كانت تحتاج إلى مجهود عضلى كبير حال نطقها، ولذا وجدنا العرب يختلف بعضهم عن بعض فى نطقها والتمسك بها فى كلامهم، فوجدنا منهم من يحققها، ووجدنا منهم من يخففها بإبدالها بحرف من جنس حركة ما قبلها أو جعلها بين بين أو حذفها[1] والهدف من ذلك التخفيف فى هذا الصوت القوى بتحويله إلى أصوات لينة ليمكن نطقها بيسر وسهولة، ولكن فريقًا من العرب تعود نطق الأصوات الصلبة فتمسك بها ومع ما يبدو من هذا التبادل الشكلى لا توجد علاقة صوتية تسوغ ذلك:

١- فالألف صوت انطلاقى مجهور أى حركة أو مُصوّت على نقيض الهمزة.

٢- والهمزة من الحنجرة والواو من أقصى اللسان والياء غير المدية من وسط اللسان مع ما يحاذى الموضعين من الحنك الأعلى والمدية جوفية أو من مقدم اللسان.

٣- والهمزة صوت انفجارى شديد وهما انطلاقيان (لينان).

٤- والهمزة صوت ذو وجود صوتى وسياقى (فونوتيكى وفونولجى) أما هما فوجودهما انطلاقى سياقى (فونولوجى) فحسب مهما تكن أحوال وجودهما فى المادة اللغوية.

٥- الهمزة صوت مجهور أو لا هو بالمجهور ولا بالمهموس وهما مجهوران إلا فى حالة خاصة وهى حالة الوقف على مثل الصفو والسعى حيث يمكن أن يتعرضا للهمس فى هذا الموقع، وهو ما يقع أحيانًا لحركات أواخر الكلمات فى حالة ما سماه القدماء بالروم، وهى حالة من حالات الوقف[2].

(١) المقتضب: ١/ ٥٢.

(٢) القراءات القرآنية: ص ٤٤٨ والأصوات اللغوية ص ٤٣.

وتبعا لهذه الفروق كان للمحدثين من العلماء نظرات أخرى إلى حوادث الإبدال بين الهمزة والواو والياء والألف ومن هؤلاء (هنرى فليش) فقد ذكر أن سبب الإبدال هو الأحداث الصوتية التى تلتزم بها اللغة العربية الفصحى وتفسر جانبًا من علم الصرف وأهم مبادئ هذه الأحداث ما يلى:

أ- من ناحية المقطع: كراهة الاحتفاظ بصوت طويل أو مزدوج فى المقطع المقفل مثل: احمأر ـ وقراءة ﴿وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧] بالهمز فهما فى الأصل: احمار ـ ولا الضالين ـ فتجنبت المقاطع المديدة بإبدال الألف همزة، وفى مثل وجوه ووسادة (wo) - (we) يتمكن الصوت المزدوج فيكره ولذا تبدل الواو همزة فيقال: أجوه، وإسادة.

ب- من ناحية عدم التوافق بين الفونيمات: كراهة النطق بالصوامت الضعيفة مع مصوّت من جنسها أو بعض ما يغايرها والصوامت الضعيفة مع مُصوّت من جنسها تتمثل فى الواو مع الضمة والياء مع الكسرة ومع بعض ما يغايرهما كالواو مع الكسرة.

ج- من ناحية طبيعة الأصوات الساكنة: ضعف الواو والياء بين المصوتات.

وقد طبق فليش قاعدته على حالات الإبدال ونرى ضعف هذه القاعدة لما يلى:

١- لم يفرق فليش ـ بمقياسه السابق ـ بين أنواع الإبدال الواجب والجائز والشاذ ولم يفصح عن سبب الوجوب وغيره.

٢- لم يستطع فليش تفسير إبدال الهمزة تفسيرًا وافيًا فهناك أمثلة كثيرة مثل: وُعد ووُوفى والظبى والدلو وناى وآى (جمع آية) توجد فيها التراكيب المكروهة التى ذكرها وهى wu - yi - wi ومع ذلك لم تقلب همزة.

٣- اعتبر فليش ما سوى التراكيب الصوتية awu - awi - ayi يقاس عليها وفى ذلك يدخل التركيبان awa - aya وهما تركيبان خفيفان غير مكروهين لولا أن القياس قد وحّد النموذج اللغوى وقد نص القدماء على كراهة العرب النطق بمثل هذه التراكيب أيضًا وصرح بذلك ابن جنى فقال:

«وإنما كـان الأصل فى قام قـوم وفى خاف خـوف وفى طال طول وفى باع بيع وفى هاب هيب فلما اجـتمعت ثلاثة أشياء مـتجانسة وهى الفتـحة والواو أو الياء وحركة الواو والياء كره اجتماع ثلاثة أشـياء متقاربة فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة وهو الألف وسوغها انفتاح ما قبلها»[1].

وفى الأمـثلة التى ذكرها ابن جنى يوجـد التـركيـبان aya -awa وقد عـدهما مكروهين ولم يقل بالقـياس على النمـوذج اللغوى وبذلك تقل الحاجـة إلى منهج فليش بالقياس الموحد.

وكان ممن خرج على الأقدمين وثار على رأيهم من المحدثين الدكتور شاهين فقد قال: «القدماء أخطأوا فـى تصور الإبدال فيما سبق لسبب بـسيط هو عدم وجود العلاقة الصوتية المشروطة لحدوث الإبدال»[2]، وعلى أساس هذه التخطئة حاول أن يفسر المسألة برأى جديد يقول: «وإننا لنقرر ابتداء أن أساس الحل فى رأينا لن يتأتى إلا من طريق التحليل الصوتى للعناصر المركبة أعنى تحليل المزدوج أولا إلى عناصـره البسـيطة ومن طريق هذا التـحليل نستطـيع التعـرف على ما تبـقى من العناصر الصـوتية وما حذف منهـا كما نستطيع تحـديد وظيفة الهمزة فـى السياق الصوتى»[3]، وقد أقـام نظرية جديدة لتـفسـير إبدال الهـمزة على أسـاس النبر وأوضح مبـادئ تتعلق بالمشكلة وهى خصـائص نطقية تكونت للسـان العربى من أهمها ما يأتى:

١- الأصل والأغلب فى الوقف السكـون ولكنهم لم يطبقـوا ذلك منهـجيًّـا بل اعتبـروا حروف العلة وأشباهها سـواكن لا حركات ولئن جاز ذلك بالنسبـة لأشباه حروف العلة فإنه لا يجوز بالنسبة لحروف العلة نفسها إلا لضرورة نحوية أو دلالية.

٢- قالوا لا يبتـدأ بساكن بل بمتحرك ولـكنهم لم يعتبروا الحـركة إلا إذا كانت تابعة لحرف وبدهى أنهم أخرجوا حروف العلة وأشباهها من جملة الحركات مع أننا نرى أن حروف العلة تكبير للحركات.

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٥.

(٢) القراءات القرآنية ص ٧٧.

(٣) المصدر السابق ص ٧٨.

٣- العرب كانوا يكرهون النطق بمقاطع مفتوحة متوالية وبذلك تفسر كراهيتهم لتوالى الحركات الذى يضعف النظام المقطعى[١].

وعلى هذا يتضح رأى المؤلف فى أن الهمز كان لدى العرب ذا وظيفتين: الهروب من تتابع الحركات، والمبالغة فى النبر فيتحول بذلك نبر الطول إلى نبر توتر[٢] وعلى هذا الأساس قرر نظريته، ولتقريرها نقول:

الهمزة إما بدل من واو أو ياء أو ألف، فإذا كانت الواو أو الياء فى كلمة فإما أن تكون فى أولها أو وسطها أو آخرها كما قررنا، فإذا كانت فى آخرها مثل كساء وبناء يقول الدكتور شاهين إنه لا إبدال فى هذا بل إن العربى يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد إقفاله فأحل الهمزة محل صوت اللين لا على سبيل الإبدال بل من أجل تصحيح نهاية الكلمة[٣] ويقرر أنه لا توجد واو ولا ياء وإنما هو ضمة أو كسرة فبالتحليل الصوتى لكلمة كساء ترى Kisaw ← Kisau ← Kisa، ويتأكد ذلك بالنطق فنحن نقول كساو فننطق ضمة بعد الألف وبناى فننطق كسرة بعد الألف فالمقطع مفتوح وإن بدا شكليا أن الواو والياء ساكنتان، والحقيقة أن الملتقى فتحة طويلة + ضمة أو كسرة وليست هناك واو أو ياء فالمقطع مفتوح فلما أريد إقفاله للوقف حولت الحركة إلى همزة، وقد فسر ألف التأنيث الممدودة بذلك فقال: إنها تحولت إلى همزة لكراهية العرب الوقف على مقطع مفتوح[٤]، وقد جعل الدكتور شاهين الوقف بالهمزة مثل حبلأ ورأيت رجلأ وهو بضربهأ والوقف بهاء السكت مثل قه وارمه وغلامهوه وغلامكيه وواجعفراه هربا من المقطع المفتوح، فالمقطع قد أقفل بصوت لا وظيفة له سوى الإقفال وهما متشابهان الهمزة والهاء إذ هما من الأصوات الحنجرية ويود الدكتور شاهين لو أطلق على الهمزة اسم السكت مثل الهاء[٥]، وإذا كانت الواو أو الياء فى وسط الكلمة مثل قاول وبايع

(١) القراءات القرآنية ص ٧٨، ٧٩.

(٢) المصدر السابق ص ٨٠.

(٣) المصدر السابق ص ٨٢.

(٤) المصدر السابق ص ٨٤.

(٥) المصدر السابق ٨٥، ٨٦.

وقلايد وعجاوز ونـيايف وسياود فإنه يفسـر الإبدال فى ذلك بأنه أتى بالهمزة هربا من تتابع الحركات فقاول بالكتابة الصوتية qawil وبايع bayi ثم أصبحتا bau, qauil فيتـبين من ذلك التقاء ثلاث حـركات متتـابعة، ففى الأول (قاول) الفتـحة الطويلة والضمة القـصيرة والكسرة القصـيرة وفى الثانى (بايع) الفتحـة الطويلة والكسرتان القصيرتان ولذلك نبر المقطع الثـانى بالهمز فصار qa,il قائل، ba,i بائع[1] ويفسر الدكتور توالى الحركات أيضًا بأنواع أخرى من النبر.

١- قول وبيع ليس فيهما موقع نبر.

٢- قـول وبيع بتشـديد العـين -مزدوج اكـتـسب مناعة بالـتشـديد وهو توتر نبرى[1].

٣- خطايا تغير النبر إلى طول الحركة وهذا عند من لا ينبرون[1].

٤- وقد وصف نوعـا من النبر لا تحول مـعه الواو أو الياء وسط الكلمـة همزة وإنما يفصل بين عنصرى المزدوج بالـهمز بعد أن كانا متـصلين وهذا من خصائص الناطق البدوى وقد لجأ إلى ذلك نتيـجة شعوره بأن الانزلاق بين العنصر الأول من عنصرى المزدوج إلى العنصر الثـانى لا يحقق صورة النبر كما تعـودها فكان الهمز وسيلة إلى ذلك دون أن يسـقط من المزدوج شيئًـا، وهذا يتأتى فى مـثل الكلمات الآتية ونوضحها بالكتابة الصوتية هكذا:

خطوات ← خطؤات xutuat ← xutuat

تفاوت ← تفاؤت tafaut ← tafu'ut

إما ترينى ← ترئنى turianni ← turi' anni

إنهم مايتون ← مائتون maitun ← ma'itun

درى ← درىء durriun ← durri'un

تيمموا ← تأمموا ta -i- ammamu ← ta' ammamu

---

(١) المصدر السابق ص ٨٨، ٨٩.

وسقط فى المثال الأخير من الحركة الثلاثية عنصرها الثانى (i) من (aia) وهذا من أجل النبر[1]، أما إذا وقعت الواو فى أول الكلمة مثل وواصل ووعاء ووقتت ووجوه فقد فسره على أنه قد نبر إلى الهمز لعدم إمكان النطق بحركة فى بدء الكلمة ولو كتبنا الكلمة الأولى وواصل كتابة صوتية نجد أنها تبدأ بحركات يصعب نطقها وهى waw asil وتكتب عند التحليل إلى ua -ua- sil فنبر المقطع الأول فصارت كتابتها a - wasil [2] ومن هنا رد سبب الهمز فيما سبق ونحوه إلى الاتجاه العام السابق وهو كراهة أن تبدأ الكلمة فى العربية بحركة[3].

أما إبدالها من الألف فى مثل ولا الضالين وشابة ودابة ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعدها صوتان ساكنان فقد فسره على أساس النبر فيقول: ونفسرها نحن بما سبق أن قررناه من أن النبر فى لسان قبائل البادية يأخذ صورة التوتر على حين يأخذ صورة الطول فى لسان غيرهم من الحضريين[4]، وفى مثل ساق وباز ويوقنون ونحوها مما وقعت فيه حركة طويلة بعد صوت ساكن أو لين مزدوج عند همزها يقرر أيضًا نفس المبدأ فيقول: لا يمكن تفسيره بغير النبر الذى تعودته ألسنة بعض بنى أسد، هذا هو اتجاهه العام وإن كان قد تعرض إلى أن ما نحن بصدده من أمثلة الهمز هو من الأحداث الصوتية اللهجية فذكر أن مثل ولا الضالين لغة كما قال أبو حيان وأبو الفتح[5] ونسب بعض الهمز السابق إلى بنى أسد وهم من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها[6].

نظراتنا حول رأى الدكتور شاهين:

لقد تناول الدكتور شاهين الموضوع وفسره على أنه لا إبدال فيه ولكن النبر هو الذى تسبب فى هذا التغيير، ولكن مقاييسه لم تف بالمطلوب من التفسيرات والتوجيهات:

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٠، ١٣١.
(٢) المصدر السابق ص ٩١.
(٣) المصدر السابق ص ١٢٩.
(٤) المصدر السابق ص ١٢٨.
(٥) المصدر السابق ص ١٢٦، ١٢٧ وقراءة ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٦] - بالهمز- لغة عند الكسائى وهى عند البصريين لحن فالظاهرة لهجية وإن لم تقبلها قواعد البصريين ويزيد أمرها وضوحًا نسبتها إلى قبيلة غنى من قبائل وسط الجزيرة (يهمزون ما لا يهمز) كما يقرره صاحب اللسان ١/ ١٧ ورثاث زوجى -لبأت بالحج إلخ.
(٦) المصدر السابق ص ١٢٨.

١ - وفيه ثلاث نقاط:

أ- تحدث الدكتور شاهين عن الواو والياء فى آخر الكلمة وقال إن السبب فى إحلال الهمزة محلهما فى هذه الحال هو أن العربى يكره الوقف على مقطع مفتوح ويريد إقفاله والواقع أن الكلمات لم توضع فى الأصل لتستعمل مفردة بل لتستعمل فى تراكيب تؤدى معنى مقصودا وعلى هذا فالوصل هو طريق استعمال ألفاظ اللغة لا الوقف فإذا قيل كساو الصيف خفيف وبناى البيت ثابت الدعائم مثلا فليس هنا وقف على مقطع مفتوح وكذلك لو نطقنا كساو وبناى (بالتنوين) لم يوجد المقطع المفتوح أيضًا.

ب- ثم لماذا لم تقلب كل من الواو والياء همزة فى مثل غاى وراى وطاو وراو مع تحقق ما قال فيها لو فرضنا حالة الوقف؟ ولماذا لم يحدث ذلك فى مثل التراخى والفيافى والتسامى مع وقوع الياء طرفا ووجود المقطع المفتوح فى حال الوقف أيضًا؟.

جـ- على مقياس الدكتور شاهين لا نجد تفسيرًا لاختلاف حالات التثنية والجمع المتعددة من وجوب بقاء الهمزة فى مثل قراء وقلبها واوا فى مثل صحراء وترجيح أحدهما فى مثل كساء وبناء وعلباء، ولو سلمنا له بأنه يعلل للألفاظ المفردة فإنه قد علل لنحو حمراء بأنها نبرت لإقفال المقطع وكان يمكن أن يقفل بطريق آخر مثل حبلأ فيقال حمرأ مثلا؟ فلم اختص كل بطريق؟ على أنه قد تبع بروكلمان فى أن علامة التأنيث تطورت على النحو التالى à - a - ah - at ومعنى ذلك أن العربى كان ينطق بها حمرت -ثم حمرة- ثم حمرى، ثم حمراء، وهذا التطور لا دليل عليه ومع ذلك فلو تصورنا صحته لأمكن أن يقفل المقطع فيقال حمرت -أو حمرة بالرجوع إلى أصل سابق وبهذا يتبين عدم دقة رأيه المذكور.

٢- وقد تحدث أيضًا عن الواو والياء فى وسط الكلمة وسبب تغييرهما إلى همزة بأنه لتتابع الحركات ورأيه ذلك ينطبق على نحو قاول وبايع فعلى أمر وهما مثل قائل وبائع اسمى فاعل فلماذا فرق بينهما؟، كذلك يماثل عجائز ونيائف

جداول وقساور ومعاول ومقاول فما الفرق الذى سبب القلب أولاً ومنعه ثانيًا؟، مع تحقق قانونه فيه وهو تتابع الحركات مما يستدعى الهرب منه إلى النبر بالهمزة ولم يحدث.

٣- على أنه لم يفرق بين ما يجب وما يجوز وما يمتنع من الهمز فى الألفاظ التى وجدت فيها واو أو ياء أولاً فبعضها يجب همزه مثل: وواصل -وواق- وولى وبعضها يجوز مثل وسادة -وشاح- وجوه وبعضها يمتنع مثل واصل -يواقيت- وورى.

ولست مع المحدثين فى اعتبار الواو واليـاء غير المدتين حركتين فإن التقسيم المقطعى يؤكد اعتبارهما صوتين ساكنين مثل: يقع ويذر ووزن ووعد فكل من الكلمات السابقة مكون من ثلاثة مقاطع كل منها مكون من صوت ساكن + لين قصير وفى مثل: وجوه لا يمكن الاعتراف بأن الواو مجرد حركة لأنه إذا كانت كذلك فقد قلبت الضمة (u) على هذا الفرض همزة فى أجوه، ومن أين أتت ضمة الهمزة بعد القلب المذكور؟

وبذلك نتأكد أن طريقة الأقدمين أشمل وأضبط.

ولسنا نشك لحظة فى أن ما تعوده اللسان العربى فى معاملته للواو واليـاء وللهمزة ناشئ عن بعض الكراهات التى لم يألفها غير أن أسباب هذه الكراهات تحتاج فى الحقيقة إلى شىء من التحليل يكشف عن مدى ما تحتويه من ثقل أو تنافر يلجأ الناطق حياله إلى المخالفة أو التصرف بصورة ما هربا من هذا الذى يكرهه[١].

وتخفيف حرف العلة بالقلب همزة هو ما رآه الأقدمون وقالوا به وذلك متحقق أيضًا فى تخفيف الهمزة وتحويلها إلى واو أو ياء أو ألف وذكر ابن سيده أن شيوع إبدال الهمزة لشبهها بحروف العلة من جهات الحذف وجعلها بين بين وقلبها على حسب حركة ما قبلها ومن أجل أنها من أقصى الحلق فإذا أبدلت أولاً جرى اللسان

(١) القراءات القرآنية ص ٧٨.

إلى جهة القدام فهذا يطرد عليه الإبدال فلاجتماع الشيئين من مناسبة حروف العلة وأنها من أقصى الحلق يستمر بها اللسان لإخراج الحرف جاز أن تبدل من غيرها[1].

وقال أيضًا إن حروف العلة تقلب لطلب الخفة والكثرة والمناسبة، وقد تحدث علماء الصرف عن هذا النقل حتى إنهم قالوا فى تعريف الإعلال:

تغيير حرف العلة بالقلب أو التسكين أو الحذف للتخفيف[2].

وعدوا الهمزة من حروف الإعلال وقالوا: إنها حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق فلذلك الاستثقال شاع فيها التخفيف لنوع من الاستحسان[3] ومن هنا منع وقوع الهمزة فى كلمة فاء وعينا معا أو عينا ولاما معا وعلل ذلك ابن جنى بثقل الهمزة فكيف بالهمزتين معا، قال فى سر الصناعة: «وإنما لم تجتمع الفاء والعين ولا العين واللام همزتين لثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفل فى الحلق وبعد عن الحروف وحصل طرفا فكان النطق به متكلفا فإذا كرهت الهمزة الواحدة فهم باستكراه الثنتين ورفضهما -لا سيما إذا كانتا مصطحبتين غير مفترقتين فاء وعينا أو عينا ولاما- أحرى فلهذا لم تأت فى الكلام لفظة توالت فيها همزتان أصلا ألبتة[4] فلهذا كان الإبدال بين الهمزة وتلك الحروف الثلاثة ولأجله أيضًا خففت الهمزة بتسهيلها وجعلها بين بين وكل ذلك من ضروب التخفيف وألوانه.

والهمزة لأنها صوت حنجرى شديد مما يناسب البيئة البدوية وهى قبائل وسط الجزيرة وشرقها فهى أساسًا من لهجات تميم وقيس وبنى أسد ومن جاورهم والتسهيل فى أصله لهجة البيئة المتحضرة وهم أهل الحجاز وبخاصة قريش فى مكة والأوس والخزرج فى المدينة.

ولم يكن الحجازيون جميعًا بعيدين عن تحقيق الهمز إلى تسهيله بل منهم من استهواه تحقيقه وهم من سماهم سيبويه (أهل التحقيق) فكانوا ينطقون بالهمز كإخوانهم من القبائل المحققة له.

---

(١) المخصص ١٣/٥٦٨.
(٢) شرح الشافية للحسينى ص١٨٥.
(٣) شرح الشافية للعصام ص ١٥٠.
(٤) سر الصناعة ١/ ٨١.

يقول سيبويه: «وقد بلغنا أن قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبىء وبريئة وذلك قليل ردىء»[1].

ومن قبائل الحجاز (عكل) التى هى من طابخة، وطابخة من خندف التى سكنت الحجاز ونسب إليها ابن جنى (ترقؤة) فقال إنها لغة لبعض عكل[2].

ومما يدل على مناسبة الهمز للبدو لثقل الهمزة أن ابن جنى قال: إن بغض من تقوى لغته ويتعالى تمكينه وجهارته دون أن يطغى به طبعه ويتخلى به اعتماده ووطؤه يبدل من الألف همزة فيحملها الحركة التى كان كلفا بها ومصانعًا بطول المدة عنها فيقول شأبة ودأبة[3] وسمعها بعضهم من بنى كلاب[4].

وقد حاول ابن جنى تفسيرها بأنه كره اجتماع الساكنين الألف والحرف الأول من المضعف بعدها فحركت الألف لالتقائها فانقلبت همزة لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة[5].

وهو صورة من صور التوتر النبرى على لسان بعض البدو[6].

وقد قال عيسى بن عمر: ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا[7].

والمراد بالنبر الهمز وقد كانت قبائل العرب يتأثر بعضها ببعض فى الهمز والتسهيل فيمكن أن نجد أمثلة قد سهلت فيها الهمزة فى بيئة نجد والعكس فى بيئة الحجاز فقد قرأ أهل الكوفة قول الحق سبحانه:

---

(١) الكتاب ٢/ ١٧٠ واللسان ١/ ١٤: أتى النبى ﷺ رجل فقال له: يا نبىء الله قال الرسول ﷺ له: «إنا معشر قريش لا ننبر». التهذيب ١٥/ ٢١٥.

(٢) الخصائص ٣/ ٢٠٧.

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٢٦.

(٤) اللسان ١/ ١٤.

(٥) سر الصناعة ١/ ٨٢.

(٦) القراءات القرآنية ص ١٩٨.

(٧) اللسان ١/ ٢٢، والكتاب ٣/ ٥٣.

﴿وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩] باليـاء والتخفيف[١] (ومن يوت).

وكذلك قرئت هذه الآيات: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة:٣٣] أنبيهم ـ ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البـقرة:١٤] ـ مستهـزون ـ بغير همزة[٢] وتخفف بنو أسد ﴿لَرَءُوفٌ﴾ [البقرة: ١٤٣] وأهل مكة من أهل الحجاز يحققون بعض الهمزات كبرىء ونبىء.

وهذا كله دليل على تأثر هذه القبائل بعضها ببـعض فى الهمز والتسهيل بحيث انتشر ذلك على لسان القبائل ولا سيما بعد التوحد اللغوى.

***

(١) مختصر الشواذ ص ١٧.

(٢) المصدر الـسابق ص ٢ وما بعدها.

إبدال الهمزة من حروف العلة

الأمثلة التى تتبادل فيها الهمزة وحروف العلة لها صور منها ما يكون واجبًا ومنها ما يكون جائزًا ومنها ما يعد شاذًا.

ومن أمثلة ذلك:

١- أمثلة تبدل فيها الهمزة وجوبًا: حمراء وصفراء وصحراء ـ علاء ـ كساء وقضاء وبناء ـ عباءة وصلاءة ـ عظاءة ـ علباء وحرباء ـ أولى.

٢- أمثلة تبدل فيها الهمزة جوازًا: أقتت ووقتت ـ أجوه ووجوه ـ إشاح ووشاح، إعاء ووعاء ـ إسادة ووسادة ـ أناة ووناة ـ أسماء ووسماء ـ ألل ويلل ـ رئبال وريبال - أده ويده.

٣- أمثلة تبدل فيها الهمزة شذوذًا: الضألين - جأن- شأبة - دأبة - اشعأل - ادهأمت - ابيأض - المشتئق - أحب المؤقدان إلى مؤسى - العألم - الخأتم - نأر- قوقأت الدجاجة - حلأت السويق - رثأت المرأة زوجها - لبأ الرجل بالحج[1] - سواتهما، أفى السوتنتنة[2] ربا[3].

والذى يبدو أن هذا الإبدال لا تسوغه علاقة صوتية، وقد أوضح بعض المحدثين المفارقات بين حروف العلة الثلاثة وبين الهمزة من عدة وجوه كما ذكرنا.

ويقسم القدماء الهمز - كالأمثلة المذكورة - إلى واجب وجائز موافق للقياس فهو لذلك مطرد وإلى مخالف له فلا يطرد، وقد اطرد عنهم قلب ألف التأنيث همزة، وإبدال الهمزة من الواو والياء منه ما يكون واجبًا قياسيًا ومنه ما يخرج عن القياس وذلك فى موضعين: أحدهما: أن تقر الهمزة الواجب تغييرها فلا تغيرها والآخر:

---

(١) ينظر فى هذه الأمثلة: سر الصناعة ١/ ٨٢ - ١١٥ والخصائص ٣/ ١٤٢ - ١٤٩ والمحتسب ٢/ ١٤٦، ١٤٧، ٣٣١ ومواضع أخرى متفرقة فيه والمفصل ١٠/ ٩ وما بعدها.

(٢) المحتسب ١/ ٧٢.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٤.

أن ترتجل همـزًا لا أصل له ولا قيـاس يعـضده، فـمن أمـثلة الأول: خطائئ ومنه قولهم: غفر الله له خطائئـه ودريئة ودرائئ، ومن الثانى أمثلة كثيرة ذكـر بعضها هنا كالعـالم والسأسم والخـاتم وكلا النوعين غـير مـقيس[1] وكله شاذ غـير مطرد فى القياس[2] وقال أبو العباس: قلت لأبى عثمان: أتقيس ذلك؟ قال: لا ولا أقبله[3].

والتـفسـير الحق يجـعل الأمـثلة التى وصفـت بالجواز والشـذوذ من اختـلاف اللهـجات ولم يكن ذلك يعـيدًا عن فـهم بعض القدمـاء فقـد نبه عليـه ابن جنى بعبارات واضحة تفيد أن هذا التعبير أو ذاك لهجة عربية فيقول ـ معلقًا على قراءة: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] بهـمز (جأن) ـ حـكـى أبو العباس عـن أبى عثمان عن أبى زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جأن) فظننته قد لحن حـتى سمعت العرب تقول: شأبة ودأبة ويؤكد ذلك بشعر سمع عن العرب من مثل قوله:

وبع انتـهاض الشيب من كـل جانب على لمتى حـتى اشـعأل نهـيـمهـا[4]

وهذا ليثبت وروده بأدلة واقعية تفيد أنه لهجة عربية يتكلم بها ويقول عن مثل العألم والخأتم إنه «قد حكى عنهم» فإلى مَنْ يعود الضمير؟ إنه لا شك عائد إلى العرب الذين يدأب على ذكـر اسمهم فى هذا الموضوع كـأن يقول ـ فيمـا سبق هذا: فإن قيل: فلم قلبت العـرب لام فَعلى ـ بفتح الفاء إذا كانت اسـمًا وكان لامها ياء – واوا إلخ وقوله: فالجواب: أنهم إنما فعلوا ذلك إلخ[5].

وهذا كلام يفصح عن أن هذا التحقيق للهمز وعدمه لهجتان عربيتان مسموعتان عن فريقيـن لكل منهم اتجاه فى النطق غير أن ابن جنى لا يكاد يفـصح عن اسمى الفريقين اعتمادًا منه على أن قارئ كتبه على معرفة بلهجات العرب.

---

(١) الخصائص ٣/ ١٤٢ وما بعدها.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٠٢.

(٣) المصدر السابق ١/ ٨٣.

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٧ والمحتسب ١/ ٤٧.

(٥) سر الصناعة ١/ ٩٩، ١٠٠.

ويذكر الأزهرى أن عظاءة لغة فى عظاية وإعـاء لغة فى وعاء[1] ونسب صاحب البحر إلى هذيل قـولهم فى (وعاء): (إعاء) عند تفسيـره قوله تعالى: ﴿مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦] قال: وقرأ ابن جبيـر (من إعاء) بإبدال الواو المكسورة همزة كما قالوا: إشاح وإسادة فـى وشاح ووسادة وذلك مطرد فى لغة هذيل يبدلون من الواو المكسورة الواقـعة أولاً همزة [2] وتنسب أيضًا لتـميم[3] وكذلك همزها بنو عقيل، ومثلها الحؤت فى الحوت همز شاذ وينسب همز المشتئق لبعض بنى سليم، نقل الأزهرى عن الفراء قال: سمعنا أعرابياً من بنى سليم ينشد:

فإنها حيل الشيطان يحتئل

وقال وغيره من بنى سليم يقول: يحتال بغير همز.

وقال: وأنشد بعضهم:

يا دار مىّ بدكـــــاديك البـــــرق سـقـيا وإن هـيّجت شـوق المشـتـئق

وغيره يقول المشتاق[4].

وعدّ من همز التوهم همز ما لا همز فيه إذا ضارع المهموز روى ذلك الفراء عن بعض العرب قال: وسمعت امرأة من غنى[5] تقول: رثأت زوجى بأبيات كأنها لما سمـعت: رثأ اللبن ذهبت إلى أن مـرثية الميت منهـا قال: ويقولون: لـبأت بالحج وحلأت السويق فـيغلطون لأن حلأت يستعـمل فى طرد الوارد عن الماء ومنعه منه يقال: حلأته عن الماء: طردته ومنعته وحلأ السويق: حـلاه همزوا غير مهموز لأنه من الحلواء، وورد فى اللغة: لبـأت - بتشديد الباء وتاء التـأنيث - وقع اللبأ وهو أول اللبن - فى ضرعها ويقال: لبأ بالحج - كلبى، فكأنه من اللبأ»[6].

وفى شأبة ودأبة نسب الهمز إلى بنى كلاب وعقيل وتميم وهذيل[7] وعلى ذلك وصف بالشذوذ لخروجه على القواعد.

(١) التهذيب ٣/ ١١٨.
(٢) البحر ٥/ ٣٣٢.
(٣) الإبدال لابن السكيت ص ٥٦، ٥٧.
(٤) التهذيب ٥/ ٢٤١ (حال).
(٥) غنى من قيس وهى من القبائل التى تميل إلى الهمز. جمهرة أنساب العرب ص ٢٤٤.
(٦) التهذيب ١٥/ ١٢٤، ٦٨٣، ٢٣٤ والقاموس ١/ ١٣، ٢٨.
(٧) المصدر السابق ١٥/ ٦٩١ باب الهمز وتحقيقه والدرر اللوامع ٢/ ٢٣٠ والمنصف ١/ ٢٨١.

ونسب الهمز فى (جؤن) إلى عقيل، وهم فرع من تميم[1] وإلى تميم والكلمة بالواو لأهل الحجاز[2]، وبعضهم يصف الكلمة بالواو بأنها خطأ يقولون: (جونة والصواب جؤنة وجمعها جؤن)[3].

وقال أبو بكر الأنبارى: الحدأ جمع الحدأة وهو طائر... وقال أبو حاتم: أهل الحجاز يخطئون فيقولون لهذا الطائر: الحديا وهو خطأ ويجمعونه الحدادى وهو خطأ، قال الأزهرى: وروى عن ابن عباس أنه قال: لا بأس بقتل الحدو والأفعو للمحرم فكأنه لغة فى الحدأ والحديا تصغير الحدو[4]. لكن لا يصح وصف ذلك بالخطأ لأنه لهجات.

وهى لغة أهل اليمن[5] وكذلك آخذه وواخذه لغة لأهل اليمن[6]، والطائيون كانت مساكنهم باليمن قبل أن يجاوروا بنى أسد[7]، فانتقلت معهم الظاهرة بعد الرحيل وأهل الحجاز أوصدت الباب إذا أطبقت عليه شيئًا وتميم تقول آصدت[8].

إبدال حروف العلة من الهمزة

إبدال الواو:

١- من همزة أصلية كأن تكون الهمزة مفتوحة وقبلها ضمة فتبدل تخفيفا مثل جون فى جؤن وسولة فى سؤلة وفى تخفيف: هو يضرب أباك: هو يضرب وباك، وفى تخفيف: هو يقتل أخاك: هو يقتل وخاك فالواو هنا مخلصة وليس فيها شىء من بقية الهمزة[9].

---

(١) التهذيب ١١/ ٤ وقلائد الجمان ص ٢١٠.

(٢) المزهر ٢/ ٢٧٦.

(٣) تثقيف اللسان ص ٨٥.

(٤) التهذيب ١١/ ١٨٧، ١٨٨.

(٥) المصباح المنير ص ٨، ٩.

(٦) المصدر السابق ص ٦.

(٧) معجم ما استعجم ١/ ٦٠ وقلائد الجمان ص ٧٢.

(٨) المزهر ٢/ ٢٧٧.

(٩) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٩ وانظر التهذيب ١١/ ٢٠٤.

وتقول أيضًا فى آخيت واخيت، فالواو بدل من الهمزة لأن لام الكلمة واو فهى مأخوذة من الأخـوة ولا توجد كلمة فـاؤها ولامها واو وقرأ ورش وأبو جـعفر ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ﴾ [البقرة: ٢٥٥][١] (لا يواخذكم).

٢- من همزة مبدلة كقولك فى تخفـيف: يملك أحد عشر هو يملك وحد عشر، وفى يضـرب أناة: يضـرب وناة وذلك أن الهمـزة فى أحـد وأناة بدل من واو وأصله وحد لأنه من الواحد وامرأة أناة من الونى وهو الفتور[٢].

٣- من همزة زائـدة مثل أن تقول: غـلام وحمـد فى غلام أحمـد وفى هو يكرم أصرم هو يكرم وصرم فالهمزة فى أحمد وأصرم زائدة[٣].

إبدال الألف:

١- إذا التقت همزتان الأولى مفتوحة والثـانية ساكنة تبدل من الثانية ألف مثل آدم وآمين وهذا الإبدال واجب.

٢- اجتماع الهمزتين المتـحركتين فى أول الكلمة مثل ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] يجوز تحـقيق الهمـزتين وتسهيل الثـانية وبألف بين الهمـزتين وحذف الأولى منهما إذا فهم المعنى.

وفى هذه الآية اجتمعت همـزة الاستفهام وهمزة القطع فى الفـعل (أنذر) وفيها عدة أوجه[٤]:

- قرأ بتحقيق الهمزتين عاصم وحمزة والكسائى وغيرهم وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية ورش من طريق الأصبـهانى وابن كثير ورويس وغيـرهم، ومعنى تسهيل الهمزة جعلها بين بين يقول سيبويه:

---

(١) انظر الإتحاف ص١١٧.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٩ وانظر التهذيب ١١/ ٢٠٤.

(٣) المصـدر السابق (دار الكتب) ص ٢٩٥، ٢٩٦ والأزهر، الوجـه الثانى من الورقـة ١٠٩ وانظر القـاموس ٤/ ٤٣٩، ٤٦٧.

(٤) الإتحاف ص٤٤، ١٢٥، والنشر ص٣٦٣.

«اعلم أن كل همزة مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفى لأنك تقربها من هذه الألف»[1].

وقرأ بألف بين الهمزتين آأنذرتهم ابن عباس وعبد الله بن أبى إسحاق وهشام فى أحد طرقه.

وقرأ بحذف الهمزة الأولى الزهرى وابن محيصن، وتحذف لدلالة المعنى عليها وثبوت ما عادلها وهو (أم)[2].

وهناك قراءة بحذف الهمزتين (سواء عليهم نذرتهم).

ونسب تحقيق الهمزتين إلى تميم وتسهليها بين بين إلى أهل الحجاز وإدخال ألف بينهما إلى بعض الحجازيين وإلى بعض تميم، وقال سيبويه:

«أهل الحجاز يخففونهما جميعًا»[3].

٣- إبدال الهمزة ألفا فى مثل رأس وقرأت وأخطأت واحبنطأت وشأمل فتصير ألفا تقول فيها: راس ـ قرات ـ أخطات ـ احنبطات ـ شامل وفى الحديث: ارجعن مازورات غير ماجورات، فأنت مخير ـ هنا بين التحقيق وعدمه ـ فى حالة سكون الهمزة وفتح ما قبلها وهو إبدال قياسى، ويرى الكوفيون فى الحديث أنه إنما أريد به ازدواج الكلام لقوله ماجورات[4] وفى الهمزة المفتوحة المتحرك ما قبلها مثل ملأ يجوز تسهيلها بقلبها ألفا وهو إبدال غير قياسى لأن مخرج الهمزة وكثيراً من صفاتها تختلف عن الألف، ولذا يعد من باب اختلاف اللهجات.

إبدال الياء: وهو على أوجه:

١- واجب: إذا اجتمعت همزتان والأولى منهما مكسورة تقلب الثانية ياء مثل إيمان وإيلاف مصدرى آمن وآلف وهذا لون من الإبدال القياسى الواجب.

---

(١) الكتاب ٣/ ٥٤١، ٥٤٢ وشرح السيرافى وسر الصناعة ١/ ٥٣.

(٢) البحر ١/ ٤٨ والإتحاف ص ٤٤.

(٣) البحر ١/ ٢٧ والكتاب ٣/ ٥٥٠، ٥٥١.

(٤) سر الصناعة (الأزهر) ١٢٨، ١٢٩، وانظر اللسان ١/ ١٢٤، ١٢٨، ١٥٢، ١٩٠، ٣٦٣، ٣٦٤.

٢- جائز: يجوز فيه تحقيق الهمزة وتسهيلها بقلبها ياء وهو نوعان:

أ- قياسى: يتحقق فى كل همزة سكنت وانكسر ما قبلها فإذا أردت تخفيفها قلبتها ياء خالصة فتقول فى تخفيف ذئب وبئر: ذيب وبير، وكما إذا انفتحت وانكسر ما قبلها مثل بِئْـر ومئَر بكسر الأول وفتح الثانى، تقول فيهـما: بِيَر ومِيَر، وفى تصغير: أقؤس وأرؤس: أقيّس وأريّس.

ب- غيـر قياسى: كمـا أبدلوا الهمزة ياء لغـير علة طلبًا للتـخفيف مـثل: قريت وتوضيت فى تخفيف قرأت وتوضأت وكما قال زهير:

جـرىء مـتى يظلم يـعـاقب بظلمـه سـريعـا وإن لا يبـد بالظلم يـظلم

أراد: يبدأ فأخرج الكلمة إلى ذوات الياء.

ومثله قول الآخر:

وكـنـت أذل مـن وتد بـقـــــاع يشـجج رأسـه بـالفـهـر واجى

فأجـراها وصلا ولو كـانت همزة أو نويت همزة مـا جاز أن يأتى بهـا وصلا. وكذلك قول الشاعر:

إن السبـاع لتـهـدا عن فـوارسـهـا والنـاس ليس بهـاد شـرهـم أبدا

أبدل الهمزة ياء ضرورة[1].

ويخضع تخفيف الهمزة بإبدالها واوا للنظرة السابقة فهى تعود بنا إلى اللهجتين المشار إليهما.

والقدماء يفسرون ذلك على الإبدال، فـالهمزة هى الأصل فى الأسلوب العربى والواو التى أبدلت منهـا تعد دخيلة عليـها وكأنهم بذلك يعـدون الهمز صـفة من صفات اللغة المشتركة النموذجية لا صلة له باللهجات من قبل.

(١) سر الصناعة (دار الكتب) ص ٣٧٩، ٣٨٠.

وتذكر معجمات اللغة هذا الاتجاه، يقول صاحب اللسان:

«ورجل سؤله: كثير السؤال وأصل السول الهمز عند العرب استثقلوا ضغطة الهمزة فيه فتكلموا به على تخفيف الهمزة[1] وقال ابن برى: الهمز فى جؤنة وجؤن هو الأصل والواو فيها منقلبة عن الهمزة فى لغة من خففها[2] وكان الفارسى يستحسن ترك الهمزة وأصله الهمز[3] ولكن الهمز - كما ذكرنا - لون من ألوان النبر لجأت إليه القبائل البدوية كبنى تميم وينسب التسهيل للقبائل الحضرية كبعض أهل الحجاز وعلى هذا فلا إبدال بين الهمزة والواو ولا صحة لما يقال فى المعجمات وغيرها من أن الهمزة فى أناة بدل من الواو فى وناة[4] وإنما يقال: إنهما لهجتان عربيتان غاية الأمر أن الواو لهجة أهل التخفيف من الحضر والهمز فى الأصل لهجة بنى تميم ومن على شاكلتهم وعلى هذا قيل أحدت الله ووحدته ورجل أحد ووحد»[5].

وفى إبدال الهمزة ألفا أو ياء نلحظ الاتجاه اللهجى فى مثل رأس وأخطأت وملأ وذئب وأقؤس وأرؤس ونحوها عند تسهيلها وإن كان القدامى سموا بعضه إبدالاً قياسياً - حال سكون الهمزة - وسموا بعضه الآخر إبدالاً غير قياسى - حال تحريك الهمزة.

فأكثر العرب تحقق الهمزة الساكنة المتحرك ما قبلها ولكن تميمًا تميل إلى تخفيفها بإبدالها مدة من جنس حركة ما قبلها واستعمال التخفيف فى غير ذلك غير مقيس حقاً، فإبدال الهمزة المفتوحة ألفا غير قياسى وإبدال الهمزة ياء فى مثل قريت وتوضيت طلبًا للخفة غير قياسى كذلك ولذا ينص اللغويون على عدم جواز وضع ياء مكان الهمزة يقول صاحب اللسان «ولا تقل أخطيت وبعضهم يقوله»[6] و«لا تقل توضيت وبعضهم يقوله»[7].

---

(١) اللسان ١٢/ ٣٣٩.
(٢) المصدر السابق ١/ ٣٥٧.
(٣) القاموس ٤/ ٢٤٦.
(٤) اللسان ٢/ ٢٩٨.
(٥) المصدر السابق ٤/ ٤٦٥.
(٦) المصدر السابق ١/ ٥٩.
(٧) المصدر السابق ١/ ١٩٠.

والقياس - كذلك - يمنع أن تحذف الهمزة كما فى (يبد) فى قول زهير وقلبها ياء فى قول الآخر حتى ساغ له أن يستخدمها وصلا فى قافية البيت وقد قلبها الشاعر ياء ثم حذفها فى (هاد) فى البيت الأخير.

فهذه التصرفات غير قياسية ولا مطردة إذ لا تقلب فى هذه المواضع إلا بشروط خاصة تعرف فى فن التصريف، ولعل ذلك الموصوف بالشذوذ هو من سمات أصحاب التسهيل من القبائل العربية ولعله لمخالفته القواعد العامة حدث من بعضهم دون بعض ويؤيده قول ابن سيده:

«إن قول العرب أخطيت ليس بتخفيف قياسى وإنما هو تخفيف بدلى محض لأن همزة أخطأت ساكنة قبلها فتحة فصورة تخفيف الهمزة التى هذه نصبتها أن تخلص ألفا محضة فيقال: أخطات كقولهم فى تخفيف كأس: كاس[1].

وأما الأمثلة الأخرى فتخضع لقانون اللغة النموذجية المشتركة التى اتخذت الهمزة من مبادئها.

إبدال حروف العلة بعضها من بعض

إبدال الواو من الألف والياء:

أ- من الألف:

من ألف أصلية: مثل إلى ولدى (اسمى رجلين) تثنيتهما: إلوان ولدوان وإلوات (اسم امرأة جمعًا) فألفاتها أصول غير زوائد ولا مبدلة[2] ولما سمى بها انتقلت إلى حكم الأسماء[3] وهذا هو القانون وبه وصى التصريفيون[3].

ومن ألف مبدلة: وهى على ثلاثة أضرب:

١- مبدلة من واو مثل عصوى وقنوى فى الإضافة إلى عصا وقنا.

٢- مبدلة من ياء مثل: فتوى وسروى فى النسب إلى فتى وسرى.

---

(١) المحكم ١/٩.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٦.

(٣) المصدر السابق (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١١٠.

٣- مبـدلة من همزة مـثل: تصغيـر آدم على أويدم وجمعـه على أوادم وأصله أأيدم وأأادم.

٣- من ألف زائدة مثل: ضـويرب وضوارب فى تحقيـر ضارب وجمعـه جمع تكسير[١].

ب- من الياء:

١- من ياء أصلية: مثل موقن وموسر (وكل ياء مفردة ساكنة قبلها ضمة) ومثل سيد ومـيت وغازية ومحنية وقالوا: مـقضوّ عليه ومنهـوّ عن المنكر والحيوان أصل لامه ياء لأنه لا يوجد فى كـلامهم كلمة عينها ياء ولامهـا واو كما هو رأى الخليل وسيبويه خلافًا لأبى عثمان المازنى.

٢- من ياء مبدلة: فأصل مصدر ضارَبَ ضِـيراب لو سميت به ثم صغرته قلت ضويرب.

٣- من ياء زائدة: مـثل بيطر وسـيطر تقول عنـد بنائهمـا للمـجهـول: بوطر وسوطر[٢].

إبدال الألف من الواو والياء:

١- إبدالها منهـما أصلين: نحـو قام وغزا وباع ورمى وربمـا خرج شىء من ذلك على أصله تنبيها على أصل الباب نحو: حوكة وخونة وقود وصيد وحيد[٣].

٢- إبدالها منهما منقـلبتين نحو (رحوى) اسم رجل إذا رخمتـه مثل يا حار (على لغة من ينتظر) قلت: يا رحا - تحذف ياء النسب فتبدل الواو ألفا لتحركها وانـفـتاح ما قبلهـا، فالألف حينئـذ بدل من الواو وهذه الواو بدل من ياء رحيان ومـثله ترخيم ملهى على تلك اللغة، ونحـو ذلك فى الياء المنقلبة مـثل أعطى وأغزى قلبت الواو

---

(١) سر الصناعة (دار الكتب) ص٢٩٦ - ٣٠٠.

(٢) المصدر السابق ص٣٠٠ - ٣٠٥.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٢٩ والصيد: عدم الالتفـات كبرا كما يفعل بعض الناس أو من داء كذلك الذى تصـاب به الإبل فلا تستـطيع أن تلوى أعناقهـا، والحيد: مـا شخص من نواحى الشـىء (أى: نتأ وبرز). وله معان أخرى. انظر: اللسان ٤/١٣٦، ١٣٧، ٢٥٠.

ياء إذ أصلهما (أعطو - أغزو) فصار (أعطى - أغزى)[1] ثم قلبت الياء ألفا للسبب السابق، وكأن تبنى من قرأ على مثال (دحرج) فتقول: قرأى فالألف الأخيرة بدل من ياء هى بدل من همزة على حسب مراحل معلومة فى فن التصريف.

٣- إبدالها منهما زائدتين، فمن الواو مثل أن تسمى رجلاً (عنوق) ثم ترخمه على يا حار (لغة من ينتظر كما سبق) فتقول: يا عنا (إذ أصله يا عنو) إلا أن الواو تقلب ألفا لأنه لا يوجد فى العربية اسم آخره واو قبلها ضمة فالألف هنا بدل من الواو الزائدة ومن الياء مثل زميّل اسم رجل تقول فى ترخيمه على يا حار: يا زما فتحذف إحدى ميميه وتقلب ياؤه الساكنة ألفا ومثله: سلقى وجعبى فى سلقيت وجعبيت فالألف هنا - كذلك - بدل من الياء الزائدة[2].

ومن قلب الياء والواو ألفا قلبا غير قياسى: القلب فى ييأس إلى ياءس وفى يوجل إلى ياجل ونحو ذلك من قول الشاعر:

تبت إليك فتقبل تابتى وصمت ربى فتقبل صامتى

أى توبتى وصومتى.

«قلبوا فى ياءس وياجل وإن كانت الواو والياء ساكنة طلبا للخفة» وأما صوغ المضارع على الطريقة السابقة فهو اكتفاء بأحد جزءى العلة وهو لهجة عربية، ومسألة الإبدال فى ذلك غير متحققة لعدم توافق الألف والواو والياء مخرجًا وصفة فهى لهجات وليست من باب الإبدال فى شىء، فللواو طبيعة تختلف عن الألف تمامًا حتى منع علماء العروض أن تتناوب الألف معها فى قافية القصيدة الشعرية وكذلك لا يمكن تناوبها مع الياء - ردفين ويجوز ذلك بين الواو والياء للتقارب بين صوتيهما الموسيقى على أن علم اللغة الحديث قد دعم ذلك ببراهن تثبت عدم صحة التبادل بينهما وهذا يرجح أن تلك الاختلافات ترجع إلى اختلاف القبائل اللاهجة بها.

---

(١) أغزى الرجل: حمله على أن يغزو أو أعطاه دابة يغزو عليها، وقال سيبويه: وأغزيت الرجل أمهلته وأخرت ما عليه من الدين. اللسان ١٩/ ٣٦٠.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٣٠ وسلقه سلقا وسلقاه: طعنه فألقاه على جنبه يقال: طعنته فسلقته إذا ألقيته على ظهره وربما قالوا سلقيته سلقاء - بالكسر - يزيدون فيه الياء كما قالوا: جعبيته جعباء من جعبته أى صرعته، اللسان ٦/ ٢٦٠، ١٢/ ٢٨، ٣٣٠ والقاموس ٣/ ٢٥٥.

إبدال الياء من الألف والواو:

أ- كل ألف انكسر ما قبلها أو وقعت قبلها ياء التحقير تقلب ياء مثل قيتال وضيراب مصدرى قاتل وضارب وحميليق ومفيتيح فى تصغير حملاق ومفتاح.

ب- كل واو سكنت غير مدغمة وانكسر ما قبلها[1] قلبت ياء مثل ميقات وكذلك إذا سكنت فى المفرد ووقع بعدها فى الجمع ألف وقبل الواو كسرة واللام صحيحة مثل ثياب وحياض فإن اختلت هذه الشروط لم تقلب كما فى مويزين وموازين وعوض وطول - لاختلال القاعدة الأولى - وطوال وزوج وزوجة - بكسر الزاى وفتح الواو - ورواء وطواء جمعى ريان وطيان - لاختلال القاعدة الثانية.

جـ - إذا قعت الواو لاما لفعلى وصفًا مثل: عليا ودنيا[2].

د- إذا تطرفت الواو رابعة فصاعدًا مثل: أعطيت، واستقصيت[3].

كل ذلك هربًا من الواو[4].

هـ - إذا اجتمعت الواو مع الياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء - بشروط أخرى - كما فى سيد وميت (تقدمت الياء) وفى لية وطية (تقدمت الواو) ومن الشروط الهامة لذلك القلب أن تكون كل منهما أصلية فى موضعها[5] فإن كانت عارضة (غير لازمة) لم يحدث القلب والإدغام المذكوران وذلك قولهم فى بناء فاعل من سرت وبعت للمفعول فتقول: سوير وبويع لأن الواو ليست لازمة لزوالها بالرجوع إلى بناء الفعل للمعلوم، كذلك ديوان واجليواذ (فى أحد استعمالاته) لأن الياء قبلها غير لازمة لأنهم قالوا: دواوين لما زالت الكسرة على أن بعضهم قد قال: دياوين فأقر الياء مع زوال الكسرة وأجرى غير اللازم مجرى اللازم.

وعالم اللغة يرى فى قلب الواو ياء - على الرغم من زوال الكسرة قبلها - اتجاهًا خاصًا بلهجة أهل الحجاز فيما يسميه بأسلوب (المعاقبة) التى نتحدث عنها فيما يأتى:

---

(١) سر الصناعة (دار الكتب) ص٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧٨.

(٣) المصدر السابق ص ٣٧٩.

(٤) المصدر السابق (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤١.

(٥) إن يسكن السابق من واو ويا ... واتصلا ومن عروض عربا

فياء الواو اقلبن مدغمًا ... وشذ معطى غير ما قد رسما

التبادل بين الياء والواو (المعاقبة)

صنع ابن جنى كتابًا فى التبادل بين الياء والواو وسماه التعاقب فقال: فى لحوت العود ولحيته: قشرت ما عليه من اللحاء: وقد ذكرت ذلك فى كتابنا الموسوم بالتعاقب[1] وقال أيضًا: وأتيت ـ أيضًا ـ فى كتابى الموسوم بالتعاقب على كثير من هذا الباب[2] وجعل لها ابن سيده موضعًا فى المخصص[3]، وابن السكيت فى إصلاح المنطق[4] ونظم ابن مالك بعض ألفاظها فى تسعة وأربعين بيتًا[5].

والمعاقبة هى: أن تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير علة، فأما ما دخلت فيه الواو على الياء والياء على الواو لعلة فليس من ذلك لأنه قانون من قوانين التصريف[6].

ومن هذا التعريف يبدو أن المعاقبة لا تتحقق إلا بأمرين:

١- أن يكون الانتقال من الواو إلى الياء والعكس ليس ناشئًا عن علة صرفية موجبة فلا يدخل فى المعاقبة نحو ميزان وميقات من الوزن والوقت لأن الواو قلبت ياء لعلة تصريفية هى سكونها وانكسار ما قبلها، وكذلك قول الحق تبارك وتعالى ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ [الشمس: ١١] فإبدال الواو من الياء هنا خاضع لقاعدة صرفية هى أن (فَعلى) إذا كانت اسمًا ولامها ياء تقلب الياء واوًا مثل تقوى، أما إذا كانت فعلى صفة فإن ياءها تبقى دون تحول إلى الواو مثل (صديا) لاشتداد العطش.

وقد صرح بعض العلماء بانتفاء العلة التصريفية فى أمثلة المعاقبة فقال ابن جنى: إن أهل الحجاز يقولون للصواغ: الصياغ، وفى ذلك دلالة على ما نحن بسبيله، ووجه الاستدلال فيه أنهم كرهوا التقاء الواوين - لا سيما فيما كثر استعماله - فأبدلوا الأولى من العينين ياء، فصار تقديره: الصيواغ، فلما التقت الواو والياء

(١) الخصائص ١/ ٢٦٤.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٦.
(٣) المخصص ١٤/ ١٩ - ٢٦.
(٤) إصلاح المنطق ص١٣٥ - ١٤٥.
(٥) المزهر ٢/ ٢٧٩ - ٢٨٢.
(٦) المخصص ١٤/ ١٩.

على هذا أبدلوا الواو للياء قبلها فصار (الصياغ). . . . وقلب الياء الثانية لا يستنكر لأنه كان عن وجوب، وذلك لوقوع الياء ساكنة قبلها، فهذا غير بعيد ولا معتذر منه، لكن قلب الأولى - وليس هناك علة تضطر إلى إبدالها أكثر من الاستخفاف مجردًا - هو المعتد المستنكر المعول عليه، المحتج به، فلذلك اعتمدناه. . . . و(فيه) تلعب بالحرف من غير قوة سبب، ولا وجوب علة، فأما ما يقوى سببه ويتمكن حال الداعى إليه فلا عجب منه، ولا عصمة للحرف وإن كان أصليًا دونه[1].

وقد يكون حلول الياء محل الواو أو العكس ناشئًا عن نسيانهم أصل اللفظ، يقولون (الديمة) بقلب الواو ياء لسكونها وكسر ما قبلها، فإذا زال الكسر عادت الواو، كما فى (دوّموا) لانفتاح ما قبلها قال الشاعر:

هو الجواد ابن الجواد ابن سبل إن دوّموا جاد وإن جادوا وبل

وقد ورد عن بعض العرب (ديّموا) فى (دوّموا)[2] وذكر ابن جنى أن بعض العرب ظن أن الياء أصلية وليست منقلبة عن واو فلم يروها مع أن (دوّموا) من الدوام فالواو أصلية وكان يجب الرجوع إليها بعد زوال الكسرة وفتح ما قبلها. . . . وهذا من البدل الذى يلتزمونه مع ذهاب العلة الموجبة له[3].

٢- أن يكون المعنى واحدًا فى الصيغة الواوية والصيغة اليائية ولذا لا يعد من التعاقب ما اختلف معناه فالكور: المبنى من الطين والكير الزق الذى ينفخ فيه الحداد[4] فلا معاقبة هنا.

وتأتى المعاقبة فى الألفاظ المفردة بصيغها المتعددة وتأتى فى المثنى وتأتى فى الجمع وتأتى فى الأفعال وسواء كانت الواو والياء أصليتين أو زائدتين:

١- فى المفردات بصيغها المتعددة مثل سريع الأوبة والأيبة وصيغة فعول مثل هذا الكذاب الأثوم والأثيم[5] وجعلته على حنديرة عينى وحندورة عينى[5].

---

(١) الخصائص ٢/ ٦٥ بشىء من التصرف.

(٢) الخصائص ١/ ٣٥٥ والتصريف الملوكى ص ٢١ وأدب الكاتب ص ٩٧.

(٣) التصريف الملوكى ص ٢٢. (٤) المزهر ٢/ ٢٦٠.

(٥) المخصص ١٤/ ٢٥.

وفى الحديث «ذات حوذان وعبيثران» هو نبت طيب الرائحة من نبت البادية ويقال عبوثران بالواو وتفتح العين وتضم[1].

٢- من المعاقبة فى المثنى: رحوان ورحيان[2].

٣- من المعاقبة فى الجمع ذا دغوات قُلَّب الأخلاق ودغيات[2].

٤- وفى الأفعال مثل: مالك تتحوز منى كما تتحوز الحية وتحيزت إلى فئة وتحوزت وساغ الرجل طعامه يسيغه ويسوغه[3] وسحوت الطين على الأرض وسحيته أى نشرته وكنوت الرجل وكنيته وحنوت العود وحنيته وعزوت الرجل وعزيته إذا نسبته إلى أبيه ويقال: ساخت الأرض تسوخ وتسيخ ورد ذلك فى حديث سراقة فى الهجرة[4] من باب فَعِل يفعِل مثل حسِب يحسِب وقيل هو من باب باع يبيع[5].

ومثله طاع له يطوع ويطيع فهو طائع إذا أذعن وانقاد[6].

ويرى اللغويون أن كل موضع تستعمل فيه الكسرة والضمة أو الياء والواو فالأولى منهما للحجازيين والثانية للتميميين غالبًا وسموا ذلك (معاقبة).

ومما ورد فى كتب اللغة من اختلاف الحركتين: رِضوان ورُضوان، وقِنية وقُنية، وأسِوة وأُسوة، وقِدوة وقُدوة، وصِبية وصِبيان، وصُبية وصُبيان بكسر الحرف الأول وضمه ومما ورد من اختلاف الحرفين: صُيَّام وصُوَّام، ونُيَّام ونُوَّام، وصُيَّاغ وصُوَّاغ، والميائر والمواثر، والمياثق والمواثق، وحيث وحوث، وطغيت وطغوت، ويضيرنى ويضورنى، وعزيته وعزوته، ولغيت ولغوت، وإن بينهما لبينا وبونا والعجاية والعجاوة ودامت السماء تديم وديّمت، ودامت تدوم ودوّمت والدوام.

ومن ذلك فى القراءات قراءة عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥][7] (القيّام) أصله القيوام فلما التقت الواو والياء،

(١) النهاية ٣/ ١٦٩.
(٢) المخصص ١٤/ ٢٥.
(٣) أدب الكاتب ص٤٦٥ والمخصص ١٤/ ١٩، ٢٠.
(٤) النهاية ٢/ ٤١٦.
(٥) المصدر السابق ٣/ ١٤١..
(٦) المصدر السابق ٣/ ١٤٢.
(٧) المحتسب ١/ ١٧٥ - ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص ١١ ومعانى القرآن للفراء ١/ ١٩٠.

وسبقت الأولى بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء وقد قرأ عمر على لهجة الحجاز لأنه قرشى[1] وقرئ ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] (قوامًا) فى قيامًا.

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. وقد رسمت بالياء فى المصحف وأصلها دَوَّارًا.

وقرئ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١] (طيف) يقال: طاف يطيف ويطوف طيفًا وطوفًا فهو طائف ثم سمى بالمصدر ومنه طيف الخيال الذى يراه النائم[2].

وفى الحديث «فصل ما بين الحلال والحرام الصوت والدّف».

يرد إعلان النكاح وذهاب الصوت والذكر به فى الناس يقال له: صوت، وصيت أى ذكر، والدّف الذى يطبل به ويفتح ويضم[3].

وفى حديث آخر «ما من عبد إلا وله صِيت فى السماء» أى ذكر وشهرة وعرفان[4].

وفى الحديث «إن مما ينبت الربيع ما يغيل أو يغول». أى يهلك من الاغتيال وأصله الواو ويقال غاله[5] يغيله ويغوله هكذا روى بالياء والواو وهما متقاربان.

وفى الحديث: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» أى من تلزمه نفقته ويروى (من يقيت) على اللغة الأخرى[6].

وورد أنه ﷺ كتب لوائل بن حجر: إلى الأقوال العباهلة وفى رواية الأقيال[7].

---

(١) تفسير الطبرى ٦/ ١٥٥.
(٢) النهاية ٣/ ١٥٣.
(٣) النهاية ٣/ ٥٨.
(٤) المصدر السابق ٣/ ٦٤.
(٥) المصدر السابق ٣/ ٣٩٤.
(٦) المصدر السابق ٤/ ١١٩.
(٧) المصدر السابق ٤/ ١٢٢، ١٢٣.

وفى الحديث «أكذب الناس الصواغون»[1] وفى رواية الصياغون على لهجة الحجاز وحديث عائشة (إن عمر ديّخ الكفرة) يعنى أذلهم وقهرهم ويقال دوّخ وديّخ بمعنى واحد[2].

وبعض هذه الصيغ يكون أكثر استعمالاً من الأخرى أو أكثر تصرفًا[3] وكل ذلك وأشباهه مما تعاورت عليه الياء والواو ينسب ما هو باليـاء إلى الحجازيين وما هو بالواو إلى التميميين غالبًا[4] ومما يؤيد ذلك ما ورد فى حديث وفد تميم إلى النبى ﷺ الذى نزلت فيه سورة الحجرات «أرأيت المريض إذا حان فوظه» أى موته بالواو هذا يدل على البداوة وقد ذكر ابن الأثير أن المعروف أنه بالياء[5].

ونسبت بعض الكلمات بالياء لتميم وبالواو للحجاز ومما ورد من ذلك (قِنيان) - عند تميم - وقِنوان عند الحجاز -[6] و(قُصيا) - عند تميم - و(قُصوى) عند الحجاز[7] - الهدايا جمع هدية ولغة أهل المدينة هداوى[8] ونسبت المعاقبة إلى غير هؤلاء من العرب فقد نسبت إلى طيئ أنشد ثعلب لرجل من طيئ.

نحن إلى الفردوس والشيردونها وايهات عن أوطانها حوث حلت

قال أبو العباس: هذه لغته[9] وبعضهم (نسب حوث) إلى طيئ أو تميم[10].

والكلوة لغة فى الكلية نسبت لأهل اليمن[11].

---

(١) تفسير الطبرى ٣/ ٦٤، صاغ الشيء: هيأه على مثال مستقيم ويقال: صائغ وصياغ وصواغ وجعلوا أكذب الناس لمواعيدهم الكاذبة ومطلهم وقيل: أراد الذين يزخرفون الحديث والكذب. القاموس ٣/ ١١٤.

(٢) النهاية ٢/ ١٧٤.

(٣) يقول ابن الأثير عند ذكر الحديث (وتديغون القطيفاء) أى تخلطون والواو فيه أكثر من الياء. النهاية ٣/ ١٧٤.

(٤) المخصص ٤. ١٩، ٣٦ والمزهر ٢/ ٢٧٦، ٢٧٧، ١/ ٤١٣ ودراسات فى فقه اللغة ص٩٦ - ١٠١.

(٥) النهاية ٣/ ٤٨٥. (٦) التهذيب ٩/ ٣١٥.

(٧) المصدر السابق ٩/ ١٢٩.

(٨) المصدر السابق ٦/ ٣٨٢ وقال أبو زيد: الهداوى لغة عليا معد ولغة سفلاها الهدايا والمراد بعليا معد: أهل العالية أو عليا مضر وهم أهل الحجاز ومضر هو مضر بن نزار بن معد وسفلاها: تميم أو أهل نجد. جمهرة أنساب العرب ص ١٠.

(٩) المجالس ٢/ ٥٦٦. (١٠) المحكم ٣/ ٣٨٤ واللسان ٢/ ٤٤٤.

(١١) التهذيب ١/ ١٨٥ والمصباح ٢/ ٥٤٠.

ويقال: عبوت المتاع عبوا: إذا عبيته لأهل اليمن[1].

والنيرج والنورج[2]: لغتان الأخيرة لأهل اليمن[3].

- وقد وردت بعض النصوص التى نفهم منها حدوث المعاقبة فى القبيلة الواحدة أو عند العرب جميعًا.

من ذلك ما ذكره ابن سيده من أن المعاقبة تحدث عند القبيلة الواحدة وعند القبيلتين قال: (وأرى كيف تدخل الياء على الواو والواو على الياء من غير المعاقبة عند القبيلة الواحدة وإما لافتراق القبيلتين فى اللغتين)[4].

ويذكر الأزهرى: أنا أمحوه وأمحاه وطيئ تقول: محيته محيًا ومحوًا[5].

وأهل اليمن يقولون للذئب القِلَّوب والقِلَّيب قال شاعرهم:

أيا جحمتا بكِّى على أم واهب قتيلة قِلَّوب ببعض المذانب

وقال آخر:

أتُيح لها القِلَّيبُ من أرض قرقرى وقد تجلب الشر البعيد الجوالبُ[6]

وظنى أن ذلك ناشئ من تأثر القبائل بعضها ببعض فمن يجمع بين الاستعمالين جامع للهجة أخرى مع لهجته (وقد يجوز أن تكون لغته فى الأصل إحداها ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى وطال بها عهده وكثر استعماله لها فلحقت لطول المدة واتصال استعمالها بغلته الأولى)[7].

وبعض هذه الصيغ يكون الأصل فيها الواو وبعضها يكون الأصل فيه الياء:

يقال: يوجع ويبجع وياجع وأصله من الواو[8].

---

(١) الجمهرة ١/ ٣١٧.
(٢) آلة من حديد وخشب يداس بها الطعام.
(٣) التهذيب ١١/ ٣٨ وديوان الأدب ٢/ ٣٦.
(٤) المخصص ١٤/ ١٩.
(٥) التهذيب ٥/ ٢٧٧ والمخصص ١٣/ ١٧.
(٦) العين ٥/ ١٧٢ والتهذيب ٩/ ١٧٥ والجمهرة ٢/ ٥٩، ٣/ ٣٧٥، ٤٢٣.
(٧) الخصائص ١/ ٣٧٢ باب فى الفصيح يجتمع فى كلامه لغتان فصاعدا.
(٨) التهذيب ٣/ ٥١.

ويقال: وجلت توجل وتيجل من الواو[1] ونسبت الصيغة اليائية لتميم لكراهة الواو مع الياء والواوية لأهل الحجاز[2] وقد أبدلت ألفًا فقيل: ياجل وياجع كراهة اجتماع الواو مع الياء - أيضًا - كما يذكر سيبويه[3] وكذلك كسايان وخبايان عند بنى فزارة الأصل الواو، ولذا جاء كساوان وخباوان[3] وعزيته إلى أبيه: نسبته ويقول بنو أسد: عزوته إلى أبيه وأصله الواو[4].

والتيه قال فيه رجل من بنى كلاب: التوه وأصلها الياء[5].

وبرى القلم يبريه بريا وناس يقولون: يبرو القلم[6] والأصل الياء.

والدهو والدهى: لغتان: الدهاء والأصل الياء[7].

والطغيان والطغوان لغة فيه والفعل طغيت وطغوت والأصل الياء[8].

وقد حاول بعض اللغويين القدامى أن يفسروا هذا التعاقب على أنه من قبيل التبادل الذي لم يستوف شروط القلب لعلة فلسفية تدل على فنية هذه اللغة وموسيقيتها.

فسعة قواعد العربية جعلتنا نتلقى بالقبول صِبية وصِبيان بقلب الواو ياء وإن لم تقع بعد كسرة مباشرة لأنهم اعتبروا الساكن غير حصين فكأن الكسرة مباشرة للواو فقلبت مناسبة لها ليتحقق التكامل الفنى الموسيقى.

ثم إننا رأينا فى اللغة صُبية وصُبيان - بضم الضاد - وهذا أيضًا لم يمنع من استمرار الياء لأن الداعى إلى القلب هو الخفة وهو منهج البناء اللغوى العام وإلا لأبقيت الواو على أصلها.

---

(١) التهذيب ١١/ ١٩٠.

(٢) الكتاب ٤/ ١١١ والجيم ٣/ ٣٠٥.

(٣) التهذيب ١٥/ ٦٩٠.

(٤) المخصص ١٤/ ٢٣.

(٥) التهذيب ٩/ ٣٩٦ والتكملة ٦/ ٣٣٧ والمصباح (تيه).

(٦) التهذيب ١٥/ ٢٦٧.

(٧) التهذيب ٦/ ٣٨٥ وإصلاح المنطق ١٣٩.

(٨) التهذيب ٨/ ١٦٧.

ويقولون: أبيض لِيـاح بكسر اللام فقلبـوا الواو ياء مع عدم استـيفائهـا شروط القلب إذ إنها ليست جمعًا كرياض ولا مصدرًا جاريًا على فعل معتل كقيام وصيام وذلك القلب داع إلى رشاقـة اللفظ وسلاستـه لأن الياء أخف من الواو وما أكـثر جنوح العربية إليها.

وقالوا رجل غديان وعشيان والأريحية، ورياح بفتح الراء.

وكذلك مـيائق أبقـوا الياء مع زوال الكسـرة الموجبة للقـلب والمعروف أن زوال السبب يؤدى إلى زوال ما يترتب على وجوده من أحكام، فقد كـان المفرد مستحقاً للإعلال (ميثاق) لوجود الكسرة سابقة للواو ولكن الجمع لا تبقى فيه الكسرة ومن هنا يقال فى جمعه (مواثيق) على الأصل.

ويحار اللغـويون عندما يجدون الكلمـة بالياء قد وردت فى كلام العـرب نحو قولهم: فيما أنشده أبو زيد:

حـــمى لا يحل الدهـر إلا بإذنـنا ولا نســأل الأقــوام عـقــد الميــاثق

وكذلك يسمع اللغويون قول شاعر آخر:

عـــدانى أن أزورك أم عـــمـــرو دياويـن تشـــــــقـق بـالمـداد[1]

فكلمة (دياوين) جـمع ديوان وينطبق عليه مـا قيل فى سابقـه وقد أبدى ابن جنى وجهة نظر فى هذه الصيغ وأثبت عمق اتجاهاتها وملاءمتها لفن اللغة وطابعها البنائى فيما يأتى:

١- أن أكثـر اللغة وشـائع الاستـعمال هو إعـادة الواو عند زوال الكسـرة مثل موازين وريح وأرواح.

٢- الغرض من القلب هو طلب الخفة فكأن القلب ليس ناتجًا عن الكسرة بل لما تقدم من الاسترواح إلى انقلابها ودلالة على تمكن القلب فى الواحد حتى كأن الياء أصل فيه.

---

(١) الخصائص ١/ ١٤٣، ٣٥٠، ٣٥١، ٣/ ١٥٧، ١٥٨.

وتبعًا لهذا الاعتبار صرح ابن جنى بأنه يمكن تصغير (ميثاق) بإبقاء الياء فيقال: (مييثيق) على نمط الجمع الذي حمل على مفرده[1].

وجاءت فى اللغة دامت السماء تديم ودوّمت السماء وديّمت ولكن المضارع جرى فى المثال الأول على هذا النسق وليس من باب فعل يفعَل بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المضارع بدليل المصدر (ديما) وليس لغة فى هذا الأصل بمنزلة ضاره يضوره ضيرًا حيث لم يأت (الديام) مصدرًا كـ(الدوام) الوارد فيه[2] وهذا تطبيق لمذهب ابن جنى فى الاختلاف بين لفظتين فى حرف واحد ومتى تعتبر كل منهما لهجة لقبيلة خاصة أو إحداهما منقلبة عن الأخرى والمعروف أن أبا الفتح يبنى هذا على أساس تصرف كل منهما فالأكثر تصرفًا واستعمالاً هى التى يليق بها أن تكون الأصل والثانية فرع أما إذا تساويتا تصرفًا واستعمالاً فليست إحداهما منقلبة عن الأخرى بل هما لهجتان وهنا يصرح ابن جنى بأن اليائية منقلبة عن الواوية لقصور التصرف بالنسبة للأولى وكيف يقبلون ويسلكون هذا الطريق مع عدم ما يقتضيه؟

إن الإجابة على هذا السؤال تتحقق فى مناسبة القلب الهدف العام وهو التخفيف، ويبدو أن قانون (المعاقبة) قد لعب دورًا أساسيًا فى مثل هذه التغيرات فهى في الأصل لهجات إذ تذكر لنا كتب اللغة أن لكل من الضم والكسر والواو والياء طبيعة صوتية تختص بقبيل تبعًا للثقل والخفة.

فاللغة نتاج اجتماعى ووليدة البيئة التى تحيا فيها فالمجتمع المتحضر يفضل حركة معينة على حين يفضل المجتمع البدوى حركة أخرى وهنا بدا أن الكسرة مختصة بالحضر والضمة مختصة بالبدو فيما وصل إلينا من كلمات.

والياء امتداد للكسرة والواو امتداد للضمة ولذا رأينا أن كلا منها تختص بطائفة من العرب فاليـاء للحجاز والواو لتميم وعلى هذا وجدنا الكلمات السابقة تفسر على أساس لهجى فى بيئتين حجازية وتميمية[3].

---

(١) الخصائص ٣/ ١٦٠، ١٦١. (٢) المصدر السابق ١/ ٣٥٥، ٣٥٦.

(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ١٩٠ والمحتسب لابن جنى ١/ ١٧٥ ومختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص١٩، وإصلاح المنطق ص ١٢٧ والمزهر ٢/ ٢٧٦.

التبادل بين حروف العلة والصوامت

التبادل بين الألف والعين:

من أمثلة ذلك فى القراءات قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨] قرأ (ولا تصاعر) ـ بألف بعد الصاد وتخفيف العين ـ نافع وأبو عمرو، والكسائى وخلف واليزيدى والأعمش، وقرأ الباقون (تصعر) ـ بتشديد العين بلا ألف.

والألف لا يصح إدغامها فى العين إذ هما من طبيعتين صوتيتين مختلفتين ولكن إدغامهما وعدمه فى هذه الآية - على حسب القراءات السبعية الواردة فيها - يرجعان إلى طبيعة القبائل العربية.

فبعض القبائل تقلب الألف إلى عين حتى يتماثلا ثم تدغمهما للتقريب والسرعة فى النطق وهذه طريقة تميل إليها القبائل البدوية، وجرى على الفصل بين الصوتين وعدم الإدغام بعض العرب المتحضرين.

ونرى أن كلا منهما يمثل اتجاهًا لهجيًا خاصًا.

وعلى أساس مما وصل إليه علم الأصوات الحديث نرى أن الاتجاه الثانى يتطلب مجهودًا عضليًا والأول لا يتطلب ذلك لأنه ناجم عن السرعة فى النطق ومن هنا استنتج علماء اللغة أن الإدغام ينسب إلى القبائل التى كانت تسكن وسط الجزيرة وشرقيها فمعظمها قبائل بدوية تميل إلى التخفيف والسرعة فى النطق كتميم وأسد وغنى وعبد القيس وبكر بن وائل وكعب ونمير، كما ينسب الإظهار إلى بيئة الحجاز.

التبادل بين الألف والنون:

تكلم ابن جنى على إبدال الألف من تنوين المنصوب ونون التوكيد الخفيفة ونون (إذًا) حال الوقف مثل: (رأيت زيدًا) وقوله تعالى: ﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥] وقولك: (أنا أزورك إذًا)[١].

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٣٠.

التبادل بين الألف والهاء:

١- قـــــد وردت مـن أمكـنـة مـــن هـــهـــنـا ومـــن هـــنـــه

إن لـم أروّهـا فـــــــمـــــــه

٢- أنه فى أنا حال الوقف[١].

فى الأمثلة الأولى قال ابن جنى بالإبدال بين الألف والهاء على أن تكون الألف هى الأصل[٢] وقـد أبدلت فى (هنا) الإشـارية هاء فـصـارت هنه، وهذا مـوافق لعاميـتنا وهو منسوب لقيس وتميم[٣] و(مه) فى الرجز السابـق يحتمل وجهين: أن تكون الهاء بدلاً من ألف (مـا) وأن تكون (مه) اسم فعل بمعنى اكفـف أى فاكفف عنى فلست أهلاً للعتاب، أو فمه يا إنسان يخاطب نفسه ويزجرها[٤].

وفى (أنا) كذلك أبدلت الألف هاء فى الوقف.

وهذه كلها حالات للوقف قصد فيها بيان حـركة الحرف المفتوح فتارة تبين الحركة بالألف فيـقال: هنا - أنا وتارة أخـرى تبين بالهاء فـيقـال: هنه - أنه ويميل بعض العرب إلى هذا وبعضـهم الآخر إلى ذاك فالأمر لمجرد بيان الحـركة لا لأن أحدهما يبدل من الآخر ومن هنا اقتصر الدمامينى فى (أنه) على الوجه الثانى، فقال فى باب الضمير من شـرح التسهيـل - بعد ذكـره أن ثبوت الألف فى الوقف لبيان الفتحة ما نصه: «وقد تبين فتحتها بهاء السكت كقول حاتم: هكذا فزدى أنه»[٥].

التبادل بين الباء والواو:

وذلك فى أسلوب القـسم مثل باللـه، والله ونحو ذلك، قـال ابن جنى: وإنما أبدلت الواو من الباء ـ فى ذلك ـ لأمرين:

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقات ١٠٥ - ١٠٧.

(٢) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٠٦.

(٣) اللهجات العربية د. نجا ص٦٥، ٦٦.

(٤) سر الصناعة الورقـة ١٠٦ الوجه الأول مخطوطة الأزهر ولسان العرب ٢٠/ ٣٦١ وقـال الأشمونى: أى أنها قد وردت من كل جانب وكثرت فإن لم أروها فلا تلمنى واكفف عنى ٤/ ٣٣٤.

(٥) انظر: المفصل ٩/ ٨٣، ٨٤ والأشمونى مع الصبان ٤/ ٣٣٤.

أحدهما: مضارعتها إياها لفظًا والآخر مضارعتهـا إياها معنى، أما اللفظ فلأن الباء من الشفة كما أن الواو كذلك وأما المعنى فلأن الباء للإلصاق والواو للاجتماع والشيء إذا لاصق الشيء فقد اجتمع معه[1].

وبرهن على أن الباء هى الأصل والواو بدل منها بدليلين:

أحدهما: أنها موصلة للقسم إلى المقسم به فى قولك: أحلف بالله كما توصل الباء الممرور إلى الممرور به فى قولك: مررت بزيد فالباء من حروف الجر بمنزلة من وعن.

والآخر: أن الباء تدخل على المضمر كما تدخل على المظهر فتقول:

بالله لأقومن وبه لأقعدن والواو لا تدخل على المضمر ألبتة تقول: والله لأضربنك ولا تقول وه لأضربنك فرجوعك مع الإضمار إلى الباء يدل على أنها هى الأصل[2].

وابن جنى فى رأيه السابق متأثر بموقف القدماء من مخرج الواو إذ يجعلونها من مخرج الباء يقول: ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو[3] وهو متأثر فى ذلك برأى سيبويه، وهذا يصدق على الواو غير المدية التى يتحدثون عنها أما الواو التى هى حرف مد فهى من ذوات المخرج المتسع على حد تعبير ابن جنى[4].

والدراسة الصوتية الحديثة تؤكد أن نظرة القدماء إلى الواو غير المدية لم تكن دقيقة فى تحديد مخرجها، فهى فى الحقيقة من أقصى اللسان حين يقترب من أقصى الحنك غير أن الشفتين حين النطق بها تستديران أو بعبارة أدق تكمل استدارتهما... ولعل وضوح استدارة الشفتين مع الواو هو الذي جعل القدماء ينسبون مخرج الواو إلى الشفتين[5].

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٦٠.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٥٩.

(٣) المصدر السابق ص ٥٣.

(٤) المصدر السابق ١/ ٨.

(٥) الأصوات اللغوية ص٤٤.

فمخرج الباء إذًا مختلف عن مخرج الواو إذ الأولى من الشفة والثانية من أقصى الحنك كما تثبت الدراسات الصوتية الحديثة. ويختلفان كذلك فى صفات كثيرة فالباء صوت مجهور شديد مستفل منفتح ذلق مقلقل والواو تتفق معها فى الجهر والاستفال والانفتاح فقط وتخالفها فيما عدا ذلك.

وهذا كله يمنع حدوث التبادل بينهما وكل ما يمكن قوله أن كلا منهما حرف يستعمل فى القسم - كما يستعمل فى غيره - إذ للباء خمسة عشر معنى ذكرها النحاة من بينها القسم[1] والواو لها معان كثيرة كالعطف والاستئناف ومن بينها استعمالها فى القسم[2] وكما يقول النحاة: يمكن جعل هذا الاستعمال من قبيل التعويض لا الإبدال ولا يلزم فى المعوض أن يكون من جنس المعوض عنه أو أن تكون هناك علاقة صوتية بينهما إذ التعويض جعل حرف خلفا عن حرف آخر أو أكثر[3] ولا يشترط فيه التقارب.

وهنا استعمل العربى القسم متخذًا وسيلة من وسائله وهى الواو كما يصح أن يتخذ أداته الأخرى الأصيلة فيه وهى الباء وقد صرح بذلك الصبان حين قال: - معللاً اختصاص الواو بالظاهر فى الجر - لأن بعضها عوض عن باء القسم لا أصل فيه[4] ويقول: «إن الواو عوض من الباء والتاء عوض من الواو»[5].

والأدلة التى علل بها ابن جنى لإبدال الواو من الباء - وذكرتها سابقًا - تشير إلى أن الباء أصيلة فى استخدامها فى معنى القسم ولكنها لا تدل بحال على أن الواو بدل منها بالمعنى اللغوى بل على معنى أنه قد تقوم الواو فى الاستعمال فى القسم مقام الباء على سبيل التعويض لا الإبدال والذى جعلنا نذهب هذا المذهب عدم وجود العلاقة الصوتية المسوغة للتبادل كما اتضح من الدراسات الصوتية

(١) الأشمونى ٢/ ٢١٩ - ٢٢٢.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٣٠٧ والتصريح ٢/ ١٧.

(٣) القواعد والتطبيقات ص ٤.

(٤) الأشمونى مع الصبان ٢/ ٢٠٧.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٠٥ وحديثهم عن إبدالها كان للاتفاق فى المخرج كما تصورا.

الحديثة، وأما اتفاقهما فـى بعض المعانى فليس من مسوغات الإبدال إذ المعول عليه إنما هو المخرج والصفات.

التبادل بين التاء والواو:

١- تراث - تقية فعيلة من وقـيت - تقوى - توراة - تولج - تخمة - تكأة - تيقور - تلاد - تترى - (فعلى من المواترة) - اتعد - اتلج.

٢- أخت - بنت - هنت - كلتا[١].

صرح ابن جنى بإبدال التـاء من الواو فى الأمثلة الأولى فقال وقـد أبدلت التاء من الواو فاء إبدالاً صالحًا[٢] وذكر الأمثلة السابقـة وعلل ذلك بأصل الاشتقاق فى كل منها فتراث فعال من ورث وتقـية فعيلة من وقيت وتوراة فوعلة من ورى الزند وأصلها وورية فأبدلت الواو الأولى تاء إلخ، وقال: إن التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصـول الثنايا والواو من الشفـة فأبدلوها تاء[٣] وقد جعل ابن جنى هذا الإبدال غير قياسى إلا فى افتعل وماتصرف مـنه فقال: وهذه الألفاظ التى جمعتها وإن كانت كـثيرة فإنه لا يجـوز القياس عليهـا لقلتها بالإضافـة إلى ما تقلب واوه تاء. . . فأما ما نقـيس عليه لكثرته فافتعل وما تصـرف منه إذا كانت فاؤه واواً فإن واوه تقلب تاء وتدغم فى تاء افـتعل التى بعـدها[٤] وعلل لاطراد هذا الإبدال فى افتعل وما تصرف منه بأنهم لو لم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء وإذا انضم ما قـبلها واواً وإذا انفتح مـا قبلها ألفًـا فيقـولوا ايتعد - مـوتعد - ياتعد، فلما كانوا لو لم يقلبوها تاء صائرين إلـى قلبها مرة ياء ومرة ألفًا ومرة واواً أرادوا أن يقلبوها حرفًا جلداً تتغير أحوال ما قبله وهو باق بحاله، وهذا ما عبر عنه أستاذنا الدكتور نجا فى كتابه اللهـجات العربية بقوله: أكثر العرب على إبدال الواو والياء تاء إذا وقعت فـاء لافتعل حتى لا تكون عـرضة لتلاعب الحركات فـيقولون اتقـى واتسـر فى اوتقى وايتسر[٥] وقد حكى ابن جنى الاتجاه العربى الثانى الذى

(١) سر الصناعة ١/ ١٦١ - ١٦٩ وقد ذكر سيبويه هذه الألفاظ. الكتاب ٢/ ٨٢، ٨٣.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٦١.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٦٤.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٦٣.

(٥) المصدر السابق ص ٦٧.

لا يعبأ بتلاعب الحركات فيقول ايتعد - موتعد - ياتعد[1] إلخ ونسب اللغة الأولى لأهل الحجاز فقال واللغة الأولى أكثر وأقيس وهى لغة أهل الحجاز وبها نزل القرآن[2].

وأما عن الأمثلة الثانية فقد أوضح أن أصل هذا كله أَخَوة وبَنَوة وهَنَوة وكلوا فنقلوا أخوة وبنوة ووزنهما فعل بفتح الفاء والعين - إلى فُعْل - بضم الفاء وسكون العين - وفِعْل بكسر الفاء وسكون العين - وألحقوهما بالتاء المبدلة من لامها بوزن قُفل وحِلس فقالوا أخت وبنت وليست التاء فيهما بعلامة التأنيث كما يظن من لا خبرة له بهذا الشأن لسكون ما قبلها هكذا مذهب سيبويه وهو الصحيح.

وأما هنت فيدل على أن التاء فيها بدل من واو قولهم فى الجمع هنوات وأما كلتا فذهب سيبويه إلى أنها فِعلى بمنزلة الذكرى والحفرى[3]، وأصلها كِلوا فأبدلت الواو تاء كما أبدلت فى أخت وبنت[4] وذهب أبو عمر الجرمى إلى أنها فِعتل وأن التاء فيها علم تأنيثها ولكن ابن جنى رد عليه بأن تاء التأنيث يكون ما قبلها مفتوحًا أو تكون قبلها ألف مثل طلحة وحمزة وسعلاة وعزهاة وكلتا مثنى بإجماع من

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٦٥ والدقة تقتضى نسبة الأولى إلى أكثر العرب والثانية إلى بعض الحجازيين. المفصل ١٠/ ٣٧ والأشمونى ٤/ ٣٣٠ واللهجات العربية ص ٦٨.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٦٥ وقال الليث تاء الأخت أصلها هاء التأنيث كما قال الخليل ولكن ذلك ليس مقبولاً وقد نقل صاحب اللسان رأى ابن جنى دون أن ينسبه إليه. اللسان ١٨/ ٢٢ وقال الأستاذ برجشتراسر إن الأخ والابن من الأسماء القديمة جداً التى مادتها مركبة من حرفين فقط لا من ثلاثة أحرف وإن التاء وإن لم تسبقها فتحة هى تاء التأنيث فهى في غير اللغة العربية وخصوصًا فى الأكدية والعبرية كثيراً ما لا فتحة قبلها مثال ذلك أن الخمسة فى الأكدية hamistu وفى العبرية hmeset أصلها hamist كلها بشين ساكنة وعلى هذا قرر عدم وجود إبدال للتاء من الواو (التطور النحوى ص ٣٣) ولكن المقارنة غير سديدة لأنها بين لغات قديمة جداً وبين اللغة العربية التى بلغت نهاية تطورها بعد آماد طويلة على أن الحرف الثالث فى كلمة أخ وأب وحم وهى في حال الإفراد ثابت فى بعض اللغات السامية الأخرى فأب فى الأشورية والبابلية (أبو) وفى الأرامية (أبا) وأخ فى الأشورية والبابلية (أخو) وفي الحبشة ولغات جنوب الجزيرة (أخو) وحم فى الأشورية والبابلية (أمو) وفى الأرامية (حما). تاريخ اللغات السامية ص٢٨٣، ٢٨٦ والواو قد زالت لوجود التنوين وعند ذهابه تعود الواو مثل أبوك وأخوك. مدرسة الكوفة ص١٩٠ فرأى القدماء أقرب إلى طبيعة اللغة العربية.

(٣) الحفرى: نبت وقيل: شجر ينبت في الرمل وقيل: ذات ورق وشوك صغير وزهر أبيض، ولا تنبت إلا فى الأرض الغليظة، الواحدة حفراة.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٦٧، ١٦٨.

البصريين وعلامة التأنيث لا تكون وسطًا[1] وهذا الرد سديد إلا أن القول بالإبدال بين التاء والواو - إذا كان له مسوغ لدى القدماء لقرب مخرجيهما كما قال ابن جنى[2] - فقد أثبتت الدراسات الصوتية بعده فالواو من أقصى اللسان كما ذكرنا والتاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا كما يقول علماء الأصوات ولا اتفاق بينهما فى الصفات أكثر من الاستفال والانفتاح والإصمات وهذا لا يصح به إبدال ويمكن أن نفسر هذه الكلمات على أنها استعملت بهذا الوضع فى لهجات خاصة وعلى سبيل التعويض وقد صرح ابن جنى نفسه بأن هذا ليس أمرًا مطردًا فلا نقول قياسًا على تقية فى وقية تزير فى وزير ولا نقول فى وجيهة تجيهة ولا فى أوعد أتعد قياسًا على أتلج ولا فى ولهى تلهى قياسًا على تترى[3] وعلى الرغم من اطراد الإبدال فى افتعل مما فاؤه واو فإن بعض العرب - كما قال ابن جنى - تنطق الصيغة على الأصل بلا إبدال فيقولون فى اتعد اوتعد - موتعد ياتعد[4]، فليس هذا إذًا من قبيل الإبدال وإنما هو من قبيل اختلاف اللهجات وفى أخت وأشباهها التاء عوض من الواو لا بدل منها على ما قدمنا.

التبادل بين الميم والواو:

فى كلمة (فم) جعل ابن جنى الميم بدلاً من الواو وقال إن أصله (فوه) بزنة سوط حذفت الهاء تخفيفًا كما حذفت من سنة فيمن قال ليست بسنهاء وعملت مسانهة ومن شاة وشفة ومن عضة فيمن قال بعير عاضه ومن است فصار التقدير (فو) فلما صار الاسم على حرفين الثانى منهما حرف لين كرهوا حذفه للتنوين فيجحفوا به فأبدلوا من الواو ميما لقرب الواو من الميم لأنهما شفهيتان وفى الميم هُوِىّ فى الفم يضارع امتداد الواو[5]. وبنى ابن جنى هذا الرأى على اعتقاده - كالقدماء - بأن مخرج الواو هو الشفة فبذلك يتحد مخرجهما وعليه يسوغ التبادل.

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٦٨.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٦٤.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٦٣.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٦٥.

(٥) المصدر السابق مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨٠.

ولكننا أوضحنا أكثر من مرة أن الدراسات الصوتية الحديثة أثبتت أن الواو غير المدية من أقصى اللسان فبعد بذلك مخرجاهما فلا يسوغ الإبدال. وللقدماء رأى آخر ـ يجعل ـ الميم عوضًا لا بدلاً ـ يقول أبو الهيثم: لما حذفوا الهاء من فوه بقيت الواو ساكنة فاستثقلوها وقوفًا عليها فحذفوها فبقى الاسم فاء وحدها فوصلوها بميم ليصير حرفين حرف يبتدأ به فيحرك وحرف يسكت عليه فيسكن[1]. والميم حرف جلد يمكن الاعتماد عليه، ولا يعترف الأستاذ برجشتراسر بأن الميم بدل من الواو ويدعى أنها ميم التمييم الذى هو التنوين فى اللغة العربية فكان الرفع Fum والخفض Fim والنصب Fam والميم فيها لم تصر نونًا مع سائر الميمات الانتهائية بل بقيت على حالها لأنهم كانوا يتلقونها كأنها أصلية فأضافو إليها الإعراب، والتنوين فصارت فمٌ. فمٍ. فمًا. فنقلت الميم من آخر الكلمة إلى وسطها، ومن أجل ذلك لم يجر عليها القانون الصوتى الذى بمقتضاه أصبحت الميم الانتهائية نونًا فى اللغة العربية ولكن لا دليل لبرجشتراسر على دعواه والاشتقاق يؤيد أن الأصل هو الواو (فاه يفوه فوها)، ولا يتصور أن الميم فيه بمنزلة التنوين وإلا فما أصل الكلمة حينئذ وصور الإعراب التى ذكرها لا تطابق الواقع إذ الإعراب محله آخر الكلمة لا وسطها وليست الكلمة (فم) من مادة (فوم) بل من مادة (ف و ه) كما يتضح بالاشتقاق فالأولى أن تجعل الواو عوضًا كما يقول بعض القدامى.

التبادل بين الهاء والواو:

١- وقد ر ابنى قولها يا هنا ه ويحك ألحقت شرا بشر

٢- قد وردت من أمكنه من هههنا ومن هنه

إن لم أروّها فمه

(١) لسان العرب ١٧/ ٤٢١ - ٤٢٣، وانظر الموضوع بأسره فى اللسان ١٧/ ٤٢١ - ٤٢٦.

جعل ابن جنى الهاء بدلاً من الواو أو من الألف المبدلة منها فى (هناه) قال: «وأبدلوها (أى الهاء) من حرف واحد وهو قول امرئ القيس (**وقد رابنى قولها يا هناه إلخ**) فالهـاء الآخرة فى هناه بدل من الواو فى هنوك وهـنوات وكان أصله هناو فأبدلت الواو هاء قالوا: هناه هكذا قال أصحابنا[1] ولو قال قائل إن الهاء فى هناه إنما هى بدل من الألف المنقلبة من الواو الواقـعة بعد ألف هناه إذ أصله هناو ثم صار هناء كـما أن أصل عظاء عظاو ثم صار بعـد القلب عظاء. . فلما صار هناء والتقت ألفـان كره اجتماع الساكنين فقلبـت الألف الآخرة هاء فقالوا هناه كمـا أبدل الجميع من ألف (عظاا) الثانيـة همزة لئلا يجتـمع ساكنان لكان قولا قوياً ولكان أيضًا أشبه من أن تكون قلبت الواو فى أول أحوالها هاء وذلك من وجهين: **أحدهما** أن من شريطة قلب الواو ألفا أن تقع طرفًا بعد ألف زائدة وقد وقعت هناه كذلك **والآخر** أن الهاء إلى الألف أقرب منها إلى الواو بل هما فى الطرفـين ألا ترى أن أبا الحـسن ذهب إلى أن الهـاء مع الألف من مـوضع واحد لقرب مكانيهما، فقلب الألف إذًا هاء أقرب من قلب الواو هاء[2].

وقد حكى ابن جـنى رأى أبى زيد قال: «وكتب إلىّ أبو الحـسن من حلب فى جواب شىء سـألته عنه فقـال: وقد ذهب أحد علمائـنا إلى أن الهاء من هناه إنما ألحقت فى الوقف لخفاء الألف كما تلحق بعد ألف الندبة فى نحو وازيداه ثم إنها شبهت بالهـاء الأصلية فحركت فقالوا: يا هناه ولـم يسم أبو على هذا العالم فلما انحدرت إليـه إلى مدينة السلم وقرأت عليـه نوادر أبى زيد نظرت وإذا أبو زيد هو صاحب هذا القول» ثم قال ناقدًا له: «وهذا من أبى زيد غـير مرضىّ عند الجماعة وذلك أن الهاء التى تلحق لبيان الحـركات وحروف اللين إنما تلحق فى الوقف فإذا صرت إلى الوصل حذفتهـا ألبتة فلم توجد فيه ساكنة ولا متحركـة وقد استقصيت هذا الفصل فى كتابى فى شـعر المتنبى عند قوله (**واحر قلباه ممن قـلبه شبم**) ودللت هناك على ضعف قول أبى زيد وبيت المتنبى جميعًا.

---

(١) هم البصريون كما فى اللسان ٢٠/٢٤٢.

(٢) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الورقة ١٠٧ واللسان ٢٠/٢٤٣، ٢٤٤.

وحكى ابن السراج عن الأخفش أن الهاء فى هناه هاء السكت بدليل قولهم يا هنانيه واستبعد قول ابن جنى وأصحابه لأنه كان يجب عليه أن يقال يا هناهان فى التثنية والمشهور يا هنانيه[1]، ورد ابن جنى عليه واضح فيما سبق ودليل الأخفش غير مسلم به لاحتمال ألا تكون هنانيه مثنى لكلمة هناه بل لكلمة هن، وفرق بين الهاء فى هناه وهنانيه.

ونحن نرى أن مخرجى الحرفين الواو والهاء متباعدان على رأى الأقدمين ومنهم ابن جنى فالواو من الشفة والهاء من أقصى الحلق وكان من الواجب إذن عدم القول بالإبدال[2] ولكننا نرى أن المحدثين بينوا أن الواو من أقصى اللسان وهذا يعطيها تقاربًا أكثر من الهاء ويمكن تفسير هذا التبادل بينهما بأنه وضع لحرف جلد يمكن الاعتماد عليه وإجراء الحركات معه والهاء تتحمل ذلك أكثر من الواو وكل صور الإبدال بين الواو والياء والألف ووضع الهاء مكانها يمكن تفسيرها بأنها مرحلة من مراحل التطور اللغوى والانتقال من الإعلال إلى التصحيح ليقوى اللفظ ويبرز.

التبادل بين الباء والياء:

ذكر ابن جنى أن الباء تبدل ياء فى نحو ثعالى وأرانى فى قول الشاعر - أنشده سيبويه:

لها أشاريرٌ من لحم تُتَمِّره من الثعالى ووخزٌ من أرانيها

قال: أراد الثعالب والأرانب فلم يمكنه أن يقف الباء فأبدل منها حرفًا يمكن أن يقفه فى موضع الجر وهو الياء، وليس أنه حذف من الكلمة شيئًا ثم عوض منه الياء، هذا هو رأى سيبويه ـ كما حكاه ابن جنى - وهو يرى فيه رأيًا آخر عبر عنه بقوله:

ويحتمل أن يكون الثعالى ـ عندى ـ جمع ثعالة وهو الثعلب، أراد أن يقول: ثعايل فقلب، فقال: (ثعالى) قالوا:

---

(١) اللسان ٢٠/ ٢٤٢.

(٢) لأن ابن جنى شرط التقارب بين الحروف.

وكـأن أولاها كـعـاب مـقـامـر ضـربت على شزن وهن شـواعى[1]

أى: شوائع، ومن أبيات الكتاب:

تكـاد أواليـهـا تفـرّى جلـودها ويكتـحل الـتـالى بمور وحـاصب[2]

يريد أوائلها، وله نظائر.

ولكن ابن جنى يعود فيرجح الإبدال فيها - كـما ذهب إليه سيبويه - وكما هو فى نظيرتها (أرانى) فـيقول: إلا أن الذى ذهب إليه سـيبويه أشبه بقـولهم: أرانيها ولأن الثعالة اسم جنس وجمع أسماء الأجناس ضعيف[3].

ولكننا لو بحـثنا فى العـلاقة الـصوتيـة بين البـاء والياء فـإننا نجـد تباعـدًا فى مخرجيهما وصفاتهما ولذا نحكم بعدم التبادل فيهما بل هما لهجتان[4].

ومن أمثلة ما قيل فى التبادل بين البـاء والـياء ما جـاء فى المـضعف مثل ديباج ـ لبـيت ـ ولبـيـك (على قـول يـونس) ـ لا وربيـك لا أفـعل.

قالوا: (ديـباج وديابيج فـدل قولهم: ديابيج باليـاء على أن أصله: دبّاج وأنهم استثقلوا تضعيف الباء ومثله لا وربيك لا أفعل أى وربك)[5].

وقال بعضهم: لبيت بالحج هو لبيت فعلت ـ بتشديد العين ـ من قولهم: ألب بالمكان أى أقام به قال مضر بن كعب:

---

(١) وكان أولاها إلخ فى رواية أخرى (وكأن صرعيها) وهما إبلان ترد إحداهما حين تصدر الأخرى لكثرتها. الكعاب: فـصوص النرد واحدهـا كعب وكعـبة وهو شىء يلعب به فارسـى معرب واللعب بهـا حرام، الشزن: الكعب، شواعى مقلوب شـوائع أى متفرقة، والشاعر يشبـه أولى الإبل (التى يتحدث عنها) فى مجيئها متفرقة متعارضـة بعض هنا وبعض هناك - لكثرتها - بكعاب المقامر التى تتضاد وتتفرق. اللسان ٢/٢١٥، ٤/٤٣١، ١٠/٥٨، ٦٥، ٦٦، ١٧/١٠٢.

(٢) تفرى: تشق وتقطع - المور: الغبـار بالريح - الحاصب: ريح شديدة تحمل التراب والحـصباء، يقول: إن أوائل (ما يتحدث عنه من خيـل أو إبل) تكاد لسرعتها ونفاذها لغرضها تشق جـلودها ولا يبالى بعضها الآخر بما يدخل فى عيونها من تراب تثيره الريح. اللسان ١/ ٣١٠، ٧/٣٧، ٢٠/ ١١، ١٢.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٢، واللسان ١/٣٣٢، ٤١٨، ٤١٩.

(٤) اللهجات العربية د. نجا ص ٦٦.

(٥) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٢ واللسان ٣/٨٦، ٧/٤٦٨، ١٨/١٦٧.

فـقلت لـهـا فـيء إليك فـإننى حـــرام وإنى بعـــد ذاك لبـــيب

أى ملب بالحج[1].

ويزعم يونس أن لبيك اسم مفرد وأصله عنده لبّب ووزنه عنده فعلل ولا يجوز أن تحمله على فعّل - بتشديد العين - لقلة فعّل للأسماء وكثرة فعلل فقلبت الباء التى هى اللام الثانية من لبب ياء هربا من التضعيف وهذا كله منتزع من قول سيبويه والخليل: إن لبيك مأخوذ من قولهم: ألب بالمكان[2].

وهذا يدل على أن الياء فى لبيت ولبيك بدل من الباء كراهية التضعيف الذى نشأ عنه الثقل فى كلتيهما ولكن أهل الصنعة - وعلى رأسهم الخليل وسيبويه - خالفوا يونس فلم يقولوا بأن الياء فى لبيت ولبيك بدل من باء بل الياء فيهما أصل فكلمة لبيك اسم مثنى بمنزلة غلامى زيد وصاحبى سعيد فالياء عندهم علم التثنية ووزنه على قولهم فعليك[2] كما أن سعديك كذلك لا محالة «قال الخليل هو من قولهم دار فلان تلب دارى أى تحاذيها أى أنا مواجهك بما تحب إجابة لك وحكى عنه - أيضًا - أنه قال: هو مأخوذ من قولهم أم لبة أى محبة عاطفة ومعناه على هذا إقبالاً إليك ومحبة لك وأنشد:

وكنتم كـــأم لبـــة طعن ابنهـــا إليـهـا فـمـا درت عليه بساعد

وقال ابن الأعرابى: اللب الطاعة وأصله من الإقامة وقولهم لبيك: اللب واحد فإذا ثنيت قلت فى الرفع لبان وفى النصب والخفض لبين، وكان فى الأصل لبينك أى أطعتك مرتين ثم حذفت النون للإضافة أى أطعتك طاعة مقيمًا عندك إقامة بعد إقامة[3] فالياء على هذا للتثنية ونقض أصحاب المذهب رأى يونس بذلك وأبطلوا وجه الشبه الذى ادعاه بين لفظ لبيك وكلمات (عليك ـ إليك ـ لديك) واحتج سيبويه على يونس فقال: لو كانت ياء لبيك بمنزلة عليك وإليك ولديك لوجب

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٢، ١٤٣ وانظر الأشمونى ٢/ ٢٥٣.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٣.

(٣) لسان العرب ٢/ ٢٢٦، ٢٢٧ والأشمونى ٢/ ٢٥٢ والكتاب ١/ ٣٥٢ - ٣٥٤ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون.

متى أضفتها إلى المظهر أن تقرها ألفا كما أنك متى أضفت عليك وأختيها إلى المظهر أقررت ألفها بحالها فكنت تقول: لبى زيد ولبى جعفر كما تقول إلى زيد وعلى زيد ولدى سعيد وأنشد قول الشاعر:

دعوت لما نابنى مسورا فلبىْ فلبىْ يدى مسور

قال: قوله: فلبى بالياء مع إضافته إياه إلى المظهر دلالة على أنه اسم مثنى بمنزلة غلامَىْ زيد وصاحبى سعيد[1] هذا عن الياء فى لبيك فهى ياء التثنية وليست بدلا من ياء ـ كما ذهب يونس ـ أما ياء لبيت بالحج فهى كذلك ـ عند أهل الصنعة ـ وليست بدلا من باء بل هى الياء فى لبيك التى هى علم التثنية ذلك أنهم اشتقوا من الصوت فعلا فجمعوه من حروفه كما قالوا من سبحان الله سبحلت أى قلت سبحان الله ومن لا إله إلا الله هللت ومن لا حول ولا قوة إلا بالله حولقت ومن بسم الله بسملت ومن هلم هلممت وكتب إلىّ أبو على من حلب فى شىء سألته عنه فقال قال بعضهم سألتك حاجة فلا ليت لى أى قلت لى لا وسألتك حاجة فلوليت لى أى قلت لى لولا قال: وقالوا: بأبأ الصبى أباه قال له يا أباه. . . وهذا كثير فكذلك أيضًا اشتقوا لبيت من لفظ لبيك فجاء فى البيت بالياء التى هى للتثنية فى لبيك وعلى هذا قول سيبويه[2].

وقد رجح ابن جنى رأى أهل الصنعة حين قال: «والقول بعد ذلك قول سيبويه إلا أنه لا يمنع مع ذلك صحة رأى يونس حين قال: «ثم إن أبا على فيما بعد انتزع لنا شيئًا يؤنس به قول يونس ولم يقطع به وإنما ذكره وهو أنه قال: ليونس أن يحتج فيقول: قوله فلبىْ يدى إنما جا على قول من قال فى الوصل هذه أفعىْ بسكون الياء عظيمة وعصىْ طويلة فقد حكى سيبويه أنهم يقولون ذلك فى الوصل كما يقولونه فى الوقف وهذا ليس عندنا معنفًا وإنما فيه بعض التأنيس ويرى الأب مرمرجى الدومنكى أن الفعل (لبى) ليس مرتجلا ـ كما فى الفصحى ـ من لفظة لبيك بل يراد به ساعد ـ أعان ـ أغاث، كما أن لفظة لبيك ليست بمثنى وإنما يراد منها المعنى السابق للفعل لبى لأسباب:

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٣ والأشمونى ٢/ ٢٥٣.

(٢) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ١٤٢.

١- تاريخ الكلمة يدل على أنها قديمة جداً ودالة على ما كان الساميون يجرونه من الأعمال فى غضون عبادتهم للقمر.

٢- أن قدماء العرب كانوا يعتقدون أن القمر فى الليالى الأخيرة من الشهر يقع فى ضيقة لشدة الضغط النازل عليه من قبل تهامة أى البحر وهى الكلمة الأكدية التى استقرضتها العربية ولا سيما عربية الجنوب منذ القديم كما أن هذه اللفظة ذاتها قد ولجت العبرية بصورة tehom فكان العرب يصرخون إذ ذاك لبيك لبيك موجهين الكلام إلى القمر كأنهم يقولون (ساعدك - أو أغاثك أو فليساعدك وليغثك الإله مروخ منجيًا إياك من (تهامة) وقد استمرت هذه العادة القديمة بين بعض العامة الجهلة فى فرصة كسوف القمر لاعتقادهم الخرافى أن حوتًا يبتلعه فيصرخون ويضجون بالدق والقرع على الأوانى النحاسية كالقدور والصوانى وغيرها تهويلاً لهذا الحوت المزعوم فيضطر لخوفه إلى قذف القمر من فيه وبذلك يزول الكسوف على ظنهم ظن الغباوة.

٣- أن هذه الكلمة تتبعها لفظة أخرى وهى سعديك وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله «حدثنى أبو الخطاب أنه يقال للرجل المداوم على الشىء لا يفارقه ولا يقلع عنه: قد ألب فلان على كذا وكذا وقد أسعد فلان فلانًا على أمره وساعده والإلباب: المساعدة وكما ورد عن البخارى فى جواب معاذ للنبى (لبيك) رسول وسعديك.

٤- أنها تشبه أهل واستهل أى رفع صوته والإهلال بالحج ومن هذا الصوت صيغت الأفعال (هل ـ أهل ـ استهل).

ثم تطورت دلالتها فأصبحت تطلق على الإجابة والطاعة والتهليل والتسبيح والتعظيم والنتيجة لكل ذلك أنه «يمكن القول بأن الصيغة (لبيك) ليست من باب التثنية والنصب كما هو الرأى السائد بل هى ضرب من اللفظ القديم بالإمالة على أمثال الوارد فى اللهجات مثلاً: ناديه - توفيه - استهويه - صريط - مشكيه - كيفرين (يقابلها فى الفصيح: ناداه - توفاه - استهواه - صراط - مشكاة - كافرين) وعلى تعاقب الأزمان ثبت فى الفصحى التلفظ بالفتحة المشبعة كقولك

(رماه - وفاها - دعاك) وهكذا تكون لبيك وسعديك من الآثار اللغوية القديمة التى بقيت فى اللغة وسبقت لباك وأسعدك[1].

والباحث يرى أن كل تلك الآراء قديمة وحديثة تجعل مادة (لب وألب) أصلاً لاشتقاق (لبيت ولبيك) ومعناهما فى النهاية أنا مقيم على طاعتك[2] وهذا الاشتقاق صحيح لموافقة المأخوذ للمأخوذ منه فى أصل المعنى والاتجاه، وبهذا يبدو أن القول باشتقاق (لبيت أو لبيك) أحدهما من الآخر أمر غير سديد كما أن القول بأن لبيك اسم مفرد فيه كثير من التكلف والتعسف وهو رأى يونس وما يراه الأب مرموجى الدومنكى من أن (لبيك) صيغة من صيغ الإمالة لا تؤيده البراهين اللغوية الواقعية إذ لا يوجد ما يؤيد أن (لبيك) كانت تنطق بصيغة الإمالة، والمعهود أن تكون إمالة الألف نحو الكسرة مثل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:] وما هنا لم يتحقق فيه ذلك بل الحرف السابق (للألف ـ على حسب ما يراه) مفتوح فتحة صريحة لا صلة لها بالكسرة بحال وهى لا تتفق والأمثلة اللهجية التى ذكرها بل تلك النظائر أميلت فيها الألف نحو الكسرة على خلاف لبيك وسعديك، ويبدو أن رأى أهل الصنعة - وعلى رأسهم الخليل وسيبويه - فى الذهاب إلى أن لفظ (لبيك) مثنى هو أكثر صوابًا وقبولاً يدل لذلك القاعدة اللغوية المشهورة (الإعراب فرع المعنى) فمعناها (إجابة لك بعد إجابة وإقامة على طاعتك بعد إقامة) وهذا يؤكد أن اللفظ مثنى وأنه منصوب على المصدرية كقولك حمدا لله وشكرًا وكان حقه أن يقال: لبالك إلا أنه ثنى على معنى التوكيد أى إلبابا لك بعد إلباب وإقامة بعد إقامة[3] وأما القول بأن الياء فى (لبيت ولبيك) بدل من الباء فيمكن التفصيل فيه فالأقوى احتمالا أن تكون الياء فى الفعل بدلاً من الباء تبعًا لأصل اشتقاقه من لب أو ألب بالمكان بمعنى أقام به ولزمه فالمتوقع فى الصياغة ـ تبعًا للقواعد العامة - أن يكون أصله (ل ب ب ـ

(١) معجميات عربية سامية للأب مرمرجى الدومنكى ص ١٧٠- ١٧٢.

(٢) اللسان ٢/ ٢٢٦.

(٣) اللسان ٢/ ٢٢٧.

لبـ بـ ت) ثم أبدلت الباء الأخيرة ياء كراهية توالى الأمثال[1] وهو قانون بينا أنه منطق علم اللغة الحديث ـ والأقوى احتمالاً ـ كذلك ـ ألا تكون فى (لبيك) بدلاً من باء ـ مع اعترافنا برجوعها إلى أصل المادة (ل ب ب) - فالمعروف أن (لبيك) كما رجحنا مثنى المصدر (لب) بحالة النصب وأصله (لبان) لك ولبين لك فالظاهر أن الياء هنا علم النصب فى التثنية ولا صلة لها بحرف آخر كالباء إذ الصيغة هنا من الثلاثى وهى ثلاثية أيضًا بعكس صيغة الفعل (لبى) فهى رباعية ولابد لصياغتها من لب أن تكون هناك باء أخرى زيدت على الأصل الثلاثى ثم أبدلت منها الياء للمخالفة التى تحقق انسجام الأصوات فى الكلمة.

التبادل بين التاء والياء:

اتسر - اتبس: (من اليسر واليبس) - ثنتان - كيت وذيت.

ذكر ابن جنى أن الإبدال بين التاء والياء مقيس فى افتعل مما فاؤه ياء[2].

وأما ثنتان فقال عنها: ويدل على أنه من الياء أنه من ثنيت لأن الاثنين قد ثنى أحدهما عن صاحبه وأصله ثنى يدل على ذلك جمعهم إياه على أثناء، بمنزلة أبناء وآخاء فنقلوه من فَعَل ـ بفتح الفاء والعين ـ إلى فِعْل ـ بكسر الفاء وسكون العين كما فعلوا ذلك فى بنت[3] والمثالان الأخيران أصلهما كيـة وذية ثم إنهم حذفوا الهاء وأبدلوا من الياء التى هى لام تاء كما فعلوا ذلك فى (ثنتان) والصيغة فيهما علم التأنيث كما كانت الصيغة فى (ثنتان) كذلك علم التأنيث وليست التاء فيهما منقلبة عن واو وأن أصلهما كيوة وذيوة لأنه يؤدى إلى مثال ليس فى كلام العرب «لأنه ليس فى كلامهم لفظة عين فعلها ياء ولام فعلها واو» إلا إذا كان علما مثل رجاء بن حيوة لأنه قد يحتمل فى الأعلام ما لا يحتمل فى غيرها[4]، ويمكن أن

---

(١) يقول صاحب اللسان لبيت بالمكان ولبيت لغتان إذا أقمت به وهو أصل التلبية كما حكى أبو عبيد عن الخليل. اللسان ٢٠/ ١٠٤.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٦٤، ١٦٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٦٩.

(٤) المصدر السابق ١/ ١٦٩، ١٧٠، ١٧١.

نطبق على هذه الأمثلة ما ذكرناه فيما سبق وبخاصة أن الأشمونى يقول عن إعراب (ثنتان): ومثل اثنتين ثنتان فى لغة تميم[1] وقال قبل ذلك إنهما اسمان من أسماء التثنية وليسا بمثنيين حقيقة فليس لرأى ابن جنى مجال من جعلها تثنية (ثنى) وأنها من ثنيته[2]، ولا داعى للتفريق بينها وبين اثنتان على ما تصور ابن جنى وكل ذلك يمكن اعتباره لهجات متعددة لا من قبيل الإبدال لعدم العلاقة الصوتية ولا مسوغ للإبدال أو الاعتذار عن ابن جنى بعد أن استقر لدى القدماء مخرج الياء ووافقهم عليه المحدثون وهو وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والتاء على ما سبق من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا وبينهما من الحروف - على رأى ابن جنى نفسه - ض - ل - ر - ن - ط - د، فالتفسير الصحيح لذلك أنه من اختلاف الناطقين فبعضهم يقول اتسر والآخرون ايتسر وبعضهم يقول اثنتان وآخرون ثنتان وبعض يقول كية وذية وبعض آخر كيت وذيت وهكذا.

وذكر ابن جنى أن الياء تبدل من التاء مثل ايتصلت فقد أبدل الياء من التاء الأولى كراهية التضعيف[3] إذ أصلها اتصلت قال: **(وايتصلت بمثل ضوء الفرقد)** وهذا يخالف ما ذكره ابن جنى فى مكان آخر إذ صرح بأن التاء هى التى أبدلت من فاء افتعل التى كانت واوا[4] خوفًا من تلاعب الحركات بالواو فإنها لو تركت دون إبدال بالتاء حولتها الحركات المختلفة فيها إلى حروف مد من جنسها «فوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء فيقولوا ايتزن، ايتعد، ايتلج فإذا انضم ما قبلها ردت إلى الواو فقالوا موتعد وموتزن وموتلج وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفا فقالوا ياتعد وياتزن وياتلج[5]، وعلى هذا فالياء فى ايتصل ونحوها ليست مبدلة من التاء - كما ذكر ابن جنى فى سر الصناعة حرف الياء بل إن الياء بدل من الواو حولت إليها لمناسبة الكسرة وهذا التلاعب لهجة عربية اعترف بها ابن جنى نفسه[6] وقد شرحنا ذلك فيما مضى.

---

(١) الأشمونى ١/٧٨.

(٢) سر الصناعة ١/١٦٩.

(٣) المصدر السابق (الأزهر) الورقة ١٤٦.

(٤) المصدر السابق ١/١٦٣.

(٥) المصدر السابق ١/١٦٤.

(٦) المصدر السابق ١/١٦٥.

التبادل بين الثاء والياء:

يفـــديك يـا زرع أبى وخـــالى قـــد مـــرَّ يومـــان وهذا الـثـــالى

وأنت بالهجران لا تبالى

أراد الثالث[1] والواقع أن هذا لا يعد من الإبدال بل كل منهما لهجة وذلك لأنه لا تقارب بين الياء والثاء حتى يقع بينهما التبادل.

التبادل بين الجيم والياء:

ذكر ابن جنى أن الياء تبدل من الجيم كما فى كلمة شجرة فإنها تنطق أحيانًا شيرة وقرئ ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥][2] (هذه الشيرة) وقد عرض ابن جنى لرأيين فيها:

الأول: أن الياء ليست بدلاًمن الجيم بل هى أصل مثلها فى لهجة من اللهجات واستدل على ذلك بأمرين:

١- ثبات الياء فى تصغيرها فى قولهم (شييرة) ولو كانت بدلاً من الجيم لكانوا خلقاء إذا صغروا الاسم أن يردوها إلى الجيم ليدلوا على الأصل.

٢- أن شين شجرة مفتوحة وشين شيرة مكسورة والبدل لا تغير فيه الحركات إنما يوقع حرف موقع حرف (مثل أيّل وأجّل)[3]. قال أبو الفتح: حكى أبو الفضل الرياشى قال: كنا عند أبى زيد وعندنا أعرابى فقلت له: إنه يقول الشيرة فسأله عنها فقلت له: سله عن تصغيرها فسأله فقال: شييرة وأنشد الأصمعى لبعض الرجاز: (تحسبه بين الآكام شيرة)[4] وقال صاحب البحر: «كره أبو عمرو هذه القراءة وينبغى ألا يكرهها لأنها لغة منقولة».

الثانى: أن تكون الياء بدلاً من الجيم - ببعض الصنعة - فالعرب إذا قلبت وأبدلت قد تغير فى بعض الأحوال مثل جاه مقلوب وجه ألا ترى أنه بعد تقديم

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦.
(٢) البحر ١/١٥٨.
(٣) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦، واللسان (شجر) ٦/ ٦٢، ٦٣.
(٤) المحتسب ١/ ٧٣، ٧٤ وانظر اللسان ٦/ ٦١ والقاموس المحيط ٢/ ٥٦٦.

العين لم يسكن الواو بل حركها فقلبت ألفا فكذلك غيرت فتحة الشين كسرة وزاد فى الأنس بالكسر أنه لو أقرت الفتحة لقلبت الياء ألفا فيقال شارة فكانت تبعد كثيرًا عن شجرة، وليس كذلك كلمة (جاه) لأنه يشبه وجهًا لسكون ثانيه بخلاف شارة لأن ثانيه ساكن وثانى شجرة متحرك فعدلوا لذلك إلى كسر الشين وكان هذا أوفق وأليق[1].

ويؤنس لهذا الوجه أيضًا ما ذكره فى المحتسب «من أن بعض العرب تقول الشجرة (بكسر الشين) وقال ابن إسحاق لغة بنى سليم الشجرة[2] ـ بكسر الشين ـ ويعقب صاحب اللسان بأن الواحد شجَرة وشِجرة ـ بفتح الشين وكسرها ـ وقالوا شيرة فأبدلوا، فإما أن يكون على لغة من قال شِجرة ـ بكسر الشين ـ وإما أن تكون الكسرة لمجاورتها الياء[3] والواقع أن البحث اللغوى الحديث يؤيد الإبدال بين الياء والجيم لاتفاقهما فى المخرج فكلاهما من (وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى) وكلاهما مجهور مستفل منفتح مصمت[4] ولا مانع من نسبة كل منهما إلى حى من العرب وذات الجيم والشين المفتوحة تناسب الحضر لخفتها على حين تناسب المكسورة الشين والمبدلة سكان البادية كبنى سليم وغيرهم من الأعراب.

ويقول ابن جنى بالتبادل كذلك بين الجيم والياء فى المضعف ويمثل لذلك بقولهم فى جمع ديجوج: دياج أصله: دياجيج فأبدلت الجيم الأخيرة ياء وحذفت - مع الياء قبلها - تخفيفًا[5]، ويقول صاحب اللسان: وجمع الديجوج دياجيج ودياج وأصله: دياجيج فخففوه بحذف الجيم الأخيرة، قال ابن سيده: التعليل لابن جنى[6].

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦ بتصرف

(٢) المصدر السابق ١/ ٧٣، ٧٤.

(٣) اللسان ٦/ ٦١.

(٤) التجويد والأصوات ص ٤٩، ٥٠ والأصوات اللغوية ص٦٤، ٦٥.

(٥) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٦.

(٦) اللسان ٣/ ٨٩.

وليس من المعقول أن يكون قد حذف الجيم ابتداء بل الأمر يقتضى قلبها أولاً إلى ياء للانسجام الصوتى ثم حذفت مع الياء قبلها زيادة فى تخفيف اللفظ وبخاصة أنه قد ثقل بالجمع مع وجود الأصوات المتماثلة فى صعيد واحد.

قال الأحمر: بعير أزيم وأسجم - وهو الذى لا يرغو - قال شمر: الذى سمعت بعير أزجم بالزاى والجيم وقال أبو الهيثم ليس بين الأزيم والأزجم إلا تحويله الجيم ياء وهى لغة تميم معروفة[1].

ونقل عن بنى تميم أنهم يقولون: الصهارىّ وصهرىّ فى الصهاريج وصهريج[2].

التبادل بين الدال والياء:

من أمثلة ذلك (فعلت) من التصدية - وهى التصفيق والصوت قال الأزهرى: يقال صدّى يصدّى تصدية إذا صفق[3] وأصله صدّد فكثرت الدالات فقلبت إحداهن ياء[4] ومنه الثلاثى صددت أصد وصددت أصُد بكسر الصاد وضمها فى المضارع وفى التنزيل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف:٥٧] أى يعجون ويضجون والاختيار يصِدون بالكسر وهى قراءة ابن عباس وفسره يضجون ويعجون.. قال أبو منصور فإذا كان المعنى يضج ويعج فالوجه الجيد صدّ يصِد مثل ضجّ يضج[5] وأنكر أبو جعفر الرستمى هذا القول على أبى عبيدة وقال: إنما هن من الصدى وهو الصوت فكيف يكون مضاعفًا؟، وقال أبو على: ليس ينبغى أن يقال هذا خطأ لأنه قد ثبت بقوله يصدون وقوع هذه

---

(١) التهذيب ١٣/ ٢٧٥ (زيم) وفى اللسان إلا تحويله الياء جيما وقد دعا ذلك بعض الباحثين إلى عدم نسبة هذه الظاهرة إلى تميم مع أن ذلك ثابت كما ورد عن الأزهرى، لغة تميم لضاحى عبد الباقى ص ٨٥.

(٢) الإبدال لأبى الطيب ١/ ١٦١ والأمالى ٢/ ٢١٤.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥] فالمكاء الصفير والتصدية التصفيق وقيل للتصفيق تصدية لأن اليدين يتصافقان فيقابل صفق هذه صفق الأخرى وصد هذه صد الأخرى وهما وجهاها. اللسان ٤/ ٢٣٣.

(٤) اللسان ٤/ ٢٣٣.

(٥) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ واللسان ٤/ ٢٣٢.

الكلمة علـى الصوت وضرب منه وإذا كـان كذلك لم يمتنع أن يكـون تصدية منه ويكون تفعلة من ذلك أصلها تصددة مثل التجلة والتعلة[1] فلما قلبت الدال الثانية من تصدده تخفيفًا اختلف اللفظان فبطل الإدغام[2].

التبادل بين الراء والياء:

شيراز - قيراط - تسريت.

أولاً: شيراز[3] فيه عدة أوجه:

١- أن تكون الياء بدلاً من الراء وذلك من وجهين:

أ- أن يكون أصله شرازًا والجمع شراريز وهذا واضح فى إبدال الياء من الراء الأولى.

ب- أن يكون أصله شرّازًا والجـمع شواريز، يقول ابن جنى وقد يجـوز - أيضًا - على هذا أن يكون أصـل واحده شـرّازًا إلا أنهـم أبدلوا من الراء الأولى ياء - كـمـا ذكرناه - ثم إنهم لما جمعوا أبدلوا الياء المبدلة عن الراء واوًا لقرب ما بين الياء والواو.

٢- أن تكون الياء بدلاً من الواو: قال ابن جنى: فأمـا من قال فى شيراز شواريز فإنه جـعل الياء فيه مـبدلة من واو وكان أصله على هذا شـورازًا فلما سكنت الواو وانكسر مـا قبلهـا قلبت ياء ثم إنه لما زالت الكسرة فى الجـمع رجعت الواو فـقالوا شواريز فإن قلت: فـإن بناء فِعْوال ليس موجودًا فى الكلام فـمن أين حملت واحد شواريز عليه؟ فالجواب: أن ذلك إنما رفض فـى الواحد لأجل وقوع الواو ساكنة بعد الكسرة فلـم يمكن إظهارها فلما لـم يصلوا إلى إظهار الواو فى الواحـد لما ذكرناه وكانوا يريدونها أظهروها فى الجمع ليدلـوا على ما أرادوه فى الواحد ليعلموا أنها لم تزد فى الواحـد ياء فى أول أحوالهـا وأنها ليـست كديمـاس وديماميس ولا كـديباج وديابيج فيمن نطق بالياء بعد الدال والـدليل على كون الياء فى شيراز بدلاً من الواو فى شوراز وأنها ليست بمنزلة ياء ديماس ظهورها فى الجمع شواريز[4].

---

(١) إذ أصلهما تجللة وتعللة ثم أدغم.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ والأول من الورقة ١٤٦.

(٣) اللبن الرائب المستخرج ماؤه ج شواريز وشراريز وشآريز فيمن يقول: شنراز انظر مادة (شرز) القاموس: ٢/ ١٨٥.

(٤) المصدر السابق (الأزهر) ٤٣.

٣- أن تكون الياء غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ياء ديماس قال ابن جنى: ويحتمل قولهم عندى شواريز قولاً آخر على غير المذهب الأول وهو أن يكون شيراز فيعالا والياء فيه غير مبدلة من راء ولا واو بمنزلة ديماس وكان قياسه على هذا أن يقولوا فى تكسيره شياريز كدياميس ولكنهم أبدلوا من الياء واوًا لضرب من التوسع فى اللغة وذلك أن الواو فى هذا المثال المكسر أعم تصرفًا من الياء ألا ترى إلى كثرة نحو ضوارب وقواتل... وقلة صيارف وبياطر فلما ألفيت الواو فى هذه الأمثلة المكسرة وكانت أعم تصرفًا من الياء قلبت الياء أيضًا فى شياريز واوًا فى شواريز كما قلبت الواو أيضًا فى نحو هذا من مكسر الأمثلة ياء لضرب من الاتساع فى الكلام وقالوا فى جمع ناطل... نياطل ولم يقولوا نواطل مثل خواتم ودوانق قال لبيد: **(تكر عليهم بالمزاج النياطل)**[١] وقد رجح ابن جنى أن تكون غير مبدلة من راء ولا واو حيث يقول بعد حديثه عن الرأى الأول مشيرًا إلى الرأى الثالث الذى معنا وكان قد ذكره قبله - والقول الذى قبل هذا أشبه.

ثانيًا: قيراط: أصله قراط بالتشديد لأن جمعه قراريط فأبدل من إحدى حرفى تضعيفه ياء... قال ابن دريد: أصل القيراط من قولهم: قرط عليه إذا أعطاه قليلاً والياء فى قيراط بدل من الراء[٢].

ثالثًا: تسريت: هذا الفعل مأخوذ من السرية[٣] بتشديد السين المضمومة وتشديد الراء المكسورة وقد اختلف فى اشتقاقها على الوجوه الآتية:

١- من سراة الشىء: وسراة الشىء أعلاه وما ارتفع منه[٤] وأصلها على هذا (فعيلة) سُريوة لأن السراة من الواو ويظهر ذلك فى جمعها على سروات يقول الفرزدق:

---

(١) الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٤٣، ١٤٤ وانظر المحتسب ١/ ١٥٧ والنياطل: جمع ناطل وهو القدح الصغير الذى يعرض فيه الساقى أنموذجه من الشراب على الندامى، وقال الجوهرى: إنه جمع نيطل لأن فاعلا لا يجمع على فياعل. اللسان ١٤/ ١٩٠.

(٢) القيراط معيار فى الوزن وفى القياس تختلف مقاديره باختلاف الأزمنة، ويقال القيراط والقرّاط بالتشديد انظر القاموس ٢/ ٣٩٢، ٢٩٣ واللسان (قرط) ٩/ ٣٥٢ والمعجم الوسيط ٢/ ٧٢٧.

(٣) الجارية المتخذة للملك والجماع والأمة التى بوأتها بيتا.

(٤) اللسان ١٩/ ١٠٠.

وأصبح مبيض الصقيع كأنه على سروات النبت قطن مندف

فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء[1].

٢- من السرو بمعنى المروءة والشرف يقال سرو يسرو سراوة وسروا أى صار سريا وله صلة بالمعنى السابق إذ الشرف والمروءة ارتفاع عن الدنايا ومن هنا قال أبو العباس: السرى الرفيع فى كلام العرب ومعنى سرو الرجل يسرو أى ارتفع يرتفع فهو رفيع مأخوذ من سراة كل شيء ما ارتفع منه وعلا[2] إلا أن سرية على هذا يكون أصلها فعولة من السرو وقلبت الواو الأخيرة ياء طلبًا للخفة ثم أدغمت الواو فيها فصارت ياء مثلها ثم حولت الضمة كسرة لمجاورة الياء[3].

٣- من السرور وبه قال أبو الحسن الأخفش يقول ابن جنى: والذى ذهب إليه أبو الحسن أنها فعلية من السرور لأن صاحبها يسر بها، ودفع أبو الحسن ما سبق من الآراء وقال إن الموضع الذى تؤتى المرأة منه ليس أعلاها ولاسراتها قال ابن جنى: والقول ما قال[4].

٤- أ- من السر بمعنى الجماع لأنه يكتم «وذلك أن صاحبها أبدا يخفيها ويسر أمرها من حرته وصاحبة منزله»[5] وهى فعلية بهذا الاشتقاق أيضًا وضمت السين للفرق بين الحرة والأمة توطأ فيقال للحرة إذا نكحت سراً أو كانت فاجرة سرية - بكسر السين - وللمملوكة يتسراها صاحبها سرية - بضم السين مخافة اللبس[6].

ب- من السر بمعنى السرور وبه قال أبو الهيثم ولعل هذا مأخوذ من رأى أبى الحسن الأخفش السابق.

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول الورقة ١٤٥.

(٢) اللسان ١٩/ ٩٩، ١٠٠.

(٣) المصدر السابق ٦/ ٢٢.

(٤) سرالصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٥.

(٥) المصدر السابق (الأزهر) الورقة ١٤٥

(٦) اللسان ٦/ ٢٢.

٥- من السُّرى يقول ابن جنى: «ولو قال قائل إنهـا فعيلة من سريت أى سرت ليلاً إليها لأن فى ذلك ضربًا من الإخفاء والستر لكان قولا»[١].

ومن هذه الآراء يتلخص لنا أن وزنها إما فعلية - كما هو الرأى الثالث والرابع- وإما فعيلة - كما هو الرأى الأول والخامس - وأما فعولة - كما هو الرأى الثانى - وعلى أخذها من السُّـرَى لا يتحقق الإبدال فى شىء من الحـروف لأن الياء تكون أصلية فى موضـعها، وعلى أخذها من السـراة والسرو يكون الإبدال من الواو إلى الياء - كما هو مبين سابقًا - وليس من بابنا الذى نتحدث عنه، ويتحقق ما أردناه إذا أخـذت من السر أو الـسرور إذ تكون السـرية من (مـادة س ر ر) المكررة الراء ويكون تسريت أصله تسررت على تحويل التضعيف فالراء أبدلت ياء لما توالي ثلاث راءات، ولذلك قال ابن جنى إن حملها على أنها فعلية أوجه لأمرين:

أ- لأن فعلية أكثر فى الكلام من فعيلة.

ب- معنى السر والسرور أظهر من معنى السراة والسرى[٢].

التبادل بين السين والياء:

قال الشاعر:

إذا مـا عـدّ أربعـة فـسـال ... فـزوجك خـامـس وأبوك سـادى

وقال الآخر:

بويزل أعـوام أذاعـت بخـمـسـة ... وتعـتـدنـى إن لم يق الله سـاديا

وقال ثالث:

مـضـى ثلاث سنيـن منذ حل بـهـا ... وعـام حلت وهذا التـابع الخـامى

وقال آخر:

عـمر بن كـعب بن عـبد الله بـينهمـا ... وابناهما خمسة والحارث السادى[٣]

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥. (٢) المصدر السابق.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٢ وانظر اللسان ٣/٨٦، ٧/٤٦٨، ١٨/١٦٧.

والواقع أنه لا إبدال بين السين والياء لعدم التقارب فى المخرج أو الصفة فكل منهما لغة لقوم، يقول ابن منظور فى لسانه: والسادى: السادس فى بعض اللغات وذكر البيت الأول[1].

التبادل بين الصاد والياء:

يذكر ابن جنى من ذلك (قصّيت أظافرى والأصل قصصتها) فقلبت إحدى الصادات ياء كراهية التضعيف[2].

التبادل بين الضاد والياء:

وهذا مثل تقضّى بمعنى انقض وأصله تقضّض على وزن (تفعّل) من الانقضاض قال الشاعر:

تقضّى البازى إذا البازى كسر

ويجوز أن يكون (تقضى البازى) تفعّلا من قضيت بمعنى عملت وصنعت قال أبو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تُبّع

أى عملهما.

وعلى ذلك يكون معنى تقضّى البازى أى عمل البازى فى طيرانه والوجه هو الأول[2].

التبادل بين العين والياء:

من ذلك قول الشاعر أنشده سيبويه:

ومنهل ليس به حوازق وللضفادى جمة نقائق

---

(١) ١٩/ ٩٩.

(٢) سر الصناعة (الأزهر) ١٤٥ والمحتسب ١/ ١٥٧ وانظر اللسان ١٧/ ١٤٤، ٢٠/ ٤٥ قال ابن جنى: وقد يجوز عندى أن يكون قصيت فعلت من أقاصى الشىء لأن أقاصيه أطرافه والمأخوذ من الأظفار إنما هو أطرافها وأقاصيها فلا يكون فى هذا بدل.

يريد للضفادع جمة فكره أن يسكن العين فى موضع الحركة فأبدل منها حرفًا يكون ساكنًا فى حال الجر وهو الياء[1].

والواضح أنها لغة وليست من الإبدال فى شىء لعدم تقارب مخرجى الحرفين وصفاتهما.

وفى المضعف قالوا: تلعّيت من اللعاعة وهى بقلة وأصله تلعّعت[2] ويقول صاحب اللسان:

واللعاعة أيضًا بقلة من ثمر الحشيش تؤكل وألعّت الأرض تلعّ إلعاعا أنبتت اللعاع وتلعى أكله وهو من محول التضعيف يقال: خرجنا نتلعّى أى نأكل اللعاع كان فى الأصل نتلعّع مكرر العينات فقلبت إحداها ياء[3].

التبادل بين الكاف والياء:

من ذلك «مكّوك ومكاكى أصله مكاكيك مثل سفّود وسفافيد[4] فأبدل كراهية التضعيف... وفى حديث أنس أن رسول الله ﷺ: كان يتوضأ بمكوك ويغتسل بخمس مكاكيك وفى رواية بخمس مكاكى[5].

التبادل بين اللام والياء:

من ذلك أمليت وأصلها أمللت وهما لغتان قال ابن جنى: قولهم أمليت الكتاب إنما أصله أمللت فأبدلت اللام الآخرة هربًا من الضعيف فقد جاء القرآن باللغتين جميعًا قال الله عز وجل: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان: ٥][6] وفى اللسان قال الفراء:

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٦ وانظر اللسان (ضفدع) ١٠/ ٩٤.

(٢) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٤٦.

(٣) اللسان ١٠/ ١٩٥.

(٤) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٦.

(٥) اللسان ١٢/ ٣٨١.

(٦) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ والمحتسب ١/ ٥٧ واللسان ١٧/ ١٤٤، ٢٠/ ٤٥.

أمللت لغة أهل الحجاز وبنى أسد وأمليت لغة بنى تميم وقيس[1] وقرأ عكرمة (إيلا ولا ذمة) بياء بعد الكسرة خفيفة اللام[2] فى قوله تعالى: ﴿إِلاًّ وَلا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨، ١٠] وأصلها (إلا) تحولت اللام المضعفة إلى الياء وقد أشار ابن جنى إلى حدوث الثقل باجتماع المثلين وأن ذلك يؤدى إلى تخفيفهما باتباع قانون المخالفة يقول: (طريق الصنعة فيه أن يكون أراد (إلا) كقراءة الجماعة إلا أنه أبدل اللام الأولى ياء لثقل الإدغام وانضاف إلى ذلك كسرة الهمزة وثقل الهمزة وقد جاء نحو هذا فى أحرف صالحة كدينار لقولهم دنانير وقيراط لقولهم قراريط وديماس فيمن قال: دماميس وديباج فيمن قال ديابيج وشيراز فيمن قال: شراريز[2].

التبادل بين الميم والياء:

ديماس - يأتمى - يكَمُّوا - معمية.

أ- قال سيبويه: من قال فى جمع ديماس دماميس فالياء فيه بدل من الميم إذ أصله حينئذ دمّاس فأبدل كراهية التضعيف[3].

ب- قال الشاعر: أخبرنا أبو علىّ بإسناده عن يعقوب عن ابن الأعرابى أنه أنشده:

نزور امرأ أما الإله فيتقى وأما بفعل الصالحين فيأتمى

أراد: يأتمّ فأبدل الميم الثانية ياء[4].

جـ- وقال فى قول الراجز: **(بل لو رأيت الناس إذ تكَمُّوا... إلخ)**.

قالوا: أراد تكمموا من تكممت الشىء إذا سترته فأبدلت الميم الأخيرة ياء فصارت فى التقدير (تكميوا)، فأسكنت الياء وحذفت كما تقول: فد تولوا من وليت، وذكر ابن جنى احتمالاً آخر فيه وهو أن يكون تكموا تفعلوا من كميت

---

(١) ١٤/ ١٥٣، ١٥٤.

(٢) المحتسب ١/ ٢٨٣، ٢٨٤ والخصائص ٢/ ٢٣١.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٤٥ بتصرف واللسان ٢/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٤) المصدر السابق الورقة ١٤٥ واللسان ١٨/ ٤٨.

الشيء إذا سترته ومنه قولهم كميّ وهو الذى تستر فى سلاحه فيكون تكموا على هذا مما لامه معتلة ولا يكون أصله من ذوات التضعيف[1] وقال ذو الرمة:

مُنَطَّقَةٌ بالآل مَعْمِيَّةٌ به ... دياجيرها الوسطى وتبدو صدورها

قال ابن الأعرابى: أراد مَعْمِمَة فأبدل من الميم ياء، وجوز ابن جنى أن يكون مشتقًا من العمى[2] وعلى هذا لا إبدال فيه.

وكذلك قوله: أيما فى (أما) فأبدل من الميم المضعفة ياء[3] استثقالاً للتضعيف وحده، قال سعد بن قرط يهجو أمه:

ياليتما أمنا شالت نعامتها ... أيما إلى جنة أيما إلى نار

وقال عمر بن أبى ربيعة:

رأت رجلاً أيما إذا الشمس عارضت ... فيضحى وأيما بالعشى فيخصر[4]

التبادل بين النون والياء:

أ- دينار. ب- لم يتسنّ. جـ- تظنّيت.

أ- أصله دنار والقول فيه كالقول فى قيراط لقولهم فى التكسير دنانير ولم يقولوا ديانير وكذلك التحقير وهو دنينير، فقلبت إحدى النونين ياء كراهية التضعيف ولئلا يلتبس بالمصادر التى تجيء على فِعّال - بتشديد العين - كقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ [النبأ: ٢٨] إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة لأنه أمن الآن من الالتباس ولذلك جمع على دنانير قال

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسان ٥/٣٧٨، ١٥/٤٣٢، ٤٣٣، ١٧/١٤٣، ١٩/١٢٩.

(٢) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ١٤٥.

(٣) الخصائص ٢/ ٦٥ والمحتسب ١/ ٢٨٣.

(٤) المحتسب ١/ ٢٨٣.

أبو منصور: دينار وقيراط وديباج أصلها أعجمية غير أن العرب تكلمت بها قديمًا فصارت عربية ويلاحظ أن العرب يخففون ما يجرى على ألسنتهم سواء كان عربيًا أصيلاً أو معربًا كما هو واضح هنا.

ب- لم يتسنّ: يقول ابن جنى «قرأت على أبى علىّ بإسناده عن أبى عبيدة قال: سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: لم يتسنّ: لم يتغير من قوله تعالى ﴿مِنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] أى متغير فقلت له: لم يتسنّ من ذوات الياء ومسنون من ذوات التضعيف فقال هو مثل تظنّيت وهو من الظن فأصله على هذا القول لم يتسنّن ثم قلبت النون الآخرة ياء هربًا من التضعيف فصار يتسنّىْ بسكون الياء ثم أبدلت الياء ألفا فصار يتسنَّى ثم حذفت الألف للجزم فصار لم يتسنّ.

جـ- تظنيت أصله تظننت حولت إحدى النونات ياء قال ابن جنى: ومن ذلك قولهم تظنّيت وهو تفعلت من الظن وأصلها تظننت فقلبت النون الثالثة ياء كراهية التضعيف[1].

التبادل بين الهاء والياء:

أ- صهصيت، يقال: صهّ القومَ وصهصه بهم: زجرهم[2] وقالوا فى صهصهت بالرجل: إذا قلت له صه صه: صهصيت فأبدلوا من الهاء ياء.

ب- دهديت، قالوا: دهديت الحجر، أى: دحرجته وأصله دهدهته، ألا تراهم قالوا: دهدوهة الجعل لما يدحرجه، قال أبو النجم:

كأن صوت جرعها المستعجل جندلة دهديتها فى جندل[3]

دهدهت الحجارة ودهديتها إذا دحرجتها فتدهده الحجر.

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٤٥ وانظر اللسان ٥/٣٧٨، ١٥/٤٣٢، ١٣٣، ١٧، ١٤٣، ١٩/١٢٩.

(٢) اللسان ١٧/٤٠٦.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ١٤٢.

الجعل: - بضم الجيم وفتح العين - دابة سوداء من دواب الأرض، قيل: هو أبو جعران - بفتح الجيم - وجمعه جعلان - بكسر الجيم - وقيل: هو حيوان معروف كالخنفساء، ودهدوهة الجعل: ما يدحرجه من الخرء (النتن) بأنفه، وجرع الماء: بلعه وكذلك تجرعه، وقال ابن الأثير: التجرع: شرب فى عجلة أو قليلا قليلا، الجندل: الحجارة، الواحدة: جندلة. اللسان ٩/٣٩٥، ١٣/١١٨، ١١٩، ١٣٦، ١٧/٣٨٢.

جـ- هذه فى هذى فألزموها الهـاء وصلاً ووقفًا عند أهل الحجـاز وغيرهم من قيس ووقفًا فقط عند بنى تميم[1] ـ هنية فى تصغير هنة ـ زنادقة وفرازنة[2].

ويقول ابـن جنى فى هذى وهذه: أبدلت الهاء من اليـاء بدليل التـصغيـر ذيا فى تصغـير ذا ـ ويكتفى به عن تصـغير ذى ـ فكما لا نجـد الهاء فى المذكـر (ذا) أصلا فكذلك هى فى المؤنث بدل غير أصل، وليست الهاء فى هذه بمنزلة هاء طلحة وحمزة لأن الهاء فى طلحـة وحمزة زائدة والهاء فى هذه ليـست بزائدة إنما هى بدل من الياء التى هى عين الفعل فى هذى وأيضًا فإن الهـاء فى حمزة نجدها فى الوصل تاء والهاء فى هذه ثابتة فى الوصل ثباتها فى الوقف[3] ولم تترك ساكنة (هذه) مع أنها فى اسم غير متمكن لأنها شبهت بهاء الضمير مثل مررت به وغلامه على أن منهم من يسكنها فى الوصل على أصل القياس فـيقول هذه هند ولكن يجب تحركهـا بالكسر إذا التقت مع ساكن مثل هذه المرأة والأشبه أن يكون صاحب لغة التسكين قد رجع إلى أصحاب لغة التـحريك لما اضطر إلى تحـريكها[4] وكمـا أن من قال هم قامـوا فسكن الميم إذا احتاج إلى تحريكها رجع إلى لغة من ضمها فى هم فقال: هم الذين يقولون... ومن قال هم قاموا فأسكن الميم من هم متى احتـاج رد إليها الضمة التى فى لغة من يقول: همو قامـوا وعلى هذا قراءة أبى عمـرو وغيره ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ [المنافقون: ٧] و﴿إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقـرة: ١٢] ألا تراه يقرأ ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ [التوبة: ١٣] و﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠، والأعراف: ٣٧] وغير ذلك مسكن الميم[5].

ومن إبدال الهاء من الياء قـولهم فى تصغير هنة هنيهـة وأصلها الأول هنيوة لأن لام الفعل فى تصريف هذه الكلمة واو لقولهم: على هنوات شأنها متتابع... فإنما الهاء فى هنيهة بدل من الياء فى هنية والياء فى هنية بدل من الواو فى هنيوة[6].

---

(١) الكتاب ٤/ ١٨٢ (باب الحـرف الذى تبدل مكانه فى الوقف حرفـا أبين منه يشبهه لأنه خـفى وكان الذى يشبهه أولى).

(٢) سر الصناعة (الأزهر) الورقة ١٠٥- ١٠٧.

(٣) سر الصناعة الورقة ١٠٦ الوجهان بتصرف ولسان العرب ٢٠/ ٣٣٧.

(٤) سر الصناعة ص ١٠٦.

(٥) المصدر السابق مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ١٠٦.

(٦) المصدر السابق الوجه الأول من الورقة ١٠٧.

وقد صرح ابن جنى بالتعويض فى زنادقة وفرازنة فقال: فأما قولهم: الهاء فى زنادقة وفرزانة بدل من الياء فى زناديق وفرازين فليس يريدون بذلك البدل على حد إبدالهم الألف فى قام وباع من الواو والياء وإنما يعنون أن الهاء لما طال الكلام بها صارت كالعوض من الياء كما صارت لطول الكلام من الفعل والفاعل فى نحو حضر القاضى امرأة عوضا من تاء التأنيث فى حضرت وهذا باب واسع[1].

وقد حاول بعض اللغويين - أيضًا - تسويغ الإبدال بين الهاء والياء كما فى هذى وهذه لقرب شبه الياء، بالهاء ألا ترى أن الياء مدة والهاء نفس ومن هنا صار مجرى الياء والواو والألف والهاء فى روى الشعر شيئًا واحدًا نحو قوله: **(لمن طلل كالوحى عاف منازله)**، فاللام هو الروى والهاء وصل الروى كما أنها لو لم تكن لمدت اللام حتى تخرج من مدتها واو أو ياء أو ألف للوصل نحو منازلى ومنازلو، ابن سيده وكذلك دهدهت ودهديت الياء بدل من الهاء لأنها مثلها فى الخفاء كما أبدلت هى منها فى قولهم ذه أمة الله وكذلك قال الجوهرى[2]، وعلل سيبويه بالخفاء للإبدال فى اسم الإشارة (هذه) - فى حال الوقف عند بنى تميم قال: لأن الياء خفية فإذا سكتّ عندها كان أخفى، والكسرة مع الياء أخفى فإذا خفيت الكسرة ازدادت الياء خفاء كما ازدادت الكسرة فأبدلوا مكانها حرفًا من موضع أكثر الحروف بها مشابهة، وتكون الكسرة معه أبين [3].

والناظر فى هذه النصوص المعجمية يلاحظ أنها تسوغ التبادل بين الهاء والياء بوجود أوجه الشبه المذكورة ولكنها ليست بشىء فى نظر علماء اللغة المحدثين لبعد المخارج واختلاف الصفات فالهاء تخرج من أقصى الحلق وهى صوت مهموس رخو مستفل منفتح مصمت (ضعيف)[4] أما الياء (المذكورة) فتخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى وهى صوت مجهور مستفل منفتح مصمت

(١) المصدر السابق.

(٢) اللسان ١٧/ ٣٨٢.

(٣) الكتاب ٤/ ١٨٢.

(٤) التجويد والأصوات ص ٥٥.

قوى[1]، فالاختلاف جذرى بينهما لأنه يتناول المخرج ومعظم الصفات القوية فلا مسوغ للتبادل بينهما ووضع حرف مكان آخر فى قافية البيت لا يعطى أهمية خاصة فى الإبدال إذ إن جواز حلول حرف فى القافية ومشاركة آخر له فى ذلك أمر عرف عن العرب مسموعًا فى النظم فيتبع - لهذا فقط - أما الحكم بجواز التبادل بينهما على ذلك فلا مسوغ له لأن تلك جهة أخرى والعلاقة منفصمة وإلا فإن الواو والألف تقعان وصلا أيضًا كما تقع تلك الحروف ومع ذلك قلنا بعدم التبادل بينهما، ولكن التوجيه الموفق لحلول الياء محل الهاء هو تخفيف نطق الكلمة بمنع وجود أصوات متماثلة فيها جريا على قانون المخالفة الصوتية فالكلمات السابقة وأشباهها يحل فيها أحد الحرفين (الياء والهاء) محل الآخر بعد حذفه على سبيل التعويض وهى لغات[2].

ملاحظات لغوية: نرى من النماذج السابقة أن تجاور الحرفين المتماثلين أو تقارب مكانيهما ـ كما هو مبين فى الفصل بينهما بياء مثل مكاكيك وديباجيج ـ يؤدى إلى تطور أحدهما إلى صوت مخالف هو الياء «وهذا التطور - كما ذكرنا ـ آنفا ـ هو إحدى نظريات السهولة التى نادى بها كثير من المحدثين والتى تشير إلى أن الإنسان فى نطقه يميل إلى تلمس الأصوات السهلة التى لا تحتاج إلى جهد عضلى فيبدل مع الأيام بالأصوات الصعبة فى لغته نظائرها السهلة فنرى أحد المتماثلين المتجاورين يقلب إلى صوت لين أو ما يشبه أصوات اللين كالميم فى مثل الرمس والرس والنون فى مثل العنبسة: الأسد[3]، وقد اعترف القدماء بكراهية التضعيف ولعلهم كانوا يريدون بهذا أنه يحتاج إلى مجهود عضلى[4]، ولكن هذا الرأى لم يرتضه الأستاذ العلايلى بل ذهب إلى عكسه تمامًا فادعى أن الأصل فى الكلمات المضاعفة (التى تحتوى على حرفين متماثلين) هو المخالفة بكون أحد المتماثلين حرفًا

(١) المصدر السابق ص ٥١.

(٢) اللسان ٢٠/ ٣٣٧.

(٣) الأصوات اللغوية ص ١٥٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٥٣.

من حروف العلة وذلك فى إطار بحثه عن أصول الألفاظ فى اللغة العربية وأنها كانت ثنائية معلة ثم صححت فى مراحل تطورية متأخرة، وهذا الرأى الذى ذهب إليه الأستاذ العلايلى لم يوافقه عليه المحدثون من علماء اللغة بل إنهم يؤيدون قانون المخالفة السابق وأن المضعف هو الأصل ثم إن التطور أدى إلى قلب أحد المتماثلين ياء كراهية التضعيف ولتقليل الجهد العضلى، وهذه الظاهرة تنسب إلى القبائل البدوية كبنى تميم وعبد القيس، وهم بطن من أسد، وقد توطنوا شبه الجزيرة فى جوار تميم وبكر بن وائل[1] وأن القبائل الحضرية - كأهل الحجاز- تميل إلى إعطاء كل صوت ما يستحقه من الوضوح، وإذا وجد التحول من المضعف إلى الياء فى بعض البيئات الحضرية أو العكس فى البيئات البدوية فذلك على سبيل التأثر والتأثير.

****

(١) النهاية للقلقشندى ص ٣٣٨.

ما ليس له مصطلح لهجى أو لغوى:

وسنحاول فى هذا البحث -إن شاء الله تعالى- تحليل قدر كبير مما ورد من ألفاظ قيل فيها بالإبدال مما لم يضع له العلماء مصطلحا لهجيًا أو لغويًا لنصل بشأنها إلى الرأى الحق والتفسير العلمى الصحيح المبنى على التحليل والفحص الدقيق ولنبين أن الدراسة الواعية للألفاظ التى تحويها ظاهرة الإبدال يمكن إخراج الكثير منها عن دائرته وعلى ضوء تلك الدراسة يمكن علاج هذه المشكلة اللغوية التى اضطربت فيها الآراء واختلفت فيها وجهات الباحثين قديمًا وحديثًا.

وها أناذا أعرض بعض الكلمات التى قيل فيها بإبدال بعض حروفها من حروف أخرى مرتبا لها وفق الألفبائية ليكون ذلك أيسر فى ضبطها وسرعة الوصول إليها.

الهمزة والعين

يرد فى كتب اللغة أن الهمزة أبدلت من العين مع أن الأولى أثقل من الثانية وقد اعتادت العرب الذهاب إلى الخفيف بإبدال الهمزة عينا ففى (آديته وأعديته) قيل: إن فيه إبدالا للهمزة من العين.

قال أبو على الفارسى: إن آديته أبدلت فيه الهمزة من العين وأصله أعديته، قال ابن جنى: وفيه وجه آخر غامض وهو أن يكون أراد أعديته فأبدل العين همزة فصارت أأديته ثم أبدلت الهمزة ألفا لسكونها وانفتاح ما قبلها واجتماعها مع الهمزة التى قبلها فصارت: آديته.

ولكن ابن جنى ضعف هذا الرأى فقال: على أن فى هذا الوجه عندى بعض الضعف وإن كان أبو على قد أجازه لأنا لم نرهم فى غير هذا أبدلوا الهمزة من العين وإنما رأيناهم لعمرى أبدلوا العين من الهمزة، فنحن نبتعهم فى الإبدال ولا نقيسه إلا أن يضطر أمر إلى الدخول تحت القياس والقول به[1].

(١) سر الصناعة ١/ ٢٤٦.

والرأى فب ذلك أن الهمزة ليست بدلا من العين أو العكس لاختلاف الاشتقاق أما (أعدى) فمن الإعداء ومنه العدو والعداوة لأنها لا تكون إلا مع القوة والشدة، وآديته أفعلته من الأداة لأن الأداة ينقوى بها الصانع على عمله ويجوز أن يكون آديته على كذا أفعلته من الأدْى -بسكون الدال- أى كنت له يدا عليه وظهيرا معه فيكون كقول النبى ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم**» فبعضهم يقول بعضا. . على أنا نعتقد فيه أنه إنما بنى أفعلته من لفظ الأدى بعد أن قلبت همزته عن يدى وإلا فالياء هى الأصل[1].

وكذلك قولهم دأنى من دعنى: قيل: إن الهمزة فيها أبدلت من العين ويبدو لنا العكس فالعين هى البدل وذلك بناء على أن شرط الإبدال اتحاد المعنيين على سبيل الحقيقة لا المجاز فإذا استعرضنا مادتى الكلمتين وجدنا معنى الأول (دأنى) هو الأصل والثانى مجاز عنه فمادة (ودأ) تستعمل فيما يأتى:

ودأه: سواه وبهم غشيهم بالإساءة -الودأ: الهلاك تودأت عنه الأخبار: انقطعت كودئت، وعليه الأرض استوت أو تهدمت أو اشتملت أو انكسرت، وزيد على ماله: أخذه وأحرزه، والمودأة كمعظمة: المهلكة والمفازة[2].

فهى بهذا تفيد الستر والإخفاء وما يتبعه من الترك والنسيان.

ومادة (ودع) لا تفيد هذا المعنى إلا من طريق المجاز فهى تفيد استقرار الشىء وهدوءه حقيقة وتدل على الإخفاء وما يتبعه مجازا[3].

فمادة (ودأ) فى رأينا هى الأصل فالعين بدل من الهمزة لا العكس.

ومن شروط الإبدال أيضًا اتحاد الأصل الاشتقاقى فإذا اختلف اعتبرت كل واحدة من الكلمتين أصلا.

ومن ذلك ما قد يظن فى أباب وعباب من إبدال الهمزة من العين.

---

(١) سر الصناعة ٢/ ٢٤٢ -٢٤٥ وانظر لسان العرب ١٨/ ٢٧، ١٩/ ٢٦٦، والقاموس المحيط ٤/ ٣٤٦، ٤١٨.
(٢) القاموس (ودأ) ولسان العرب ١/ ١٨٦، ١٨٧ والمزهر ١/ ٢٣٢، والمخصص ١/ ٢٧٣.
(٣) لسان العرب ١٠/ ٢٦٠ -٢٦٨.

قال ابن جنى: فأما ما أنشده الأصمعى من قول الراجز:

أباب بحر ضاحك هزوق

فليست الهمزة فيه بدلا من عين (عباب) وإن كان بمعناه وإنما هو فعال من (أب): إذا تهيأ. قال الأعشى:

أخ قد طوى كشحا وأبّ ليذهبا

وذلك أن البحر يتهيأ لما يزخر به فلهذا كانت الهمزة أصلا غير بدل من العين وإن قلت إنها بدل منها فهو وجه وليس بالقوى[1].

وقد بنى ابن جنى رأيه فى هذا المثال على اختلاف الاشتقاق بين اللفظين إذ العباب من عب البحر إذا زخر بكثرة مياهه.

وقد تردد ابن جنى فى إنزهو وعنزهو فمرة قال: إن العين بدل من الهمزة وأخرى قال بعكس ذلك ومرة بالأصالة لكل منهما، قال فى عنزهو (جائز أن تكون العين بدلا من الهمزة وجائز أن يكونا أصلين)[2] وفى موضع آخر قال (ويجوز عندى فى إنزهو غير هذا وهو أن تكون همزته بدلا من عين فيكون أصله عنزهو: فنعلو من العزهاة وهو الذى لا يقرب النساء والتقاؤهما أن فيه انقباضا وإعراضا وذلك طرف من أطراف الزهو قال:

إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبا فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا[3]

والواضح فى كلا الاشتقاقين أنه أخذه من الزهو والأقرب أن تكون العين مبدلة من الهمزة للتخفيف لا العكس إذ إن ابن جنى نفسه صرح بأن إبدال الهمزة من العين لم تستعمله العرب إلا قليلا، ومن الجائز أن يكونا لهجتين لفريقين من العرب ما دام اشتقاق الكلمة من الزهو فنطقه بعضهم بالهمزة وآخرون بالعين.

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٢١.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤١.

(٣) الخصائص ١/ ٢٢٩ وعلى هذا يصبح ملحقا بباب قندأو وسندأو وحنطأو وعلى أن الهمزة هى الأصل يلحق بباب جردحل (أنفعل).

وربما أبدلت الهمزة من العين فى بعض اللهجات مثل: يا أبد الله فى يا عبد الله فى لهجة أهل مكة[1] وفى العامية ما يؤبد ذلك مثل وأهد الله فى وعهد الله إلا أن ذلك قليل وقد يستعمل العرب ما غيره أخف منه[2].

والواقع أن الإبدال يكون من الهمزة إلى العين كثيرا كما فى الأسن والعسن وكثأ اللبن وكثع وموت زؤاف وزعاف وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة وذلك لأن العين أسهل من الهمزة والإبدال عادة يتجه نحو السهولة لا العكس.

وإذا كانت اللغات تختلف فى إحساسها بالثقيل والخفيف فلكل قوم ولكل لغة أحوال واستعمالات تناسبها وتميل إليها فربما خفت الهمزة على الإنجليزى وثقلت العين فأبدل الهمزة من العين حال نطقه كما يظهر من سقوط العين من الهجائية الإنجليزية واستبداله الهمزة بها عندما يلفظ ببعض الكلمات العربية التى تضم بين حروفها عينا مثل عمر ينطقها Omar وعلىّ ينطقها Aly ونحو ذلك إلا أننا نقول:

إن خفة الهمزة على الإنجليزى وثقل العين عليه لا يعطى قانونًا عاما للحروف ثقيلها وخفيفها بل إن ذلك يرجع إلى طبيعة الناطق وإحساسه بالخفة والثقل وتعوده على ذلك تبعا لاختلاف البيئات والشعوب فلا غرابة أن تكون العين ثقيلة على الإنجليزى خفيفة على العربى وفى الهمزة بالعكس مما يؤثر على الوجود اللغوى للحرفين فى لغة كل من الشعبين ولا عجب أن يؤثر ذلك فى الإبدال اللغوى على ما رأينا.

الهمزة والنون

حكى ابن جنى عن بعض اللغويين إبدال النون من الهمزة فى وزن فعلان فعلى كغضبان وسكران ولم يجزم ابن جنى برأى فى إبدال النون من الهمزة بل حكاه عن أصحابه اللغويين وحكى غيره وحاول تسويغ الوجهتين إلا أنه رجح عدم الإبدال وفسره على طريق التعويض قال: «ذهب أصحابنا إلى أن النون فى فعلان

(١) سر الصناعة ١/ ١٢١.

(٢) فى الخصائص ينقل ابن جنى عن سيبويه قوله: واعلم أنه قد يقل الشىء فى كلامهم وغيره أثقل منه كل ذلك لئلا يكثر فى كلامهم ما يستثقلون ١/ ٦٨، ٦٩ وعبارة سيبويه فى الكتاب ٢/ ٤٠٤ مع اختلاف طفيف.

فعلى نحو غضبان وسكران وحيران بدل من همـزة فعلاء نحو حمراء وصفراء وإنما دعاهم إلى القول بهذا أشياء منها أن الـوزن فى الحركة والسكون فى فعلان وفعلاء واحد وأن فى آخر فـعلان زائدتين زيدتا معا والأولى منهـما ساكنة كمـا أن فعلاء كذلك ومنها أن مؤنث فعلان على غير بنائه إنما هو فعلى كما أن مذكر فعلى على غير بنائها إنما هو أفـعل ومنها أن آخر فعلاء همزة وهى علامـة التأنيث كما أن فى آخر فعـلان نونا يكون فى فعلن نحو قـمن وقعدن[1]، ويبين ابن جنى مـسوغات الإبدال بين النون والهـمزة -كـما يراه- فيـقول: «وأبدلت النون همـزة لأن للنون شبها بحروف اللين فالغنة التى فى النون كاللين الذى فى حروف اللين، ويعتقبان على المحل الواحد مثل شر نبث وشرابث وجرنفش وجـرافش ويفصل بهما بين العينين مثل: عصنصر وعصيصر وعقنقل وعقيقل... إلخ، وتحذف النون مثل ملآن ولك اسقنى ومثل حذف حروف اللين غزا القوم وتصـبو المرأة، واستعملت النون علامة للإعراب مثل حروف اللين كما فى إعراب الأفعـال الخمسة والأسماء الستة والمثنى وجمع المذكر السالم فلما ضارعت النون حروف اللين هذه المضارعة وكانت الهمزة قـد قلبت إلى كل واحدة من الألف والياء والواو قلبـوها أيضًا إلى الحـرف الذى ضارعهن وهو النون[2] «والذى يدل على أنهما (أى النون والهمزة فى فعلان فعلى وهمزة فـعلاء) ليسا أصلين بل النون بدل مـن الهمزة قولهم فى صنعـاء وبهراء لما أرادوا الإضافة إليهما صنعانى وبهرانى فإبدالهم النون من الهمزة فى صنعاء وبهراء يدل على أنهـا فى بباب فـعلان فعـلى بدل من همزة فـعلاء»[2] وحكى ابن جنى تأويلا آخر لبعض أصـحابه فقال: «ومن حذاق أصـحابنا من يذهب إلى أن النون فى صنعانى وبهرانى إنما هى بدل من الواو التى تبـدل من همزة التأنيث فى النسب وأن الأصل صنعاوى وبهراوى وأن النون هناك بدل من هذه الواو كما أبدلت الواو من النون فى قولك من واقد وإن وقفت أقف ونحو ذلك»[3]، ثم قال: «وإذا ثبت ذلك فقـد ينضاف إليـه مقويا له قـولهم فى جمع إنسان أناسـى وفى جمع ظربان

(١) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨١.

(٢) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨٤.

(٣) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ٨٣.

ظرابى. . . فالنون أيضًا فى إنسان وظبيان بدل من الهمزة لقولهم ظرابى وأناسى كقولهم صلاقى وخبارى[1].

ولكننا نرى أنه لا علاقة بين الهمزة والنون فمخرجهما متباعد ولا ينفقان فى شىء من الصفات سوى الاستفال والانفتاح وذلك لا يسوغ التبادل بينهما وأما شبه النون بحروف اللين على النحو الذى ذكره ابن جنى فلا صلة له بالإبدال هنا بوجه من الوجوه لأن الاعتماد فيه على العلاقة الصوتية المتمثلة فى قرب المخارج والصفات بين المتبادلين وقياسه لغضبان وسكران على صنعانى وبهرانى غير دقيق فقد ذكروا أن إقامة النون مقام الواو فى الكلمتين وضع لغوى شاذ إذ إن الصرفيين يقولون: إن الهمزة إذا كانت للتأنيث قلبت فى النسب -واوًا كصحراوى، لكون الهمزة أثقل من الواو. . . وشذ صنعانى فى النسبة إلى صنعاء اليمن وبهرانى فى النسبة إلى بهراء اسم قبيلة من قضاعة. . . ومن العرب من يقول صنعاوى وبهراوى على القياس»[2]، والشاذ لا يجوز اتخاذه دليلا، وإنسان وأناسى ليس بلازم أن يكون أناسى جمعا لإنسان بل يجوز أن يكون مفرده (إنسى)[3]، وظرابى ليس بلازم أن يكون مفرده ظربان بل يجوز أن يكون جمعًا لظربى مفردًا أو ظرباء بالمد[4] وعلى هذا يمكن خروج ذلك من الإبدال بين النون والياء وإذا كان ذلك فليس إلا على وجه ما قد يكون أقرب إلى التعويض، ولا يمكن وصف ما تقدم بأنه من باب الإبدال بل مجرد تعويض حرف من حرف آخر وهذا ما مال إليه ابن جنى أخيرا ورجحه حينما شرح مذهب الحذاق من أصحابه فى نون صنعانى وبهرانى قال: «وكان يحتج من ذهب إلى هذا فى قولهم: إن نون فعلان بدل من همزة فعلاء فيقول: ليس غرضهم هنا البدل الذى هو نحو قولهم: فى ذئب ذيب وفى جؤنة جونة إنما يريدون أن النون تعاقب فى هذا الموضع الهمزة كما تعاقب لام المعرفة التنوين أى لا تجتمع معه فلما لم تجامعه قيل إنها بدل منه.

---

(١) المصدر السابق الوجه الثانى من الورقة ٨٣.

(٢) التصريح ٢/ ٣٢١ والأشمونى ٤/ ١٨٨.

(٣) لسان العرب ٧/ ٣٠٨، ٣٠٩.

(٤) المصدر السابق ١/ ٥٩، ٦٠.

قال ابن جنى: وهذا مذهب ليس ببعيد أيضًا[1] على أنه لا صلة بين الوصف الذى على فعلان وفعلاء مثل غضبان وحمراء ووجه الربط -على ما تصوره ابن جنى- لا يمت للإبدال بصلة ما بل لا يمكن أن يعتقد انقلاب النون فى فعلان عن همزة إذ هذا من وادى المذكر وذلك من وادى المؤنث ولكل منها صيغة لغوية خاصة فالنون أصل فى بناء فعلان كما أن همزة التأنيث أصل فى بناء فعلاء ولا علاقة بينهما.

الهمزة والهاء

وذلك يبدو فى لهجة طيىء فى بعض المواضع كهمزة (إن) الشرطية فتقول (هن فعلت) تريد: إن[2] وأرقت الماء وهرقته وإياك وهياك، ونسبها اللحيانى إلى اليمن[3] ويقل ذلك فى طيىء أو من يجاورها. وفى همزة (إن) التى تسبقها اللام، يقول ابن منظور: «ومن العرب من يبدل همزتها هاء مع اللام كما أبدلوها فى هرقت فيقول: لهنك لرجل صدق، قال سيبويه: وليس كل العرب تتكلم بها قال الشاعر:

ألا ياسنا برق على قلل الحمى لهنك من برق على كريم[4]

والإبدال فى لهنك سديد، لأن أصلها لإنك فأبدلوا الهمزة هاء مع اللام كما أبدلوها فى هرقت ونحوه، وقلب الهمزة هاء لغة قوم رواها البصريون والكوفيون وحكاها ابن السكيت فى أمثلة كثيرة مثل: أرحت الدابة وهرحتها وأنرت له وهنرت له، واتمأل السنام واتمهل وإياك وهياك وغير ذلك واللام للابتداء[5].

وقال سيبويه: مرجع الإبدال أنها كلمة تكلم بها العرب فى حال اليمين واللام الداخلة عليها لام القسم[6] وادعى الفراء أنها منحوتة وأصلها والله إنك ثم حذف حرف الجر ولام التعريف وقصرت اللام ثم حذفت همزة إنك كما يقال: الله لأفعلن

(١) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨٤.
(٢) مجلة المجتمع ١/ ٣٩٧.
(٣) تاج العروس ١/ ٣٦٦، والإبدال فيها واقع لئلا يؤدى إلى وجود وزن ليس فى العرب وهو (هفعل).
(٤) اللسان ١٣/ ٣١.
(٥) المزهر ١/ ٢٢٢ والمخصص ٣٣/ ٢٧٤.
(٦) الكتاب ١/ ٤٧٤.

وحـذفت لام التعـريف كمـا يقال: لاه أبوك أى لله أبوك ثم حـذفت الألف كمـا يحذف مـن الممدود إذا قصـر وكمـا يقال: الحـصاد والحـصد. . **ألا لا بارك الله فى سهيل**[1].

وحكى عن المفضل بن سلمة بن عاصم عن بعض الكوفيين أن أصله لله واللام للقسم[2].

ولكن ما ذهب إليه الفـراء وكذلك بعض الكوفيين يغرق فى التأويـلات البعيدة وأولى الآراء بالقبول هو ما قرره ابن جنى مـن أن أصلها لإنك فأبدلت الهمزة هاء وهذا منسوب لطيىء.

وقد وردت أمـثلة للإبدال بين الهـمزة والهاء مـثل هياك فى إيـاك (وروى فتح الهمزة وإبدان الهاء منها) و﴿ **طه ① مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ** ﴾ [طه: ١، ٢] فى قراءة على أنه أراد طأ الأرض بقدميك.

ويقال للصبا هير وأير وهيا فى أيا.

وهرقت فى أرقت، وهزيد منطلق فى أزيد منطلق؟ وأل فعلت فى: هل فعلت؟ وآل فى أهل وماء وأمواه ورجل تدرأ وتدره للمدافع عن قـومه وجميع هذه الأمثلة ما عدا هيرا وأيراحكم ابن جنـى فيها بإبدال الهاء من الهمزة وأمـا هير وأير فقال: هما أصلان حتى تقوم الدلالة على الإبدال، وفسر قراءة (طه) على أنه طأ الأرض بقدميك فالهاء بدل من الهمزة فى طأ.

ونحن لا نرى مانعا من حدوث التبادل بين الهـمزة والهاء لتدانى المخارج إذهما من حروف أقصى الحلق ويتفقان فى صفـات الاستفال والانفتاح والإصمات ولكن لنا ملاحظات على بعض الأمثلة وتوجيه ابن جنى لها.

فنحن معه فى إبدال الهاء فى هيـاك وإياك وهيا وأيا والقول بالإبدال فى أرقت أمر

---

(١) شـرح الرضى على الكافيـة ٣/ ٣٠٧ وخـزانة الأدب ٤/ ٣٣١ واللسـان ١/ ١١٨، ١١٩ وشرح المفـصل ٨/ ١٦٣.

(٢) شرح المفصل ١٠/ ٤٣.

مسلم به لئلا يؤدى عدم الإبدال إلى إحداث وزن ليس من الأبنية المعروفة وهو وزن هفعل[1].

وأما قراءة (طه) التى فسرها ابن جنى على أن المراد بها طأ فأبدل الهمزة هاء فغير يقينية والأمر فى تفسير معناها أمر ظنى وكتب اللغة تذكر أن (طه) مجزومة بالحبشية يا رجل وجاء فى التفسير (طه) يا رجل يا إنسان وقال قتادة: إن ذلك بالسريانية وقال سعيد بن جبير وعكرمة: هى بالنبطية يا رجل وروى ذلك عن ابن عباس قال الليث: وبلغنا أن موسى لما سمع كلام الرب عز وجل استفزه الخوف حتى قام على أصابع قدميه خوفا فقال الله عز وجل: طه أى اطمئن، وروى الأزهرى عن أبى حاتم قال (طه) افتتاح سورة ثم استقبل الكلام فخاطب النبى ﷺ فقال ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى[2].

والناظر فى هذه الأقوال يرى أنها كثيرة وبعضها يؤكد أعجمية الكلمة وأنها حبشية أو سريانية أو نبطية وبعضها يشير إلى أنها من فواتح السور فهى رموز مثل: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١]- ﴿الٓرٰ﴾ [ايوسف: ١]- ﴿حٰمٓ﴾ [الدخان: ١].. إلخ، وابن جنى يحاول تفسير قراءة (طه) على أنها مشتقة من الفعل طاء بمعنى وطىء الأرض بقدميه[3] مع أن كتب اللغة لا تؤيده فى وجهة نظره فهى تذكر -كما سبق- أنها بهذا الضبط كلمة حبشية بمعنى يا رجل أو سريانية أو نبطية وفسرت أيضًا بمعنى اطمئن فتفسير ابن جنى بالمعنى انذى رآه أمر ظنى، حدث قيس عن عاصم عن زر قال: قرأ رجل على ابن مسعود (طه) فقال له عبد الله (طه) بكسرتين فقال الرجل أليس أمر أن يطأ قدمه؟ فقال له عبد الله هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ[4] وابن مسعود صحابى فلا يخفى عليه هذا المعنى ونحن نراه هنا يتوقف عن إبداء الرأى فيه وينقل ضبطا آخر للفظ كما سمعه من

---

(١) القواعد والتطبيقات ص ١٠.

(٢) اللسان ١٧/ ٤٠٧.

(٣) وبوجهه بعض المفسرين على هذا بأن أصله طأ فقلبت همزته هاء أو قلبت من يطأ ألفا كقوله (لا هناك المرتع) ثم بقى عليه الأمر وضم إليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طأها والألف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الأرض.

(٤) اللسان ١٧/ ٤٠٧.

الرسول الكريم[1]. كما أنه غير مناسب لما يأتى بعده من آيات وهى ما أنزلنا عليك القرآن[2] إلخ، وربما كان مناسبًا فى خطاب موسى -على ما سبق بيانه- وليس موضعه هنا فى القرآن ولا يمكن قبول خطاب النبى بقول الله تعالى له (يا رجل) على فرض أن هذا خطاب له والكلممة أعجمية إذ ليس المقام مقام الخطاب الجاف على هذا النحو -الذى لا يليق به- فالله تعالى كثيرًا ما يخاطبه بقوله: يأيها النبى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ١] - ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١] إلى غير ذلك من ألوان الخطاب المناسب لمقامه الرفيع، والأظهر كما نرى أن (طه) رموز مقطعة كنظائرها مما ورد فى السور الأخرى من مثل: ﴿الٓمٓ﴾ [البقرة: ١] - ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١، ٢]- إلخ وهى جميعها من فواتح السور على ما ذكره المفسرون، وربما كان اعتبارها من الحبشية أو غيرها ناشئا عن نوع من التوافق الصوتى بين المفرد (طه) فى غير العربية من ناحية وبين الرمز (طه) المستعمل فى القرآن من ناحية أخرى[3]، فالكلمة فى القرآن عبارة عن رمز لا يمت للكلمة الأعجمية (طه) بمعنى يا رجل بصلة وتأويل ابن جنى ليس له عليه برهان.

والملاحظة العامة أن كثرة التصرف والاستعمال ليست تتبع فى كل الحالات ويمكن معرفة الأصل من الفرع هنا عن طريق الصعب والسهل فالهمزة أصعب من الهاء ولذلك عدت أصلا لأن -التطور الصوتى- غالبًا- ما ينتقل إلى السهولة.

وهير وأير لا مانع من التبادل بينهما على أن بعض العرب نطقوا بإحداهما وآخرون نطقوا بالثانية وروى أن قبيلة طيئ هى صاحبة الهاء[4] فالكلمات المذكورة التى ثبت فيها التبادل بين الهمزة والهاء ناشئة عن اختلاف اللهجات.

وقرر ابن جنى أن الهمزة أبدلت من الهاء فى (ال فعلت) وآل وماء وأمواه فروى عن قطرب عن أبى عبيدة أنهم يقولون أل فعلت ومعناه هل فعلت[5] فالهمزة بدل

(١) على أن الكلمة لو كان مرادًا بها طاها لكتبت فى القراءة الأخرى طاها بالألف دون طه على هيئة الحروف ولا معنى لأنه اكتفى بشطرى الكلمتين.

(٢) وتوجيه بعض المفسرين بأنه كان يقوم فى تهجده على إحدى رجليه فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه لا يليق بمقام النبى ﷺ انظر فيما تقدم تفسير القاضى ناصر الدين البيضاوى ص ٤١٣.

(٣) القراءات القرآنية ص ٣٧٤.

(٤) اللهجات العربية ص ٥٦، ٦٦.

(٥) سر الصناعة ١/ ١٢٠، ١٢١.

من الهاء والعلاقة الصوتية مسوغة للتبادل، ومن ذلك قولهم آل كقولنا آل الله وآل رسوله إنما أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت فى التقدير أأل فلما توالت الهمزتان أبدلوا الثانية ألفا كما قالوا آدم وفى الفعل آمن وآزر[1]، وقال والذى يدل على أن أصل آل أهل قولهم فى التحقير أهيل ولو كان من الواو لقيل أويل كما يقال فى الآل الذى هو الشخص أويل ولو كان أيضًا من الياء لقيل أييل[2] ومن هذا يبدو أن ابن جنى اعتمد فى بيان الأصالة والفرعية على مبدئه وهو كثرة التصرف بوجود التصغير فى (أهيل) فيما وصل إليه وربما ورد ما لم ينقله فقد روى الفراء عن الكسائى أنه يقال فيه أويل أيضًا حتى قال أبو العباس إن الآل والأهل أصلان لمعنيين[3].

وقد حاول ابن جنى أن يؤكد وقوع الإبدال بين الهمزة والهاء فى هذه اللفظ لا بين الهاء والألف بمعنى أن الهاء أبدلت همزة ثم قلبت الهمزة ألفا وساق لتأييد رأيه ما يأتى:

١- الألف لو كانت منقلبة عن الهاء فى أول أحوالها دون أن تكون منقلبة عن الهمزة المنقلبة عن الهاء -على ما قدمنا- لجاز أن يستعمل آل فى كل موضع يستعمل فيه أهل[4] فيقال انصرف إلى آلك كما يقال انصرف إلى أهلك ولقيل آلك والليل كما يقال أهلك والليل وغير ذلك مما يطول ذكره فلما كانوا يختصون بالآل الأشرف الأخص دون الشائع الأعم حتى لا يقال إلا فى نحو قولهم: القراء آل الله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد... ولا يقال آل الخياط كما يقال أهل الخياط ولا آل الإسكاف كما يقال أهل الإسكاف دل ذلك على أن الألف فيه ليست بدلا من الأصل وإنما هى بدل من بدل من الأصل[5].

٢- وقد شبه آل فى اختصاصها بالأشرف وكون الألف فيها بدلا من بدل من الأصل بالتاء فى القسم فقد اختصت بالأشرف من الأسماء وهو اسم الجلالة لأنها أيضًا

(١) المصدر السابق التعليق ١/ ١١٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٢٠.

(٣) اللسان ١٣/ ٣٩.

(٤) سر الصناعة ١/ ١١٤.

(٥) المصدر السابق ١/ ١١٥، ١١٦.

بدل من بدل فيقول: فجرى ذلك مجرى التاء فى القسم لأنها بدل من الواو فيه والواو فيه بدل من الباء فلما كانت التاء بدلا من بدل وكانت فرع الفرع اختصت بأشرف الأسماء وأشهرها وهو اسم الله فلذلك لم يقل تزيد ولا تالبيت كما لم يقل آل الإسكاف ولا آل الخياط[1] ثم يقول: فهذا كله يؤكد عندك أن امتناعهم من استعمال آل فى جميع مواقع أهل إنما هو لأن الألف فيه بدل من بدل كما كانت التاء فى القسم بدلاً من بدل فاعرفه فإن أصحابنا لم يشبعوا القول فيه على ما أوردته الآن وإن كنا بحمد الله بهم نقتدى وعلى أمثلتهم نحتذى[2].

والمعانى -كما يجدها الباحث فى لسان العرب وغيره من المعاجم- تؤكد أن اللفظين يستعملان بمعنى أهل الرجل وعياله[3] وربما بدا لى أن لفظ (الأهل) يستعمل فى الأشرف فالله تعالى يقول مخاطبا نبيه نوحا عليه السلام فى شأن ولده ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٦] ثم خصص الآل بالأشرف وعلى هذا فقد اتحد معناهما الأصلى بما يؤكد التبادل بين الهمزة والهاء فيهما، ولعل الذى دعا ابن جنى إلى تكلف هذا الدفاع أن العلاقة واضحة بين الهمزة والهاء ولا علاقة بينها وبين الألف حتى يصح التبادل بينهما.

ومن إبدال الهمزة من الهاء قولهم: ماء وأصله موه لقولهم أمواه فقلبت الواو ألفا وقلبت الهاء همزة فصار ماء كما ترى وقد قالوا أيضًا فى الجمع: أمواه فهذه الهمزة أيضًا بدل من هاء أمواه[4] للتقارب بينهما فى المخرج والصفات كما ذكرنا ونحن نوافقه على هذا الإبدال لأن ضروب التصاريف والمعانى تدل على ذلك كما يقول صاحبا اللسان والقاموس فجمعه أمواه ومياه وتصغيره موبه وكذلك يقال فى الفعل أماه فلان ركيته وقد ماهت الركيّة وهذه مُوبهة عذبة[5] وموّه الموضع تموبها صار ذا ماء والقدر أكثر ماءها والموهة الحسن أو ترقرق الماء فى وجه الجميلة ومهته

(١) المصدر السابق ١/ ١١٦.
(٢) المصدر السابق ١/ ١٢٠.
(٣) اللسان ١٣/ ٣٩.
(٤) سر الصناعة ١/ ١١٣.
(٥) اللسان ١٧/ ٤٤٠.

- بالكسر وبالضم - سقيته[1] وهمزة أمواء بدل من هاء أمواه -كما قال ابن جنى- على اعتبار أنها أبدلت منها مباشرة ومن الجائز أن تكون همزة المفرد انتقلت إلى الجمع فالإبدال إنما هو فى المفرد فقط[2].

وقد جعل ابن جنى (تدرأ وتدره) مما لا إبدال فيه بل هما أصلان يقال: درأ ودره[3] وقال ابن سيده: الهاء فيه مبدلة من الهمزة.

ونلاحظ قلة إبدال الهمزة من الهاء نظراً لسهولة نطق الهاء عن الهمزة ولذلك يجرى أغلبه فى الجوامد والأدوات كما رأينا[4].

وقد ورد فى اللغة إبدال الهاء من الهمزة كثيراً مثل هرحت الدابة وهنرت الثوب وهردت الشيء واتمهلّ السنام إلى جانب ما ذكرناه من قبل مثل هياك وهير ونحوهما، وبلغ من شيوع ذلك أن سرى فى القراءات مثل أهعجمى- هأنذرتهم مما يشير إلى أن الهمزة هى الأصل وأن الهاء بدل منها.

ومع ذلك فالتبادل بين الهاء والهمزة أمر سائغ، ألا ترى لو أنك ألفت بين الهمزة والهاء فأمكن لوجدت الهمزة تتحول هاء فى بعض اللغات لقربهما[5].

والهمزة أخت الهاء لأنهما حلقيان ويتقاربان فى بعض الصفات.

الباء والتاء

فى ذعالت وذعالب[6].

لم يجزم ابن جنى برأى هل ذلك من الإبدال أو من اختلاف اللهجات فيقول: فأما قول الأعرابى من بنى عوف بن سعد:

---

(١) القاموس ٤/ ٣٤٠.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٢٠، ١٢١، واللسان ٦٤-٦٩، ١٧/ ٣٨٠، ٣٨١.

(٣) المخصص ١٣/ ٢٧٤.

(٤) جعل الأشمونى إبدال الهمزة من الهاء قليلا وذكر (ماء) وأل فعلت وألا فعلت بمعنى هل وهلا فعلت ٤/ ٢٩٦، ٢٩٧، وانظر شرح المفصل ١٠/ ٤٣.

(٥) الجمهرة ١/ ٩.

(٦) الذعالب جمع ذعلب بكسرتين بينهما سكون أو ذعلوب وهو طرف الثوب، اللسان ذعلب ١/ ٣٧٣، ٣٧٤.

صـفـقـة ذى ذعـالـب سـمـول بيـع امـرىء لـيس بمسـتـقـيل

وهو يريد الذعالب فـينبغى أن يكونا لغتين وغـير بعيد أن تبدل أيـضًا التاء من الباء إذ قد أبدلت من الواو وهى شريكة الباء فى الشفة والوجه أن تكون التاء بدلا من الباء لأن الباء أكثر استعمالا ولما ذكرناه أيضًا من إبدالهم التاء من الواو[1].

ويبـدو من تردد ابن جنى هذا أنه كـان يحس ببـعـد المادتين من ناحـيـة المعنى والتقائهما علـى طريق المجاز أو لبعد فى العلاقة الصوتية ولعل الأول كـان مترجحا عنده إذ هو يعتقد القرابة بين التاء والواو فى مخرجيهما وإن كان الأمر على خلاف معتقده والذى يظهر لنا أن المخارج مبتاعـدة -كما تثبت الدراسات الصوتية الحديثة- فالواو من أقـصى اللسان والتاء من طرفه مـع أصول الثنايا وشتان بين المخـرجين، وفى الصفات لا يشتركان إلا فى الشدة والإسـتفال والانفتاح والترقيق وهذا كله لا اعتبار له فى الإبدال ما دامت المخارج متباعدة وبمراجعة المعانى فى المعاجم نحس بأن التقاءهما لم يكن علـى سبيل الحقيقة -حتى يتـأتى الإبدال بين اللفظين- فمادة (ذعت) تدل على ما يأتى: ذعته خنقه أشد الخنق ومعكه فى التراب ودفعه عنيفا[2] وفى ذلك معنى الإضعاف والإنهاك فيتفق بذلك مع معنى الذعالت التى هى أخلاق الثياب وإن كانت باللام غير معروفة فى معاجم اللغة فعلى هذا يلتقى معنى الذعالت بالتاء مع الذعالب بالباء من طريق المجاز الذى يمكن فهمه من الذعالت فيكون جمعا بين حقـيقة ومـجاز وليس ذلك إلا نقضـا للشرط الأسـاسى للإبدال الذى هو اتحاد المعنيين على سبيل الحقيقة فلا إبدال إذن بل ترادف حدث من تطور المعنى.

ولم ترد أمثلة أخـرى للإبدال بين الباء والتـاء اللهم إلا مثـال واحد هو صلب وصلت[3] مع إمكان تأويله أيضًا باتفاقهما المعنوى فالصلب هو الرجل الشديد على سبيل التشبيـه والصلت هو الرجل الماضى فى الحوائج ويفهم منه الشدة على طريق المجاز، ومن الممكن أن نقول بعـدم الإبدال فى هذا اللفظ من طريق آخر وهو عدم

(١) سر الصناعة ١/ ١٧٣، ١٧٤.

(٢) القاموس المحيط (ذعت) ١/ ١٥٣، واللسان ٢/ ٣٣٧.

(٣) المزهر فصل التصحيف وانظر: اللغة العربية كائن حى ص ٥٦، ٥٧ واللسان ٢/ ١٥، ٣٥٨.

اتحاد الكلمتين فى البنية فالضبط مختلف فيهما[1] بما يؤكد عدم الإبدال ويمكن أن تكون هذه الألفاظ قد نشأت نتيجة التصحيف، أو لعل تصريح ابن جنى بأن الباء أكثر استعمالا يدلنا على أن الكلمة بالباء فى أصل الاستعمال والتاء تصحيف وبخاصة أن مادة (ذعلت) باللام غير موجودة فى المعاجم وكذلك الصلت مصحف عن الصلب فالأصل كلمة واحدة ونشأت الثانية عنها عن طريق التصحيف الذى يمكن حدوثه بين الحرفين من طريق الخط.

الباء والفاء

جاء عن اللحيانى: تمر بذّ وفذّ: المتفرق الذى لم يكتنز فلا يجتمع ولا يلتصق بعضه ببعض ومن ذلك رجل بجباج وفجفاج إذا كان صياحا كثير الكلام، وفى حديث عثمان: إن هذا الفجفاج لا يدرى أين الله عز وجل -وهو المهماز المكثار من القول- ويروى البجباج وهو بمعناه أو قريب منه[2] أو رجل جبس وجفس: جبان لا خير فيه، ولجفتا الباب ولجبتا الباب: عضادتاه وجانباه[3] وفى حديث **«أنه ذكر الدجال وفتنته ثم خرج لحاجته فانتحب القوم حتى ارتفعت أصواتهم فأخذ بلجفتى الباب فقال (مهيم) لجفتا الباب عضادتاه وجانباه من قولهم لجوانب البئر ألجاف جمع لجف** ويروى بالباء ويذكر ابن الأثير أن رواية الباء وهم[4]. وفى حديث بدر: **اخرجوا إلى معايشكم وحرائبكم** بالباء الموحدة جمع حريبة وهو مال الرجل الذى يقوم به أمره ويروى بالفاء واحدته حريفة وهى أنضاء الإبل وأصله فى الخيل إذا هزلت فاستعير للإبل وإنما فى الإبل أحرفناها بالفاء يقال: ناقة حرف أى هزيلة وقد يراد بالحرائف: المكاسب من الاحتراف بمعنى الاكتساب[5].

وعكفت الطير وعكبت ويقال: طير عكوف وعكوب ومن ذلك قول مزاحم العقيلى:

(١) فالصاد فى صلب مضمومة وفى صلت مفتوحة، انظر اللسان الموضع السابق.

(٢) النهاية ٣/ ٤٦٤ (فجفج).

(٣) الإبدال لأبى الطيب ٢١، ٢٣ والنهاية ٢/ ٢٣٥، ٤١٣.

(٤) النهاية ٤/ ٤٣٤ (لجف).

(٥) النهاية ١/ ٢٤ (حرب).

تظل نسور من شمام عليهم عكوبا مع العقبان عقبان يذبل

والباء لغة فى بنى خفاجة من عقيل[1] والخزب: الخزف فى بعض اللغات والإسكاب لغة فى الإسكاف.

وينقل الأزهرى عن بعض الأعراب: «سمعت أعرابيا من بنى فزارة يقول لخادم له: ألا فارفع لى على صعيد الأرض مصطبة أبيت عليها بالليل، فرفع له من الشهلة شبه دكان مربع قدر ذراع من الأرض يتقى بها من الهوام بالليل وسمعت أعرابيًا آخر من بنى حنظلة سماها المصطفة بالفاء»[2].

وقال ابن الأعرابى: الثفية والنفية: سفرة مدورة متخذ من خوص النخل وعوام الناس بالحجاز يسمونها الثيبة[3].

وبنو فزارة من البدو، لكن كيف يستخدم بنو حنظلة -وهم من تميم- الفاء مع أنها صوت رخو ويتركون الباء الشديدة وكيف يستخدم أهل الحجاز الباء مع مخالفتها لطبيعتهم الحضرية؟

والجواب أن ذلك يمكن أن يكون على سبيل التأثر والتأثير.

وإذا كانت بنو عقيل قد سمع فيها إبدال الباء فاء والعكس فإن ذلك ليس مظنة الظهور فى جيل واحد بل يمكن أن ينتسب إلى طوائف متعددة منهم أو فى أزمان مختلفة.

ونسبت الباء كذلك إلى أهل اليمن، ومن ذلك: البداء -بالكسر- لغة فى الفداء وتبدى: تفدى عند عامة أهل اليمن[4].

وجاء عكس ذلك منسوبا إلى حمير؛ السخاف: اللبن بالفاء حميرية والشخاب بالباء الموحدة التحتية شحرية[5] ولعل الفاء كانت عند القبائل المتحضرة من حمير،

(١) العين ١/ ١٠٦ والتهذيب ١/ ٣٢٣ واللسان.
(٢) التهذيب ١٢/ ١٣٢.
(٣) المصدر ١٥/ ٤٧٦.
(٤) تاج العروس ١٠/ ٣٣.
(٥) الجمهرة ١/ ٢٣٥ والتهذيب ٧/ ٨٩ والقاموس ٣/ ١٥٦ وتاج العروس ١/ ٣١، ٦/ ١٥٠.

وجاءت بعض الألفاظ غير منسوبة إلى قوم معينين كما فى الخزب: الخزف المعروف فى بعض اللغات[1].

وبين الباء والفاء علاقة صوتية تسمح بالتبادل للتجاور فى المخرج فهما شفويان وتتفقان فى بعض الصفات كالانفتاح والاستفال والذلاقة إلخ..

الباء والميم

وردت أمثلة لهذا التبادل منسوبة إلى مازن تارة وإلى قبائل أخرى أحيانا.

من ذلك ما ذكره الحريرى من أن الخليفة الواثق بالله أمر بإشخاص أبى عثمان المازنى ليسأله عن إعراب «رجل» فى قول العرجى:

أظلوم إن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

قال أبو عثمان: فلما مثلت بين يديه قال. ممن الرجل؟ قلت: من بنى مازن. قال: أى الموازن؟ أمازن تميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة؟ قلت: من مازن ربيعة. فكلمنى بكلام قومى وقال لى: باسمك؟ -لأنهم يقلبون الميم باء والياء ميما إذا كانت فى أول الأسماء -قال: فكرهت أن أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر. فقلت: بكر يا أمير المؤمنين، ففطن لما قصدت وأعجب به... إلخ[2].

وفى إحدى الروايات قال المازنى: ومكر بالميم يشير إلى اسمه[3].

وقال أبو سوار الغنوى فيما نقله أبو علىّ بإسناده إلى الأصمعى: باسمك؟ يريد ما اسمك؟[4].

ومن أمثلة هذا التبادل مما أوردته المعاجم اللغوية:

فى أول الكلمة: البرغ: لغة فى المرغ: العقاب.

---

(١) المزهر ١/٢١٧.

(٢) درة الغواص ص ٩٦، ٩٧.

(٣) طبقات اللغويين والنحويين ص ٩١، ٩٢ وللقصة روايات أخرى.

(٤) الأمالى للقالى ٢/٥٢.

وفى حديث ابن مجاهد من أسماء مكة: بكة، قيل: بكة موضع البيت ومكة سائر البلد وقيل هى اسم البلدة، وسميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة أى تدقها[1] أو لأن الناس يبك بعضهم بعضا فى الطواف أى: يزدحم ويدفع..

وتقول العرب: أحمق لا يجأى مرغه أى: لا يحبس ريقه[2]، ومثله: ميد لغة فى بيد بمعنى غير.

وفى وسط الكلمة:

سبد رأسه وسمد، والتسبيد: ترك التدهن والغسل، وبعضهم يقول: التسميد[3].

وأغبطت عليه الحمى، وأغمطت[4] والطبش لغة فى الطمش، الناس يقولون: ما فى الطبش مثله ولا فى الطمش، والخربشة والخرفشة: الإفساد والتشويش[4]، ويقال: تساب فلان وفلان فأربى أحدهما إرباء، وأرمى إرماء أى: زاد على صاحبه[5].

وفى حديث عبد الله بن عمر قال: **جاء رسول الله ﷺ إلى دارى، فوضعنا له قطيفة ربيزة**، أى: ضخمة من قولهم كيس ربيز، وصرة ربيزة، ومنهم من يقول: رميز بالميم، ويقول الجوهرى: كبش رميز أى: مكتنز مثل ربيس، وفى حديث عمر عن الزبير: ضرس ضميس والرواية: ضبيس وهى بمعنى الصعب العسر[6].

وورد فى الحديث كان كتاب فلان مخربشا أى: مشوشا فاسدًا.

وفى آخر الكلمة:

صربى بوزن سكرى، من صربت اللبن فى الضرع: إذا جمعته ولم تحلبه،

---

(١) النهاية ١/ ١٤٠، ٢/ ١١٩.

(٢) الجمهرة ١/ ٢٦٧.

(٣) التهذيب ١٢/ ٣٧١.

(٤) المصدر السابق ١٤/ ٤٠٧.

(٥) الجمهرة ١/ ٢٩١ والنهاية ٢/ ١٨٨.

(٦) الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص ٣٧ والنهاية ٣/ ١٠٠ ضبس.

وكانوا إذا جدعوها أعفوها من الحلب إلا للضيف وقيل: الصربى هى: المشقوقة الأذن مثل البَحيرة أو المقطوعة، والباء بدل من الميم[1].

ومنه، الشُكْب لغة فى الشُكْم: العطاء:

وضربة لازب ولازم والباء اللغة الجيدة قال النابغة[2]:

ولا يحسبون الخير لا شر بعده ولا يحسبون الشر ضربة لازب

ولازم لغية[3].

والظأب والظأم: سِلْف الرجل، وأنشد الأصمعى لأوس بن حجر:

مصوع عنوقها أحوى زنيم له ظأب كما صخب الغريم[4]

وأوس بن حجر تميمى[5]:

وقحبة وقحمة للعجوز المسنة، والساسب والساسم شجر، وما عليه طِحَربة وطِحَرمة أى خرقة.

والأثلب والأثلم، ومخرم ومخرب أى مثقوب وفى حديث على: كأنى بجيش مخرب على هذه الكعبة أى: مثقوب الأذن[6].

وعصب الريق فاه وعصم: لصق به.

وفى حديث بدر: لما فرغ منها أتاه جبريل وقد عصب رأسه الضبر أى ركبه وعلق به من عصب الريق فاه، وروى عصم بالميم[7].

وفى حديث رفاعة قالت أخته أمية: هل تجد شيئًا؟ قال: لا. إلا توصيبا أو توصيما أى فتورًا[8].

---

(١) النهاية ٣/ ٢٠ صرب.

(٢) الديوان ص ٤٨ والقلب والإبدال ص ١٤. (٣) التهذيب ١٣/ ٢٥.

(٤) ظأب: صياح وهياج. القلب والإبدال ص ١٦٠.

(٥) جمهرة أنساب العرب ٢١٠ وتاريخ الآداب العربية لنكارلو نالينو ص ٨٤.

(٦) غريب الحديث لأبى عبيد ١/ ١٣٩.

(٧) النهاية ٢/ ١٨٨، ٣/ ٢٤٤ والجمهرة ١/ ٢٩٣.

(٨) النهاية ٥/ ١٩٠ (وصب).

وقد نسب ابن الطيب الفاسى إبدال الميم باء إلى مازن[1].

وفى نص الحريرى المتقدم ما يفيد أن إبدال الميم باء والباء ميما منسوبان إلى مازن وهى من قضاعة.

ويقول حفنى ناصف: تبدل الميم باء والباء ميما فى لغة مازن يقولون: بات البعير أى مات، ومان البدر فى السماء: أى بان البدر فى السماء[2].

وقد نسب إبدال الميم باء إلى بنى كلاب، قال أبو يوسف: سمعت أبا صاعد الكلابى يقول: تكبكب الرجل فى ثيابه أى: تزمل، حكاها أبو عمرو الشيبانى تكمكم[3].

كما نسب التبادل بين الميم والباء -بنوعيه- إلى اليمن.

فقد ورد إبدال الميم -فى حرف الجر (من)- باء فى النقوش اليمنية كما فى (بن محرمن) أى من المحرم، و(بن مريب) أى: من مأرب[4].

ونسب ابن دريد إبدال الباء ميما إلى اليمن يقول: مجح يمجح مجحا لغة فى بجح يبجح بجحًا، فهو باجح وماجح، ورجل بجاح ومجاح وهو المتكثر بما لا يملك له فيه[5].

وفى التهذيب: الكَحْب والكَحْم: الحِصْرِم واحدته كَحْبة يمانية[6].

ولكن ليس من المعقول أن تنطق قبيلة واحدة بالشىء وعكسه، ولا توجد لهجة من لهجات اللغات فى العالم تلتزم قلب كل ميم إلى باء والعكس ولذا يرى الدكتور أنيس أن يجعل قلب الميم باء لجماعة لغوية، وقلب الباء ميما لجماعة أخرى، أو أن أحد النطقين تطور عن الآخر[7].

---

(١) الصحاح ١/ ٤١٣.

(٢) مميزات لغات العرب ص ١٥، ١٦ وانظر تاريخ آداب العرب للرافعى ١/ ١٤٤.

(٣) القلب والإبدال ص ١٦.

(٤) المفصل للدكتور جواد على ١/ ١٠٢، ٧/ ١٣٠ ولهجات اليمن قديما وحديثا ص ٣٠، ٣١.

(٥) الجمهرة ٢/ ٩٥.

(٦) ٢/ ١٩٨، ٤/ ١١٠، ١٥/ ٤١٢ وانظر اللسان.

(٧) فى اللهجات العربية ص ١١٧.

وقد عرض ابن جنى ما نسب إلى مازن وعده من قبيل الإبدال فى مثل باسمك فى ما اسمك، فالباء بدل من الميم.

كما عرض أمثلة لاحتمال التبادل بين الباء والميم.

ومن ذلك: (بُعكُوكة ومُعكُوكة) فالميم هى الأصل والباء بدل منها لأنها من الشدة وهى المعك[1].

وبمراجعة المادتين فى المعاجم نرى ما يأتى:

مادة (معك): معكه فى التراب كمنعه ولكمه وبالقتال والخصومة لواه ودينه وبه مطله به فهو معِك ككتف ومنبر ومماعك وككتف الألد والأحمق معُك ككُرم وتمعّك تمرّغ ومعكتها تمعيكا وإبل معكى كسكرى كثيرة ووقعوا فى مَعكوكاء ويضم فى غبار وجلبة وشر ومُعكوكة الماء بالضم كثرته[2].

مادة (بعك): بُعكوكة الناس بالضم مجتمعهم وبعكه بالسيف ضرب أطرافه والبعَك محركة الغلظ والكزارة فى الجسم والباعك الأحمق والبُعكوكاء الشر والجلبة وبُعكوكة القوم وقد يفتح وبُعكوكهم آثارهم حيث نزلوا أو خاصتهم أو جماعتهم وكذا من الإبل ووسط الشىء وكثرة المال وغباره وازدحامه وبُعكوكة الصيف والشتاء اجتماع حره وبرده والبعكوكة الحر[3].

والناظر يرى أن كل مادة لها تصرف واتساع معنوى وفى كل منهما معنى الشدة وعلى هذا فلا مانع من أن تكون الباء هى الأصل والميم هى الفرع أو العكس وقد صرح بذلك صاحب اللسان حين قال:

«حكاه يعقوب فى البدل كأن ميم معكوكاء بدل من باء بعكوكاء أو بضد ذلك»[4].

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٣٥.

(٢) القاموس المحيط ٣/ ٣٦٨ ولسان العرب ١٢/ ٢٨٢.

(٣) القاموس المحيط ٣/ ٣٤٠.

(٤) لسان العرب ١٢/ ٣٨٠.

كما جوز ابن جنى إبدال الميم من الباء وأن تكون كل منهما أصلا فى (بخر ومخر) وما زلت رائما ورانبا ورأيته من كثم ومن كثب وطابه الله على الخبر وطامه، وبنى رأيه فى ذلك على أساس التصرف والاشتقاق فقال عن مخر وبخر قال الأصمعى: بنات مخر وبنات بخر: سحائب يأتين قُبَل الصيف بيض منتصبات فى السماء قال طرفة:

كبنات المخر يمأدن إذا أنبت الصيف عساليج الخضر

قال أبو علىّ رحمه الله: كان أبو بكر يشتق هذه الأسماء من البخار فالميم على هذا فى (مخر) بدل من الباء فى (بخر) لما ذكر أبو بكر وليس ببعيد عندى أن تكون الميم أصلا فى هذا أيضًا وذلك لقوله الله سبحانه: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [فاطر: ١٢] أى ذاهبة وجائية وهذا أمر قد يشاركها فيه السحاب ألا ترى إلى قول الهذلى:

شربن بماء البحر ثم ترفّعت متى لججٍ خضرٍ لهن نئيجُ

فهذا يدل على مخالطة السحائب عندهم البحر وتركضها فيه وتصرفها على صفحة مائه وعلى كل حال فقول أبى بكر أظهر[1]. ويوضح ذلك قوله فى سر الصناعة: وذلك أن السحاب كأنها تمخر البحر لأنها فيما نذهب إليه عنه تنشأ ومنه تبدأ[2].

وتؤكد هذا الاشتقاق المعاجم اللغوية التى تحدثت عن ثلاث مواد هى (بخر)[3] من البخار و(بحر)[4] من البحر وهو الماء الكثير والملح خاصة و(مخر)[5] من قولهم مخرت السفينة كمنع مخرا ومخورًا جرت أو استقبلت الريح فى جريها والفلك المواخر التى يسمع صوت جريها أو تشق الماء أو المقبلة والمدبرة بريح واحدة، وكل المواد الثلاث -كما نرى- يمكن أن تشتق منها (بنات مخر) ولكنها

---

(١) الخصائص ٢/ ٨٤-٨٦.

(٢) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ٨١.

(٣) القاموس المحيط ١/ ٣٩.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣٦٧.

(٥) المصدر السابق ٢/ ١٣١.

أقرب ما تكون إلى البخار المتصاعد من البحر، والبـاء والميم مخرجهما واحد فهما شفويان ومتفقان فى الجهر والاسـتفال والانفتاح والذلاقة وكل ذلك مسوغ للإبدال بينهـما وعليـه فإما أن نـقول بإبدال أحدهـما من الآخر أو بـأن كلا منهـما أصل لاختلاف الاشتقاق ومع قولنا بالإبدال فمن نطق بالميم كان حضريا ومن نطق بالباء كان بدويا وعلى اخـتلاف الاشـتقاق فـلا إبدال بل كل من اللفظين وجد فى بيـئة لغوية على الوضع المذكـور للبدو الباء وللحـضر الميم كذلك فى مازلت راتما وراتبا أجار ابن جنى الإبدال لكثـرة تصرف الباء قـال: ظاهر من أمر هذه الميم أن يكون بدلا من باء راتب لأنا لم نسـمع فى هذا الموضع رتم مثل رتب ثم أجـاز مع ذلك كون كل منهما أصلا مستـقلا عن الآخر قال ويحتمل الميم فى هذا عندى أن يكون أصـلا غيـر بدل من الرتيمـة وهو شيء كان أهل الجـاهليـة يرونه بينهم وذلك أن الرجل منهم كان إذا أراد سفـرًا عمد إلى غصنين من شجرتين وقـرب أحدهما من الآخر فعـقد أحدهما بصاحـبه فإذا عاد ورأى الغصنـين معقودين بحالهـما قال إن امرأته لم تخنه بعده وإن رأى الغـصنين قد انحلا قال امرأته قد خـانته. . والرتَمة أيضًا خـيط يشد فى الأصبع ليـذكر الرجل به حاجـته وكلا هذين المعـنيين تأويله الإقامة والثبوت فيجوز أن يكون راتم من هذا المعنى[1].

والبـاحث فى المعاجم يرى لكل من رتب ورتم مـعانى مـستـقلة بها وقـد حكى الفيروزابادى فى مادة رتم القصة التى ذكرها ابن جنى وقال: ورتم فى بنى فلان نشأ وأخذه غَشْى من أكل الرتَم وهم رُتامى كسكارى وما رتم بكلمة ما تكلم[2] وغالبها يدور حول معنى الإقامـة والثبوت حقيقة أو مـجازًا وكذلك مادة (رتب) رتب رتوبا ثبت ولم يتحرك وترتب كقنفذ وجندب الشيء المقيم الثابت والمرتبة المنزلة[3].

وإذا كان الأمـر كذلك كان رأى ابن جنى صـائبًا إلا أننى أرى أنه لا داعى إلى اشتقاق الكلمة من الجامد (الرتيمة) ما دام هناك تصرف آخر للمادة فيجوز أن تكون

(١) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨١ مخطوطة الأزهر.

(٢) القاموس ٤/ ١١٦، ١١٧.

(٣) المصدر السابق ١/ ٧١، ٧٢.

كل منهما بدلا من الأخرى خاصة بقوم دون قـوم لاختلاف مادة الاشتقاق وكذلك رأيتـه من كثم وكـثب رأيناهم يقـولون: قد أكـثب لك الأمر إذا قـرب ولم نرهم يقولون: قد أكثم فالباء على هذا أعم تصـرفا من الميم فالوجه لذلك أن تكون الباء هى الأصل لا الميم وقد يجوز أن تكون الميم أصلا أيضًا لقولهم أخذنا على الطريق الأكثم أى الواسع والسعة قريبة المعنى من القرب ألا ترى أنهما يجتمعان فى تسبيل سلوكهما وأنه لا يتسع الطريق ولا يكثر سابلتـه إلا لأنه أقصد من غيره والقصد - كـما تراه- هو الـقرب فـقد آلا إذًا إلـى معنى واحـد[1] والمادتان موجـودتان فى القواميس تشـتركان فى معنى القـرب: الكَثْبُ الجمع والاجتمـاع والدخول وكثب عليه حمل وكنانته نكبها والكثبـة بالضم القليل من الماء واللبن وكل مجتمع وأكثبه دنا منه وكاثبتهم دنوت منهم[2] (كثم) القثاء ونحوه أدخله فـى فيه فكسره وكنانته نكَثهَا والشيء جمعـه وأكثمك الصيد قاربك[3] فالمادتان فيهـما معنى القرب الذى جمع بينهـما وبهذا أمكن لكل منهـما أن يكون بدلا من الآخر أو مـستقلا بنفـسه وليست الباء أكثر تصرفا من الميم وهذا كما تصور ابن جنى.

وفى طامه الله على الخـير وطابه لم توجد مادة طام والطينة هى الخلقـة والجبلة يقال فلان من الطينة الأولى فـالمادة موجودة بالنون[4] ونُغَبا هى أصـل (نُغَما) فى بيت من الشعر أورده، يـقال: نغب فى الشراب والنغبة -بالـضم- الجرعة وبذلك قرر ابن جنى إبـدال الميم من الباء، ولكننا كـررنا مرارًا أن كثـره التصـرف ليست مقياسًا مطردًا فمن الجائز إذًا أن تكون الميم أو الباء أصلا ويتصل قلب الباء ميما بما سماه ابن جنى (**إمسـاس الألفاظ أشبـاه المعانى**) مثل حـبس وحمس وعلب وعلم قالوا: حـبست الشيء وحمس الـشر إذا اشتـد والتقاؤهمـا أن الشيئـين إذا حبس أحدهما صاحبه تمانعا وتعازًا فكان ذلك كالشر يقع بينهما، والعلب: الأثر والعلم: الشق فى الشفة العليا والباء أخت الميم وذلك مبين فى باب الاشتقاق وضروبه[5].

---

(١) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الثانى من الورقة ٨١ والوجه الأول من الورقة ٨٢.

(٢) القاموس ١/ ١٢١. (٣) نفسه ٤/ ١٦٩.

(٤) سر الصناعة مخطوطة الأزهر الوجه الأول من الورقة ٨٢ ولسان العرب ١٧/ ١٤٠.

(٥) الخصائص ٢/ ١٤٧، ١٤٨.

ويبدو أن ظاهرة التبادل بين الباء والميم شائعة فـى الأسماء والأفعال وإن خصها بعضهم بالأسماء كالحريرى.

والتبادل ممكن بين الباء والميم فالباء أخت الميم تبدل منها[1] لكونهما من مخرج الشفتين. وبينهما تماثل فى الجهر، والاسـتفال والانفتاح والذلاقة، وإن كانت الباء شديدة والميم متوسطة.

ولا ريب أنه يمكن تفـسير البـاء على أنها من نطـق البادية، أما الميم فـمن نطق الحاضرة فالباء لشدتها تناسب البدوى على حين أن الميم لتوسطها تناسب الحضرى.

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن هذه الظاهرة نشأت فى البيئات المنعزلة التى لا يجد فيها الطفل من يوجهـه إلى النطق الصحيح، وإصلاح أخطائه، لانشغال أهله عنه، وأنها غير مختصة بقبيلة معينة كقبيلة مازن أو غيرها، بل هى منسوبة إلى أى قوم منعزلين، وأن نسبتـها إلى قبيلة معينة هو من قبيل سمـاع الرواة لبعض أمثلتها فى هذه القبيلة ددون تحقيق أو نظر[2].

والواقع أن رأى هذا البـاحث تخـمين لا ينبنى على أسـاس علمى، ولا دليل تاريخى، وخطأ الأطفال ليس أمـرا يحدث فى بيئات العرب الفـصحاء، وإن صح حدوثه فى بيئات أخرى أو فى الأزمان المتأخرة.

التاء والثاء

من ذلك فى مادة (خبت) فى اللسان):

ينـفع الـطيّـب الـقـلـيـل مـن الـرز ق ولا ينـفع الكثـيـر الخـبـيـت

سأل الخليل الأصـمعى عن (الخـبيت) فى هذا البيت فـقال له: أراد (الخـبيث) وهى لغة خيبر.

وذكر ابن جنى فى اثّرد واترّد واثأر واتّأر واثّنى واتّنـى ما يفيد التبـادل بين التاء والثاء يقول:

(١) الجمهرة ٢/ ٢٤١.

(٢) فى اللهجات العربية ص ١٢٠.

واعلم أن التاء إذا وقعت فاء فى افتعل وما تصرف منه قلبت تاء وأدغمت فى تاء افتعل بعدها وذلك قولهم فى افتعل من الثريد اتّرد وهو مُتّرد وإنما قلبت تاء لأن الثاء أخت التاء فى الهمس قلما تجاورتا فى المخارج أرادوا أن يكون العمل من وجه واحد فقلبوها تاء وأدغموها فى التاء بعدها ليكون الصوت نوعا واحداً[1] ثم قال: هذا هو المشهور فى الاستعمال وهو أيضًا القوى فى القياس ومنهم من يقلب تاء افتعل ثاء فيجعلها من لفظ الفاء قبلها فيقول: اثّرد واثّار واثنى كما قال بعضهم فى ادّكر اذّكر وفى اصطلحوا اصّلَحوا[2].

ونحن نرى أن إبدال الثاء من التاء والعكس أمر مستقيم وذلك لقرب مخرجيهما إذ التاء من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا والثاء من طرف اللسان إلا أنه يحتك ويتصل بأطراف الثنايا العليا نفسها فالفرق طفيف جدا، وإذا كان بينهما من الحروف فى الترتيب: ص -ز- س- ظ- ذ- فإن ذلك لا يعنى فارقًا كبيرًا بينهما لأن الخلاف غير كبير بين الثاء وما قبلها من الحروف الفاصلة والثاء -مع قرب مخرجها من التاء- تتفق معها فى صفات كثيرة وهى الهمس والاستفال والانفتاح والإصمات، والثاء حرف يحتاج إلى مجهود عضلى فى نطقه مما دعا إلى تسهيله ولا يمكن هذا التسهيل -للسرعة فى النطق بتحويل الثاء إلى الذال إذ هى مثلها فى احتياجها إلى مجهود وكذلك الظاء لأنها مطبقة والزاى والصاد من حروف الصفير فما يناسبها فقط هو التاء، والنطق بالبتاء سهل سريع مما جعله يتناسب مع أهل البادية كما يقول الدكتور أنيس وبخاصة أن البدو يميلون إلى الأصوات الشديدة على حين يميل الحضر إلى الأصوات الرخوة[3] وقد تحولت الثاء إلى تاء فى كثير من الكلمات العامية للتخفيف والسهولة مثل التار -تمر- تعلب- تعبان إلخ وقد تحول بعضها القليل إلى سين مثل ثابت فإنها تنطق سابت كما صرح أستاذنا الدكتور نجا بوقوع ذلك فى اللهجة القاهرية[4].

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٨٩.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٩٠.

(٣) فى اللهجات العربية من ١٠٠-١٠٧.

(٤) اللهجات العربية ص ٩٣.

ويمكن للباحث أن يتصور وقوع التصحيف بين التاء والثاء ويحتمل أن تنشأ بعض ألفاظ هذه الظاهرة عنه ومن ذلك بعض الأمثلة التى جمعها العلماء مثل: مرثاث -وفى لسانه رثة والصواب بالتاء- لث السويق وهى تاء- الثيثل: الوعل المسن والصواب بالتاء- الرثم- محركة- نبت والصواب بالتاء- يحيى بن أكثم وهى بالتاء[1]، فعلى الباحث أن يكون على وعى كبير ليميز بين ما كان من الإبدال وما حدث من وقوع التصحيف وقد ذكر ابن جنى أن بعص العرب يقلب التاء ثاء وبعضهم يعكس ذلك فهذا صريح فى أن منشأه اختلاف اللهجات.

وقلب الثاء تاء -على المشهور- يدل على أن التطور الصوتى قد فعل فعله عند من احتاج إلى السرعة والتخفيف فى النطق وأن ذلك قد حدث فى تاريخ اللغة الطويل فى لهجة واحدة أو فى اللهجات المتعددة.

التاء والدال

من أمثلة ذلك:

التفتر لغة بنى أسد فى الدفتر[2].

والترياق فارسى معرب شفاء للسم لغة فى الدرياق[3].

والستى لغة فى سدى الثوب.

الدخريص من الثوب والأرض والدرع: التبريز والتخريص لغة فيه[4] التهتار من الحمق والجهل ولغة العرب فى هذه الكلمة خاصة: دهدار ويقول الأزهرى: منهم (يعنى من العرب) من يقلب بعض التاءات فى الصدر دالا نحو الدرياق لغة فى الترياق والدخريص لغة فى التخريص وهما معربان[5].

---

(١) تثقيف اللسان ٤٨-٥٣ من باب التصحيف الذى يمتد إلى ص ٧٣. وانظر: القاموس ١/ ١٥٣، ٣/ ٣٥٢: ٤/ ١١٨، ١٧١ ويحيى بن أكثم يقال بالتاء الفوقية كما نقله الخفاجى وجزم به فى الدرة وغيره، وهو قاض علامة تولى القضاء فى زمن الرشيد وكان من بحور العلم.

(٢) القلب والإبدال ص ٥٤. (٣) التهذيب ص ٩/ ٥٤.

(٤) التهذيب ٧/ ٦٥٥.

(٥) التهذيب ١/ ٢٣٣ وشفاء الغليل ص ٨٣ والمعرب ص ١٤٢.

ومن ذلك جاءنا بعد هدأة من الليل وهتأة من الليل وسبنتى وسبندى للنمر ومد فى السير ومت[1]، ومكبود ومكبوت بمعنى حزين جاء فى الحديث «رأى طلحة حزينا مكبوتا» أى شديد الحزن، قيل: أصله مكبودا بالدال فقلبت الدال تاء وكبت الله فلانا أى أذله وصرفه[2].

وفى الحديث «به لحادة ولحاته من لحم حتى يلقى الله وما على وجهه لحدة من لحم» أى قطعة، قال الزمخشرى: ما أراها إلا لحاتة بالتاء من اللحت وهو ألا يدع عند الإنسان شيئًا إلا أخذه، وإن صحت الرواية بالدال فتكون مبدلة من التاء كدولج فى تولج»[3].

وقد ذكر ابن جنى: ناقة تربوت وأصلها دربوت يقول: وقالوا: ناقة تربوت وأصلها دربوت وهى فعلوت من الدربة أى هى مذللة فالتاء بدل من الدال ولا شك أن العلاقة الصوتية تسوغ التبادل فهما من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ويتفقان فى صفات كثيرة هى الشدة والاستفال والانفتاح والإصمات والباحث فى المعاجم يحس بهذا الإبدال فمادة (درب) تدور حول المران على الشىء مثل درَّبه به وعليه ضَرَّاه والمدرّب كمعظّم المنجّد المجرّب والمصاب بالبلايا ومن الإبل المخرَّج المؤدّب قد ألف الركوب وعُوِّد المشى فى الدروب وقد دربّته تدريبا وجمل وناقة دروب ودربوت محركة ذلول أو هى التى إذا أخذت بمشفرها ونهزت عينها تبعتْك والدارية العاقلة والحاذقة بصناعتها والتدريب الصبر فى الحرب وقت الفرار[4].

أما مادة (ترب) فكلها تتعلق بمعنى التراب المعروف والفقر من لوزامه كما فى أترب لزق بالتراب أو قل ماله وكثر ضد وقد ذكر صاحب القاموس فيها تربوت وهى الناقة الذلول[5] ولا علاقة له فيما أرى بهذه المادة بل هو متصل بمادة درب

(١) الإبدال لأبى الطيب ١/ ١٠١، ١٠٢ والمزهر ١/ ٤٦٤.
(٢) النهاية ٤/ ١٣٨ (كتب).
(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٣٦، ٢٣٧.
(٤) القاموس المحيط ١/ ١٧٤.
(٥) المصدر السابق ١/ ٤٦.

مع إبدال الدال تاء والعلاقة المسوغة موجودة، والتاء مما يناسب الحضر والدال للبدو وقد ذكرت لهما أمثله كثيرة فى المخصص والمزهر[١].

كما ذكر أمثلة أخرى لهذا التبادل فى قلب تاء الافتعال دالا بعد الزاى مثل ازدجر وازدار وازدهى وازدلف إلخ[٢].

وهذا الإبدال واجب عند جميع العرب.

كما ذكر إبدال التاء دالا فى صيغة افتعل إذا وقعت بعد الجيم مثل أجدمعوا فى اجتمعوا وقول الشاعر:

فقلت لصاحبى لانحبسانا ينزع أصوله واجدزّ شيحا

ويقال: دولج فى تولج.

ويعلل لذلك ابن جنى فيقول: إن الزاى لما كانت مجهورة وكانت التاء مهموسة وكانت الدال أخت التاء فى المخرج وأخت الزاى فى الجهر قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاى وهى الدال فقالوا: ازدجر وازدار[٣].

وقد قلبت تاء افتعل دالا مع الجيم فى بعض اللغات وقد أبدلت الدال المجهورة بالتاء المهموسة لتقرب من الجيم المجهورة ولأنها من نفس مخرج التاء إذ التاء والدال من مخرج واحد[٤].

وقد أبدلوا الدال من تاء تولج فقالوا: دولج[٥] وهذا ما قال به سيبويه فالدال بدل من بدل إذ التاء بدل من الواو والدال بدل من التاء[٦].

---

(١) المخصص ١٣/ ٢٨٠ والمزهر ١/ ٢٢٤.

(٢) سر الصناعة ١/ ٢٠٠.

(٣) المصدر السابق ١/ ٢٠٠.

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٠٠، ٢٠١.

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٠٢.

(٦) لسان العرب ٣/ ٢٢٤.

واتحاد المخرج بين الحرفين والاتفاق فى صفات كثيرة مثل الشدة والاستفال والانفتاح والإصمات يبيح التبادل بين الحرفين والخلاف بينهما فى الجهر والهمس فإذا جهرت التاء صارت دالا وإذا همست الدال صارت تاء.

ولا ريب أن الجهر من خصائص البدو والهمس من خصائص الحضر فلا مانع من أن يكون التطور الصوتى فى مثل اجتمعوا إلى اجدمعوا وتولج إلى دولج من خصائص بعض القبائل البدوية والصيغ التى بالتاء من خصائص بعض الحضر وابن جنى صرح بأن ذلك من اختلاف اللهجات وهو رأى سوى.

التاء والصاد

مثل: لصت ولصوت فى لص ولصوص.

والمخرج متقارب -على ما يرى القدماء- مع اختلاف فى موضع طرف اللسان فهو مع التاء يتصل بأصول الثنايا العليا ومع الصاد يتصل بأطراف الثنايا السفلى ولكن الوارد مثال واحد قال فيه ابن جنى بالإبدال[1] ويعلل ذلك الدكتور أنيس بأن التاء أخف من الطاء التى تناظر الصاد الرخوة فإذا نطق بعضهم الصاد شديدة فهى الطاء وإذا رققت فهى التاء فكان التطور هكذا: ص -ط- ت، ولكن لماذا كان الوارد مثالا واحدًا ما دام التقارب الصوتى موجودا؛ ألا كثرت أمثلة التبادل؟ ربما كان من تلاعب بعضهم فى الاستعمال وقد جعله صاحب المخصص من قبيل اختلاف اللغات قال أبو عبيد: اللص واللصت وقال مرة اللص فى لغة طيىء وغيرهم اللصت وهم يقولون طس وغيرهم طست[2].

ولعل رأى الأستاذ برجشتراسر بتعريب الكلمة مما يؤكد ن العرب لم يبدلوا التاء من الصاد فى شىء من الكلمات وقد اشتبه على اللغويين أمر هذه الكلمة «فكلمة لص معربة من اليونانية بواسطة الآرامية أى السريانية وهو فى اليونانية Lestes وفى السريانية Lesta,Lastes فالصاد بعد التعريب مبدلة من التاء لا العكس وهى كلمة أجنبية عن العربية[3].

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٧٣.

(٢) المخصص ١٣/ ٢٨٠.

(٣) التطور النحوى.

التاء والطاء

فى حديث غسل الحيض «**نبذة من كُست أظفار**» وهو القُسط الهندى: عقار معروف وفى رواية كُسط -بالطاء- وهو والقاف والكاف يبدل أحدهما من الآخر[١].

وفى حديث عبد الله بن مسعود «**لا غلت فى الإسلام**» والغلت فى الحساب كالغلط فى الكلام وقيل هما لغتان.

وفى حديث عمر «**لما مات عثمان بن مظعون على فراشه قال: هبته الموت عندى منزلة حيث لم يمت شهيداً**» أى حط من قدره فى قلبى وهبت وهبط أخوان[٢].

وفى المزهر: الأقتار والأقطار: النواحى ورجل تبن وطبن ككتف وما أستيع وما أسطيع[٣].

ويقال: لتخه ولطخه -كمنعه-: لوثه، سكران ملتخ وملطخ أى مختلط العقل[٤].

والعتعت والعطعط كبلبل: الجدى والترفة والطرفة: ما خصصت به الإنسان من تحفة تتحفه بها[٥].

وجاء فى اللسان: أفلطى الرجل إفلاطا مثل أفلتنى وقيل لغة فى أفلتنى تميمية قبيحة[٦].

وفى الأشمونى: أفلط أى أفلت فإن طاءه بدل من التاء لأن التاء أغلب فيه فى الاستعمال[٧] ولذا وصفت الطائية بالقبح لقلة استعمالها.

---

(١) النهاية ٤/ ١٧٢ (كست).

(٢) المصدر السابق ٥/ ١٣٨ وغريب الحديث لأبى عبيد ٤/ ١١٢ والقاموس ١/ ١٦٦.

(٣) المزهر ١/ ٤٦٤ وتبن وطبن بمعنى فطن. القاموس ٤/ ٢٠٧، ٢٤٦.

(٤) الإبدل لأبى الطيب ١/ ١٢٦ والقاموس ١/ ٢٧٨.

(٥) الإبدال الطيب ١/ ١٢٧ والقاموس ١/ ١٥٨، ٢/ ٣٨٧.

(٦) اللسان (فلط) ٥/ ٤٦١ والمزهر ١/ ٢٢٤.

(٧) ٢/ ٥٩٠.

قال ابن جنى: وأما قولهم فى فسطاط فستاط فالتاء فيه بدل من الطاء لقولهم فى الجمع فساطيط ولم يقولوا فساتيط فالطاء إذن أعم تصرفا[1] وفى الخصائص أورد فيها ست لغات هى: فسطاط وفستاط وفساط وبكسر الفاء أيضًا وقد حاول أن يرجح إبدال التاء فى فستاط من سين فساط على إبدالها من طاء فسطاط بأن قال: إنك إذا حكت بأنها بدل من سين فساط ففيه شيئان جيدان أحدهما تغيير الثانى من المثلين وهو أقيس من تغيير الأول من المثلين لأن الاستكراه فى الثانى يكون لا فى الأول والآخر أن السينين فى فساط ملتقيتان والطاءين فى فسطاط منفصلتان بالألف بينهما واستثقال المثلين ملتقيين أحرى من استثقالهما مفترقين وأيضًا فإن السين والتاء جميعًا مهموستان والطاء مجهورة[2] وقرب المخرج بين هذه الحروف مسوغ للتبادل ولو فرض أن التاء أبدلت من سين فساط فإنها إما أن تكون أبدلت من الطاء أيضًا أو أبدلت منها الطاء لأن اللسان إذا ارتفع مع التاء كانت طاء والحروف الثلاثة (ت -د- ط) لها علاقة صوتية تجعلها وحدة متماسكة مما يسوغ التبادل بينها على أن كل حرف منها له موقعه الخاص المناسب للحدث الذى يلائمه، وقد فسر ذلك ابن جنى فى مثل: قتر -قدر- قطر[3] وبنى على ذلك رأيه فى الاشتقاق الأكبر الذى سماه **إمساس الألفاظ أشباه المعانى**[4].

وقال بعض العرب استاع يستيع بمعنى اسطاع يسطيع وبعضهم يقول أسطاع يُسطيع بقطع الهمزة بمعنى أطاع يطيع فالتاء بدل من الطاء لا محالة[5].

وقال صاحب اللسان: إنه قلب الطاء تاء ليشاكل بها السين لأنها أختها فى الهمس ولا ريب أن الطاء من خصائص البدو والتاء من خصائص الحضر لحاجة البدو إلى تفخيم الحروف والحضر إلى الترقيق وعلى هذا النحو من إبدال التاء طاء ما أحدثه العربى فى صيغة (افتعل) فتاء افتعل إذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٧٤.

(٢) الخصائص ٢/ ٨٧.

(٣) نفسه ٢/ ١٦٢.

(٤) نفسه ٢/ ١٥٢.

(٥) اللسان ١٠/ ١١٤ والقاموس ٣/ ٦٣.

أو ظاء تقلب طاء ألبتة وذلك قولك من الصبر: اصطبر ومن الضرب: اضطرب ومن الطرد: اطّرد ومن الظهر: اظطهر بحاجتى.. وأصل هذا كله اصتبر واضترب وأطترد واظتهر ولكنهم لما رأوا التاء بعد هذه الأحرف والتاء مهموسة وهذه الأحرف مطبقة والتاء مخفتة قربوها من لفظ الصاد والضاد والطاء والظاء بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منهن وهو الطاء لأن الطاء أخت التاء فى المخرج وأخت هذه الأحرف فى الإطباق والاستعلاء وقلبوها مع الطاء طاء أيضًا لتوافقها فى الجهر والاستعلاء وليكون الصوت متفقا[1].

وهذا التبادل نتيجة تأثر الأصوات بعضها ببعض إذ لا يمكن النطق بالتاء المهموسة المستفلة بعد الحروف المطبقة فدعا ذلك إلى نوع من التماثل والانسجام فحولت التاء إلى طاء تماثل الصاد وأخواتها فى الإطباق والاستعلاء وهذا ما أوضحه أستاذنا الدكتور نجا حين قال «إذا رجعنا إلى كتب التصريف عند عرضها لصيغة افتعل وبنائها من كلمة مبدوءة بحرف مطبق وجدنا أن السياق والانسجام يدعوان إلى تحويل التاء وهى صوت مستفل إلى الطاء ليحصل التماثل ويتم الانسجام[2] وهو بهذه الصورة التى تحدث عنها ابن جنى يدعى فى الاصطلاح الحديث باسم المماثلة وقد تحدثنا عن نوعيها التقدمى والرجعى[3] وقلب تاء افتعل على الصورة السابقة من النوع التقدمى الذى يتأثر فيه الصوت الثانى بالأول وقد يقلبون التاء من جنس الحرف الأول مثل اصّبر واضّرب، واظّهر ومظّهر وهذا من النوع التقدمى الذى يتأثر فيه الصوت الثانى بالأول أيضًا ويروى فى اظطلم أربعة أوجه الأول هو السابق وهو تأثر تقدمى ويقال فيها اظّلم وهو تقدمى كسابقه ويقال اطّلم بالطاء فتبدل الظاء طاء وتدغم الطاء فى الطاء وذلك لما بين الظاء والطاء من المقاربة فى الإطباق والاستعلاء[4] وهذا التأثر رجعى تأثر فيه الصوت الأول بالثانى إلى حد أنه فنى فيه[5] ويقال انظلم[6] وهو انفعل ويعرف فى علم الأصوات الحديث باسم المخالفة

(١) سر الصناعة ١/ ٢٢٣.
(٢) الأصوات والتجويد ص ٧٩.
(٣) انظر كتابنا: أصوات اللغة العربية ط ٢ ص ٢٧٦ وما بعدها.
(٤) سر الصناعة ١/ ٢٢٤.
(٥) الأصوات اللغوية ص ١٢٩.
(٦) سر الصناعة ١/ ٢٢٥.

وهى أن الكلمة قد تشتمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين[1] فلا يعدو الأمر أنه قد لجيء إلى عملية المخالفة ليخالف بين الظاءين المتجاورتين بأن استبدلت إحداهما نونا ليزيد النطق تيسيرا[2]، وهذا النوع الذى أطلق عليه علماء الأصوات المحدثون اسم المماثلة قد طبقه اللغويون العرب على تاء فعلت فيقلبونها طاء حين يقع قبلها حرف من حروف الإطباق أيضًا مثل فحصط برجلى إذ أصلها فحصت وقول الشاعر:

وفى كل حىّ قد خبطت بنعمة فحق لشأس من ندالك ذنوب

ومن أمثلة ذلك فى القراءات قوله تعالى: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل:٢٢] قرأ الجمهور: أحطت -بالطاء والتاء دون إدغام، وذلك لعدم توافر شروط الإدغام، وقرئ: أحطّ- بتحويل التاء إلى طاء، وإدغامها فيها- وذلك جائز فعند تجاور حرفين متقاربين يقلب بعض العرب أحدهما إلى صاحبه عند سكون الأول منهما مراعاة للخفة بالتماثل.

وهى لغة تميم كما يقول صاحب المخصص. قالوا فحصط برجلك يريدون فحصت وحصط يريدون حصت[3]. فالتميميون يفضلون الحرف الشديد المجهور وهو الطاء المفخمة على حين يفضل الحجازيون التاء المهموسة المستفلة وقد تحدث ابن جنى عن مبدأ المماثلة المذكور ودعاه بأنه تقريب الصوت من الصوت وسلكه فى باب الإدغام[4].

التاء والكاف

ذكر ابن جنى أن الكاف لا تكون بدلا[5] ولكنه ناقض هذا القول حين ذكر أنها تبدل من التاء وقال: أنشدنا أبو على:

يا ابن الزبير طالما عصيكا وطالما عنيتنا إليكا

(١) الأصوات اللغوية ص ١٥٢ وانظر ذلك فى الخصائص ٢/ ١٤١.
(٢) الأصوات اللغوية ص ١٥٥. (٣) المخصص ١٣/ ٢٧.
(٤) الخصائص ٢/ ١٣٩-١٤٥.
(٥) سر الصناعة ١/ ٢٨٠.

أبدل الكاف من التاء لأنهـا أختهـا فى الهمس وكان سـحيم - إذا أنشد شـعرا جيدا - قـال: أحسنك والله يريد أحسنت[1]، والواقع أن التاء والكاف متـباعدان مخرجا فالكاف من أقصى اللسـان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى والتاء من طرفه مع أصول الثنايا إلا أنهما -رغم ذلك- متفقتان فى جميع الصفات وربما كان لذلك أثر فى تبادلهما.

ويفسـر المحدثون إبدال الكاف من التاء بأن الصـوت قد انتقل من مخـرجه إلى مخرج آخـر فقد انتقلت التاء من مخـرجها متجهـة نحو أقصى الحنك[2]، ونحن نعرف أن سحيـما هذا الذى يقول أحسنك فى أحسنت كان ضـعيف اللسان فعنده شىء من اللثغ كما قال ابن جنى سابقا[3] وطريقة الأطفال تجرى عكس هذا النمط مثل تـسب فى كسب وتُله فى كُله ونحـو ذلك لعدم تمكن جـهازهم الصـوتى من إخراج الكاف التى تصعب عليهم فـيبدلون منها التاء[4] وعلى كل فالكاف أصعب من التـاء ويبدو أن الناطقـين بالكاف فى مـثل ذلك كـانوا من البداة وقـد وصف الأشـمونـى هذه الظاهرة بالاطراد[5] ولعله يقـصد بذلـك اطرادها فى لهجـة من اللهجات العربية لا الاطراد العام فى كل اللهجات.

التاء والهاء

من ذلك مـا يحدث حـال الوقف على مـثل جوزة ورْوى كـيف البنون والبناه وكيف الإخوة والأخـواه؟ وذلك شاذا وأيضًا: التابوه فى التابوت وبعـضهم يقول: اللاه فى الوقف على اللات.

والمعروف أنه -كما ذكر ابن جنى- يوقف على تاء التأنيث بالهاء فى مثل فاطمة وفاتحة إلخ وقد أجرى بعض العرب على ذلك شذوذا الوقف على تاء جمع المؤنث

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢٨١.

(٢) التجويد والأصوات ص ٨٢ والأصوات اللغوية ص ١٢٣.

(٣) سر الصناعة ١/ ٢١٤.

(٤) وقد أورد الدكـتور أنيس أمثلة من لغتنـا العامية لقلب الكاف تاء مـثل (استنجرية) فى اسكندرية فـانتقل مخرج الكاف متجها نحو أصول الثنايا فاستبدل بها التاء. الأصوات اللغوية ص ١٣٣.

(٥) الأشمونى ٤/ ٢٨٢، ٢٨٣.

السالم بقلبها هاء وهم قبيلة طيىء[1] وقد سمع بعضهم يقول: (دفن البناه من المكرماه)، ولكن الدكتور أنيس يرى أن تاء التأنيث لا تنقلب هاء فى الوقف ويقول:

إن هذه الظاهرة ليست فى الحقيقة قلب صوت إلى آخر بل هى حذف الآخر من الكلمة، وما ظنه القدماء هاء متطرفة هى فى الواقع امتداد فى النفس حين الوقوف على صوت اللين، ويصدق ذلك على الأسماء المؤنثة المفردة التى تنتهى بما يسمى بالتاء المربوطة فليس يوقف عليها بالهاء كما ظن النحاة بل يحذف آخرها ويمتد التنفس بما قبلها من صوت لين قصير (الفتحة) فيخيل للسامع أنها تنتهى بالهاء[2] ويؤيده فى رأيه السابق الدكتور عبد الصبور شاهين إذ ليس لرأى القدامى ما يسنده من الناحية الصوتية فلا تقارب بين تاء التأنيث والهاء[3] ولكن الملاحظة الصوتية تثبت وجود الهاء حال الوقف على الاسم المؤنث بالتاء.

وقد أثبت ابن جنى لكلمتى التابوت والنابوه أصلين فالأولى من مادة (تبت) والأخرى من مادة (تبه) وأوضح -مع ذلك- أن الهاء بدل من التاء قال «أما ظاهر الأمر فأن يكون هذان الحرفان من أصلين أحدهما (ت ب ت) والآخر (ت ب ه) ثم من بعد هذا فالقول أن الهاء فى التابوه بدل من التاء فى التابوت وجاز ذلك لما أذكره وهو أن كل واحد من التاء والهاء حرف مهموس ومن حروف الزيادة فى غير هذا الموضع وأيضًا فقد أبدلوا الهاء من التاء التى للتأنيث فى الوقف فقالوا حمزه وطلحه وقائمه وجالسه وذلك منقاد مطرد فى هذه التاء عند الوقف ويؤكد هذا أن عامة عقيل فيما لا نزال نتلقاه من أفواهها تقول فى الفرات: الفراه بالهاء فى الوصل والوقف وزاد فى الأنس بذلك أنك ترى التاء فى الفرات تشبه فى اللفظ تاء فتاة وحصاة وقطاة فلما وقف وقد أشبه الآخر الآخر أبدل التاء هاء ثم جرى على ذلك فى الوصل[4] وذكر الجوهرى أن أصل تابوت تابوه مثل ترقوة وهى فعلوة فلما سكنت الواو انقلبت هاء التأنيث تاء قال ابن برى: التصريف الذى ذكره الجوهرى

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٧.

(٢) فى اللهجات العربية ص ١٣٦.

(٣) القراءات القرآنية ص ٨٣ والتعليق ص ٣٩٦.

(٤) المحتسب ١/ ١٢٩، ١٣٠.

فى هذه اللفظة حتى ردها إلى تابوت تصريف فاسد. والمعاجم تنص على أن التاء لغة قريش والهاء لغة الأنصار قال القاسم بن معن: لم تختلف لغة قريش والأنصار فى شىء من القرآن إلا فى التابوت فلغة قريش بالتاء ولغة الأنصار بالهاء وقال أبو بكر بن مجاهد التابوت بالتاء قراءة الناس جميعًا ولغة الأنصار التابوه بالهاء[1].

ويرى الدكتور شاهين أن الكلمة مشتركة بين العربية والعبرية وعلل ورود الوجهين بما يأتى:

١- تابوه وإن كان لغة للأنصار فهو لغة مأخوة ولا شك من مخالطتهم لليهود بالمدينة وتأثير هؤلاء فى الحياة العربية فى المدينة قبل الإسلام معروف.

٢- تابوت يمكن تفسيره من حياة زيد بن ثابت نفسه فقد كان مهتما بتعلم السريانية والعبرانية بتأثير من النبى ﷺ وقد ذكر الخبر المروى فى ذلك أنه تعلم كلتيهما فى مدة وجيزة[2] ويقول الدكتور شاهين: وإنما يعزز دعوانا بأن الأنصار أخذوا هذا النطق عن العبرية أن زيدا قرأ به وبما أثر عن النطق الآرامى من ناحية وأن العرب فى رسمهم للكلمة كانوا يحسون بأنها فى الواقع لا تشبه فتاة وحصاة وقطاة تلك الكلمات التى تكتب هاء وتنطق فى الوصل تاء فهذه كلمات عربية خالصة أما تلك ففيها رائحة أعجمية تميزها عنها والاحتجاج بأن عامة عقيل قالوا فى الفرات (الفراه) لا يعدو أن يكون وصفا للهجة بعيدة عن لغة الأنصار التى تعودت هذا الوجه فى كلمة بعينها مشتركة بين العبرية والعربية[3].

ونحن لا نرى مانعا من عربية الكلمة فهناك العديد من الألفاظ المشتركة بين العربية وأخواتها الساميات ولا يقلل ذلك شيئًا من عربيتها ومع تسليمنا بجواز تأثر الأنصار باليهود فى نطق تلك الكلمة لا نمنع وجود ذلك كلهجة عربية أصيلة فى مثل

---

(١) لسان العرب ١/ ٢٢٧، المحتسب ١/ ١٢٩.

(٢) سبع عشرة ليلة. انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ط بيروت ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م المجلد الثانى ص ٣٥٨، ٣٥٩ وتوفى زيد سنة خمس وأربعين من الهجرة. المصدر السابق ٢/ ٣٦٠.

(٣) القراءات القرآنية ص٣٩٥، ٣٩٦.

(الفراه) فى لغة عـامة عقيل ووأد البناه من المكرمـاه، فى لغة طيىء ويمكن أن يكون ذلك جرى أولا فى حال الوقف ثم سرى إلى الوصل كما ذكر ابن جنى[1].

وحـديث ابن جنى عن كلمـة (اللاه)، فى الوقف على اللات يؤكـد أنه من باب اختـلاف اللهجات فـقد صرح بأن بعض العـرب ينطق بذلك فى الوقف، وهذا الإبدال لهجة عربيـة يؤيدها لهجة طيىء السابقة ولهجـة عقيل، وربما كان نطق اللاه بهذا الوضع منسوبا إلى إحداهمـا وقد ذكرت كتب اللغة أن (اللات) مشـتقة من لويت عليه أى عطفـت عليه وأقمت وقيل: إنه مـأخوذ من لاه الله الخلق: خلقـه وقيل غـير ذلك[2] وعلى الاخـتلاف فى اشـتقاقـها -بوجـوهه المتعددة- اختلف فى التاء هل هى أصلية أو مبدلة من واو أو هاء والاحتمالات تجد على كل ما يسوغها.

الثاء والحاء

نفى ابن جنى أن يقع الإبدال بين الثاء والحاء، فأمـا قول من قال فى قول تأبط شرا:

كـأنما حـثـحـثـوا حـصـا قـوادمـه أو أم خـشـف بذى شـث وطبـاق

إنه أراد: حثثوا فـأبدل من الثاء الوسطى حاء فقد دفعـه وقال: إنه مردود عندنا والعلة فى فسـاده أن أصل القلب فى الحروف إنما هو فيمـا تقارب منها فـأما الحاء فبعيدة من الـتاء وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختـها وحثحث أصل ثلاثى وليس واحد منـهما من لفظ صـاحبه إلا أن حـثحث من مضـاعف الأربعة وحثث من مضاعف الثلاثى فلما تضارعا بالتضـعيف الذى فيهما اشتبه على بعض الناس أمرهما وهذا هو حقيقة مذهبنا[3] وقد مر ذلك.

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ١٠٧.

(٢) اللسان ٢٠/ ١٣٥ والقـاموس ٤/ ٣٣٢، ٤٤٩ وقد ذكرها فى المواد الآتية: لوى، لـوه، له، وقد ذكر فى (لتت) اللات مشددة التاء صنم قيل: سمى بالذى كان يلت عنده السويق بالسمن ثم خفف ١/ ١٨٠.

(٣) سر الصناعة ١/ ١٩٧، ١٩٨.

وفى هذا تطبيق لمبدأ تقارب المخارج فقط وأنه هو المعتمد لا تقارب الصفات فالملاحظ أن الثاء والحاء متفقان فى الصفات التى هى الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات ولكن ذلك لم يعتمده ابن جنى لبعد المخارج وقد فسر المثال السابق بأن مادة اللفظتين مستقلة فى اشتقاقها عن الأخرى فلا صلة بينهما إلا عند من لا فطنة له بالاشتقاق وأصوله وهذا يتضح بالرجوع إلى المعاجم اللغوية[1].

ونحن مع ابن جنى فيما ذهب إليه إذ لابد أن تكون المخارج متقاربة للحكم بالإبدال ولا بد أيضًا أن تكون الكلمتان متحدتين معنى واشتقاقا.

الثاء والذال

من ذلك:

جذوت وجثوت، قرأ فما تلعذم وما تلعثم، قرب حذحاذ وحثحاث.

جعل ابن جنى كلا من الكلمتين فيما سبق من الأمثلة أصلا مستقلا بنفسه، وليس بدلا من صاحبه وهذا على ما بدا له من تصرف كل منهما تصرف الآخر - بالنسبة للمثالين الأولين- وعلى ذلك فهما لغتان، يقول ابن جنى:

«وأما قولهم: جذوت وجثوت. إذا قمت على أطراف أصابعك وقرأت على أبى على:

إذا شئت غنتنى دهاقين قرية وصناجة تجذو على كل منسم[2]

فليس أحد الحرفين بدلا من صاحبه بل هما لغتان وكذلك قولهم أيضًا قرأ فما تلعثم وما تلعذم وقولهم قرب حذحاذ وحثحاث إذا كان سريعًا وهو طلب الماء ليس أحدهما بدلا من صاحبه لأن حثحاثا من قول تأبط شرا (**كأنما حثحثوا حصا قوادمه... إلخ**) أى أسرعوا به وحذحاذ من معنى الشىء الأحذ ويقال صريمة حذاء إذا كانت ماضية وحذحاذ وإن لم تكن من لفظ الأحذ فإنها قريبة منه[3].

---

(١) القاموس ١/ ١٦٤.

(٢) دهاقين: بائع الخمر -صناجة: من تلعب بالصنج -منسم: أطراف الأصابع.

(٣) سر الصناعة: ١/ ٢٠١، ٢٠٤.

ونحن نرى أنه لا مانع من التبادل لأن مـخرجهما واحد وصفاتهـما متحدة إلا فى الجهر والهمس ولكن لنا ملاحظة على المثال الأول فقد ادعى ابن جنى أن الجثو والجذو بمعنى واحد وهو القيـام على أطراف الأصابع وليس ذلك مسلما له ولا لمن تابعـه بل إن الجثو يـكون على الركب والجذو يكون على أطراف الأصـابع وبذلك اختلف معنى كل من اللفظين فلا إبدال بينهما، والباحث فى المعاجم يرى أن معنى جذا أعم من معنى جثـا ففى مادة (جذو) يقول الفيـروز ابادى «جذا جذوا بالفتح وكسُموّ ثبت قائما كأجذى أو جثا أو قام على أطراف أصابعه»[1]. فالتشابه حدث من قبيل الاتفـاق فى بعض المعانى وبهذا يعد كل منهـما أصلا مستـقلا لأن شرط الإبدال اتحاد المعنيين ونحن مع ابن جنى فى المثال الثالث فقد اختلف المصدر الذى اشتق منه كل من اللفظين، فـالاتفاق بينهمـا حدث -بعد مراحل الاشـتقاق- من قبيل المشاكلة اللفظية مع اختلاف أصل كل منهما ويؤيد ذلك وجود كل من المادتين بمعان مستقلة فى قواميس اللغة.

مادة حث: حثه عليه واستحثه وأحثه وحثثه وحثحثه: حضه فأحثث لازم متعد والحثحوث الكثير والسليم والمنكرة من المعزى والحَثُوث السريع أيضًا وحثحث حرك والبرق اضطرب فى السحاب[2].

مادة (حـذ) الحذّ القطع المستـأصل حذّه قطعه قطعـا سريعا مـستأصـلا والحذذ السرعة والخفة وقـيل للقطاة حذاء لقصر ذنبها مع خفتـها وسمى سقوط الوتد فى الكامل حذذا لأنه قطع سريع مستـأصل وبذا قال ابن جنى: لما قطع آخر الجزء قل وأسرع انقضاؤه وفناؤه واليمين الحذاء السريعة يقتطع بها الحق[3]. والأحذّ الخفيف اليد والضامر والأمر الشديد المنكر[4]، ففى كل من المادتين نرى اتجاها مختلفا عن الآخر فالأولى يدور معنـاها حول التحاض والسرعة والثانيـة حول القطع الذى قد تسبب عنه الإسراع والخفة، فكل منهما أصل برأسه وقد أصاب ابن جنى حين قال

(١) القاموس المحيط ٤/ ٣٦١، ٣٦٢.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٦٤.
(٣) اللسان ٥/ ١٥.
(٤) القاموس ١/ ٣٥٢.

إن الأولى مأخوذة من حثحث والثانية من معنى الشيء الأخذّ، فاختلف الاشتقاق ولكنهما التقتا بمشاكلة لفظية على ما ترى.

الثاء والفاء

فى أول الكلمة: الفروة كالثروة -فى بعض اللغات- وهو الغنى، وثلغ رأسه وفلغة: شدخه، وفى الحديث: **إذا يفلغوا رأسى** ويروى **يثلغوا رأسى**، وفى حديث إسلام عمر: «**فأقبل شيخ عليه حبرة وثوب فرقبى**، والفرقبية والثرقبية ثياب مصرية بيض من كتان ويروى بقافين منسوب إلى فرقوب مع حذف الواو فى النسب كسابِرِيّ فى سابور[1] وغلام ثوهد وفوهد: تام[2].

ومن ذلك: ثروغ الدلو وفروغه، وفناء الدار، وثناؤها وقام زيد ثم عمر، وفم عمر،، وفوم وثوم[3].

وفى وسط الكلمة: جثلته الريح مثل جفلته، والحثالة والحفالة: أرذال الناس، وفى الحديث: **وتبقى حفالة كحفالة التمر**، أى رذالة من الناس كردىء التمر ونفايته وهو مثل الحثالة بالثاء[4]. والمغافير والمغاثير، وفى حديث سحر النبى ﷺ: «**ودفن تحت راعوثة البئر**» والمشهور بالفاء وهى هى[5] والأرثة والأرفة: الحد بين الأرضين[6]. وعافور وعاثور ونفى ونثى لما نفاه الرشاء من الماء عند الاستقاء[7].

وفى آخر الكلمة: أثاث وأثاف والجدف لغة فى الجدث وهو القبر. وقد ذهب ابن جنى إلى جواز وقوع الإبدال بين الثاء والفاء وأن تكون كل منهما أصلا، لكنه فى بعض الأمثلة جعل الثاء هى البدل وذلك فى ثروغ الدلو وفروغه وأثاث

---

(١) النهاية ٣/ ٤٤٠ (فرقب).

(٢) الجمهرة ٢/ ٣٠٤ والإبدال ١٨٢-١٨٤ والمزهر ١/ ٤٦٥.

(٣) سر الصناعة ١/ ١٩١ وما بعدها.

(٤) النهاية ١/ ٢٣٤ (حثل).

(٥) المصدر السابق ٢/ ٣٤.

(٦) الجمهرة ٢/ ٣٣، ٦٧ والإبدال ١٨٦ والمحتسب ٢/ ٦٢.

(٧) سر الصناعة ١/ ٢٤٩ وما بعدها والمحتسب ٢/ ٦٢.

وأثاف، وفى بعض الأمثلة الأخرى جعل الفـاء بدلا من الثاء مثل: جدث وجدف وثم عمرو وفم عمرو وعافور وعاثور وفناء الدار وثنائها ونفى ونثى.

وقال بأصالة الحرفين حال اخـتلاف المعنى كما فى ثوم وفوم، وفى المثال (ثروغ وفروغ) كان واضح الرأى إذ يقول:

وقـرأت على أبى على بـإسناده إلى يعـقـوب قـال: يقـال: هى فـروغ الدلو وثروغها. فالثاء إذًا بدل من الفـاء لأنه من التفريغ. وأما فى المثال: (أثاث وأثاف) فلم يجزم بالإبدال على أساس الاحتمال الذى بدا فى الكلمتين فإذا كانت الكلمتان من مادة واحدة فلا مناص مـن القول بالإبدال، وإذا اختلفت المادتان فليس الإبدل أمرا محقـقا، قال ابن جنى: «فأما قولهم فى أثاف: أثاث بالثـاء فمن كانت عنده فُعْلية فجائز أن تكون الثـاء بدلا من الفاء لقول النابغة: **(وإن تأثفك الأعداء بالرفد)** وجـائز أن تكون من أثّ يـئِثّ إذا ثبت واطمـأن لأنهم يصـفـون الأثـافى بالخلود والركود والوجه أن تكون الثاء بدلا من الفاء أيضًا لأنا لم نسمعهم قالوا أُثية»[1].

ونحن نرى أن الفاء والثاء قريبا المخـرج بل إن الفاء تلى الثاء فى ترتيب مخارج الحروف ويشتركـان فى جميع الصفات ما عدا الذلاقة للفـاء والإصمات للثاء وهذا مما يسوغ التبادل بينهما واللغويون يجعلون الفاء للحجازيين والثاء للتميميين[2] وهو فى فروغ وثروغ كان موفقـا إذ مادة فرغ هى الأصل والثاء بدل منها[3]، وبالبحث عن اشتـقاق أُثُفيّة وجـد أنها كمـا يقول ابن جنى: يمكن أن تكون من ثفاه يثـفوه ويثفيه تبعه أو جاء فى إثره فتكون الفاء عين الكلمة ووزنها أُفعولة ويمكن أن تكون من أثفت القدر فهى مـؤثفة على حد قول النابغة الـسابق، وهو من قولك: أثفت الرجل أثفه: إذا تبـعته والآثف التـابع ويقال: تأثف الرجل المكان إذا لم يبـرحه، وتكون الهـمزة فاء الـكلمة والفـاء لامها ووزن أثفـية على هذا (فُـعْلية) وأصـلها (فُعلوية) كما يقول الليث[4] وعلى أساس هذا الاشتقاق تتصل (أثاف) بـ(أثاث) أو

---

(١) سر الصناعة ١/ ١٩١.

(٢) المزهر ٢/ ٢٢٤ والمخصص ١٣/ ٢٨٦.

(٣) لسان العرب ١٠/ ٣٠٤.

(٤) المصدر السابق ١٨/ ١٢٢-١٢٤.

تبتعد عنها، فعلى الاشتقاق الأول تكون أصول كلمة (أثاف) هى الثاء والفاء والياء (ثفى) واللام حذفت على حد الإعلال فى قاض ونحوه وأما (أثاث) فإن العين (هى الثاء الأخيرة) وبهذا قد وضح إبدالها من الفاء التى هى أصل العين.

وأما على الاشتقاق الثانى (أثف) فالهمزة هى الفاء والثاء هى العين والفاء الأخيرة هى اللام وعلى هذا الاشتقاق أيضًا يتحقق الإبدال بين الثاء والفاء فى موقع لام الكلمة، على أننا عند التأمل يمكن أن نتصور أن كلمة (أثاث) ليست مشتركة مع أثاف بل هى من مادة أخرى وهى: أثّ يئِثّ ويؤُثّ إذا كثر والتف والمؤثث الموطأ الموثر[1].

وفى هذا معنى ثبات الشىء فى موضعه واستقراره فى مكانة مما يتناسب مع الأثاثى التى هى الحجارة التى تنصب وتجعل القدر عليها[2] وفى ذلك معنى اطمئنان القدر الموضوعة على الحجارة وثباتها وبهذا تختلف المادتان معنى واشتقاقا فلا إبدال بين الكلمتين، وربما أفاد هذا أن كلا منهما لهجة لطائفة من العرب فالأولى بالفاء حجازية والثانية بالثاء تميمية، ولكن ابن جنى على الرغم من ذلك يثبت جواز الإبدال أيضًا بل يرجحه ولو مع بُعد الاشتقاق لأن المفرد معروف للأثافى وهو أثفية ولم يرد أثية عن العرب ونقول له: إن ذلك ليس حجة لجواز أن تكون الكلمة التى تصور فقدانها موجودة فى الجزيرة العربية ولم يصل إليها الرواة[3].

ومن كل هذا نستطيع أن نقول: إنه إذا كانا من مادة واحدة فالإبدل مستساغ لقرب الحرفين وأما إذا اختلفت مادة الاشتقاق فلا إبدال لأن الاتفاق حدث من التشابه بين الكلمتين فى الصورة مع اختلاف المعنى الأصلى للمادتين، ومن الأمثلة التى أوردها ابن جنى وغيرها نؤكد وقوع الإبدال بين الحرفين والثاء هى البدل لأن المادة اللغوية عرفت فى كليهما بالفاء أو تكون كل منهما أصلا معروفًا فى إحدى اللهجات العربية فالفاء للحجاز والثاء لتميم.

---

(١) القاموس ١/ ١٦١.

(٢) لسان العرب ١٨/ ١٢٢.

(٣) اللهجات العربية د. نجا ص ٥٧.

وجعل ابن جنى الفـاء بدلا من الثاء فى قام زيد فُمّ عـمرو وثُم عمـرو وجدف وحـدث وقـال عن الأول منهـما: الفـاء بدل من الثـاء فى ثم ألا ترى أنه أكـثـر استعمالا[1] وقال عن الثانى: والوجه أن تكون الفـاء بدلا من الثاء لأنهم قد قالوا فى الجمع أجداث ولم يقولوا أجداف[2].

وقال فى المحتسب: وقد يجوز أن يكونا أصلين إلا أن أحدهما أوسع تصرفا من صاحبه[3].

وأما فناء الدار وثناؤها فـقد جعلهـما أصلين لاختلاف الاشـتقاق فقـال: وأما فناؤها فمن فنى يفنى لأنها هناك تفـنى لأنك إذا تناهيت إلى أقصى حدودها فنيت وأمـا ثناؤها فـمن ثنى يثنى لأنهـا هناك أيضًا تـنثنى عن الانبـساط لمجيء آخـرها وانقضاء حدودها[4].

وبذلك وجدنا لثناء من الاشـتقاق مـا وجدناه لفناء ألا ترى أن الفعل يتـصرف منهما جميعًا[5].

وهذا تفسير صـحيح لأن المعنيين حينئذ قد التقيـا بطريق الاتفاق والمجاز، وأما عافور وعاثور فقد جوّز -كـما ذهب يعقوب بن السكيت- أن تكون الفاء بدلا من الثاء وجوّز أن يكون قولهم وقعوا فى عافـور فاعولا من العفر لأن العفر من الشدة أيضًا ولذلك قالوا: عفريت لشدته ويشهد لهذا قولهم: وقعنا فى عفرة أى اختلاط وشدة[6] وبذلك يكون كل منهمـا أصلا لاختلاف الاشتـقاق وجوّز فى نِثى ونِفىّ الوجهـين أيضًا فقال: أمـا قولهم لما نفاه الرشـاء عند الاستقاء نِفىّ ونِثىّ فـأصلان أيضًا لأنا نجد لكل واحد منهـما أصلا نرده إليه واشتقاقا نحـمله عليه. فأما النّفِىّ

---

(١) الخصائص ٢/ ٨٤.　　(٢) سر الصناعة ١/ ٢٥٠.

(٣) ذكر السهيلى أن للجدف جمعا جاء فى شعر رؤبة قال:

لو كـــان أحـــجـــارى مع الأجـــداف　　تعـــدو على جـــرثومـــتى العـــوافى

ورجح السهيلى أن الجدف أصل. تاج العروس ٦/ ٤٥.

(٤) سر الصناعة ١/ ٢٥٠.

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٤٨.

(٦) المصدر السابق ١/ ٢٥١.

ففعيل من نفيت لأن الرشاء ينفيه ولامه ياء بمنزلة رمِيّ وعَصِيّ وأما النِثيّ فعيل من نثا الشيء ينثوه إذا أذاعه، وفرقه لأن الرشاء يفرقه وينشره ولام الفعل واو لأنها لام نثوت وهو بمنزلة سرى ومضى وقد يجوز أن تكون الثاء بدلا من الفاء[1] ويؤنسك بجواز كون الثاء بدلا من الفاء إجماعهم فى بيت امرىء القيس:

ومرّ على القنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كل منزل

على الفاء ولم نسمعهم قالوا نثوانه[2].

والذى نراه أنه لا مانع من التبادل بين الفاء والثاء للعلاقة الصوتية بينهما فهما شفويان ومتفقان فى جميع الصفات ما عدا الذلاقة للفاء والإصمات للثاء والمعروف أن الحجازيين يميلون إلى الفاء على حين يميل التميميون إلى الثاء.

وتجويز ابن جنى للإبدال والأصالة فى المثالين السابقين أمر مقبول له ما يسوغه من الناحية اللغوية أما حكمه بأن الثاء هى الأصل لأنها أكثر تصرفا فهذا ما لا نسلمه له بل يجوز أن تكون كل منهما هى الأصل أو أن كل لفظة منهما نشأت فى بيئة لغوية خاصة الفاء للحجاز والثاء لتميم فمقياسه السابق غير مطرد على ما شرحنا.

وأما الفوم والثوم فليست الفاء عنده بدلا من الثاء فقد قال: والصواب عندنا أن القوم الحنطة وما يختبز من الحبوب يقال: فومت الخبز أى خبزته وليست الفاء على هذا بدلا من الثاء[3].

وكل ما ذكره ابن جنى عن هذه الأمثلة نقلته المعاجم العربية[4] نصا وقد روى ابن منظور عن الفراء أن الفوم مما يذكرون لغة قديمة أو هى الحنطة والخبز معا قال: وهى فى قراءة عبد الله ﴿وَفُومِهَا﴾ [البقرة:٦١] بالثاء، قال: وكأنها أشبه المعنيين بالصواب لأنه على ما يشاكل من العدس والبصل والعرب تبدل الفاء ثاء فيقولون جدف وجدث للقبر ووقعوا فى عافور شر وعاثور شر[5] ولكن اختلاف

(١) المصدر السابق ١/ ٢٥١.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٥٢.
(٣) المصدر السابق ١/ ٢٥٢.
(٤) انظر لسان العرب ٣/ ٤٣٣، ٦/ ٢١٣، ١٤/ ٣٤٨، ٣٤٩، ١٥/ ٣٥٨، ١٨/ ١٣٤، ٢٠/ ٢٤، والقاموس ٢/ ٨٥، ٩٢، ٣/ ١٢٢، ٤/ ١٠١، ١٨٧، ٤٣٦، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٦٠.
(٥) لسان العرب ١٥/ ٣٥٨ وانظر التهذيب ١٥/ ٥٧٣.

معنى اللفظين يؤكد عدم الإبدال كما ذهب إليه ابن جنى ووجد فى معاجم اللغة ففيها: الفوم: الزرع أو الحنطة وأزد السراة يسمون السنبل فوما وقال بعضهم: القوم الحمص لغة شامية والفوم الخبر أيضًا يقال: فوموا لنا أى اختبزوا[1].

وعن أبى زيد قال: تميم تقول: تلثمت على الفم وغيرهم يقول: تلفمت وقال الفراء: إذا كان على الفم فهو اللثام وإذا كان على الأنف فهو اللفام[2].

وإذا صح النقل فالمعنى مختلف ولا إبدال بينهما ولا نتفق مع من قال من المحدثين بأنه لا يعتد فرقا فى الدلالة بينهما وإنما المسألة ترجع فى رأيه إلى اختلاف عادات القبائل بأن يكون التلثم على الفم أو الأنف[3] ويقول الفراء: وسمعت كثيرا من بنى أسد يسمى المغافير المغاثير[4] ويقول ابن السكيت وأسد تقول مغثور[5] وكرثأ شعر الرجل. كثر والتف فى لغة بنى أسد[6].

وقد جاءت النسبة بعكس ذلك فنسب الجدث بالثاء للحجاز فقد قرأ عبد الله بن مسعود ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء:٩٦] هو القبر بلغة أهل الحجاز والجدف بالفاء لتميم كما قال ابن جنى[7].

ولا مانع -كما ذكرنا- من وقوع التبادل بين الثاء والفاء للقرب فى المخارج والاتفاق فى بعض الصفات، وتحديد صوت معين لقبيل خاص من العرب -فيما اتفق معناه واشتقاقه- غير دقيق فقد تصل لنا نسبة بعض الكلمات بالثاء للحجاز كما نسبت بعضها كذلك لتميم فالأثافى مثلا فى لغة تميم الأثاثى فالثاء منسوبة لتميم والفاء للحجاز[8] وورد عكس ذلك وبعض الكلمات الواردة بالثاء نسبت لكلا الفريقين وعلى هذا فتحديد صوت معين بالحجاز أو تميم أمر غير دقيق والمسألة على الجواز بين الفريقين.

---

(١) المصدر السابق ١٥/٣٥٨ والقاموس ٤/١٧٨ والأستاذ برجشتراسر يوافق الفراء فى إبدال الفاء من الثاء فى فوم وثوم لأن الثوم بالعبرية Sum وبالآرامية To-ma بالشين والتاء الناشئتين عن الثاء -التطور النحوى ص ٢٣، ٢٤.

(٢) التهذيب ١٥/١٠١، ١٥/٣٦٧، ٣٦٨.

(٣) لغة تميم ص ١٣٣.

(٤) معانى القرآن ١/٤١ وهو صمغ يسيل من شجرة الرمث وهو حلو يؤكل.

(٥) القلب والإبدال ص ٣٥.

(٦) اللسان: كرثأ.

(٧) المحتسب ٢/٦٦ والبحر ٦/٣٩.

(٨) المزهر ١/٤٦٥.

الجيم والحاء

من ذلك: حفأ به الأرض: ضربها به والجيم لغة وجاسوا وحاسوا بمعنى واحد، ذهبوا وجاءوا، ودعاهم الجفلى والحفلى أى بجماعتهم والجيم أكثر، وأجمّ الأمر والفراق: دنا وحضر لغة فى أحمّ، والعلاقة الصوتية بعيدة بين الحاء والجيم فهما لغتان مع الربط بينهما لملابسة ما وربما دخل ذلك التصحيف[1].

الجيم والخاء

جلع وخلع: ترك الحياء وتكلم بالقبيح، وجلع ثوبه، وخلعه بمعنى[2].

الجيم والشين

من أمثلة ذلك: (إذا ذاك إذ حبل الوصال مدمش).

صرح ابن جنى بأن أصل (مدمش) (مدمج) فالشين بدل من الجيم[3] واتحاد المخرج بينهما والاتفاق فى بعض الصفات إذ هما من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ومتفقان فى الاستفال والانفتاح والإصمات يبيح التبادل بينهما ولكنهم قالوا: إنه لم يوجد مثال آخر لذلك وقال ابن عصفور: إنه أبدل الجيم شينا لتتفق القوافى ولا يحفظ غيره[4] ولم ينبه ابن جنى على ذلك، ولعل منه ما جاء فى المثل: **شر ما أشاءك**[5] أى ما أجاءك أى ألجأك واضطرك إلى المجىء فأشاءه: لغة فى أجاءه وتميم تقول: شر ما يشيئك إلى مخة عرقوب.

الجيم والقاف والكاف

من ذلك: القريث لغة فى الجريث وهو نوع من السمك[6]، وريح سيهك وسيهج[7]: شديدة ورجل عريض الكبهة والجبهة، ويقال فى عمك: عمج، ومن

---

(١) من أسرار اللغة ص ٥٢.
(٢) اللسان ٨/ ٤٠٢، ٤٣٠.
(٣) سر الصناعة ١/ ٢١٥.
(٤) الأشمونى مع العينى ٤/ ٣٣٥.
(٥) مجمع الأمثال ٢/ ١٥١ واللسان: (جيأ وشيأ).
(٦) اللسان (قرث).
(٧) القلب والإبدال لابن السكيت ص ٣٨.

ذلك ما ورد فى حديث عائشة أنها (**استأذنت النبى ﷺ فى دخول أبى القعيس عليها فقال: ائذنى له فإنه عمج**) يريد عمك من الرضاعة، فأبدل الكاف جيما[١].

ويرى بعض اللغويين فى تفسير ذلك الإبدال أن هذه الجيم التى جاءت مكان القاف أو الكاف هى جيم عربية خالصة وأن إبدالها من الصوتين السابقين جائز لوقوعه فى بعض كلمات العربية ولتجاور مخرج الجيم ومخرجى القاف والكاف.

ويرى آخرون أن هذه الجيم هى أحد الحروف الفرعية التى مخرجها بين الجيم والقاف أو بين الجيم والكاف وهى من الحروف غير المستحسنة التى لا تقع فى القرآن ولا فى الشعر الفصيح[٢].

وذكر ابن دريد أن للعرب حروفا لا تتكلم بها إلا ضرورة فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها مثل الحرف الذى بين القاف والكاف والجيم والكاف وهى لغة سائر اليمن[٣].

وذكر ابن فارس أن هذه الحروف ترجع إلى اللغات فهى لغة لقوم[٤٥] واستأنس بعض المحدثين لذلك بوجود الجيم الكافية التى كانت -فى رأيهم- أصلا للجيم المعطشة كما نرى فى الجيم الشامية والجيم القاهرية[٥] وأساس هذا الرأى ما ذكره المستشرق برجشتراسر من أن الجيم -عند أكثر العرب- كانت بسيطة مجهورة شديدة مثل نطقها الآن عند المصريين وأنها كانت تمثل الكاف التركية فى مثل كلمة: كاه[٦].

وهذا فى رأيهم يسوغ التبادل بين الجيم والقاف والكاف وفى رأينا أن الجيم العربية لها طابع خاص يختلف عما رأى برجشتراسر ومتابعوه والدليل التاريخى غير متحقق بين أيدينا وإن كان القول بالتطور ممكنًا فيما قبل عصر تهذيب اللغة.

---

(١) النهاية ٣/ ٣٠٣ (عم).
(٢) الكتاب ٤/ ٤٣٢.
(٣) مقدمة الجمهرة ص ٥٠٤.
(٤) الصاحبى ص ٣٧، ٣٨.
(٥) الأصوات اللغوية ص ٨٥.
(٦) التطور النحوى ص ٩.

وقد ذكر الخطابى أن إبدال الكاف جيما فى الحديث تصحيف من نقلة الحديث لأن الرسول ﷺ لا يتكلم بهذه اللهجات المضعوفة وإنما يتكلم باللغة العالية.

ونرى أنه لا مانع من نطقه بذلك كما يرى العلماء فالرسول ﷺ كان يخاطب العرب بلغاتهم، كقوله (**ليس من امبر امصيام فى امسفر**) وغير ذلك وقد نسب هذا الإبدال -كما رأينا- إلى بعض العرب وهم طائفة من اليمن[1].

الحاء والخاء

من أمثلته: الرحم: القرابة والرخم بالكسر مثله وذهب سيبويه إلى أن هذا مطرد فى كل ما ثانيه من حروف الحلق وهو لغة بكر، وكذلك رحمه رحمة، قال الليث: زعم أبو زيد الأنصارى أن من أهل اليمن من يقول: رخمته رخمة يعنى رحمته رحمة ويقال: ألقى الله عليك رحمة فلان أى عطفه ورقته قال: وسمعت أعرابيًا يقول: هو راخم له[2] ومنه: يتخوف مالى ويتحوفه: يتنقص ويأخذ من أطرافه وقرأ يحيى بن يعمر وعكرمة وابن أبى عبلة ﴿**إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً**﴾[3] [المزمل:٧] بالخاء وقال الفراء: إنه سأل أبا زيد الكلابى عن هذا الحرف فقال: أهل باديتنا يقولون: سبخ عنه: للمريض والملسوع ونحوه. ومن ذلك: الحلتيت بالحاء والخاء يقوله البحرانيون لصمغ يقال له الأنجزد[4] ويقول الليث: الحلتيت الأنجزد، والذى حفظته عن البحرانيين الخلتيت[5] بالخاء والحثرمة: الدائرة التى عند الأنف وسط الشفة العليا وسمعت -عن أبى حاتم- بالخاء وهما لغتان[7].

ويقول الأزهرى: قال الليث: الفخيخ دون الغطيط تقول: سمعت له فحيحا والأفعى له فخيخ. قلت: أما الأفعى فإنه يقال فى فعله: فح يفح فحيحا بالحاء،

---

(١) النهاية ٣/ ٣٠٣.

(٢) التهذيب ٧/ ٣٨١، ٣٨٢، واللسان ١٥/ ١٢٥، والصحاح ٥/ ١٩٢٩، ١٩٣٠.

(٣) وانظر البحر ٨/ ٣٦٣، ومعانى القرآن ٣/ ١٩٧.

(٤) التهذيب ٧/ ٢٩٨، ٢٩٩ (حلت).

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤٤١ (خلت).

(٧) المصدر السابق ٥/ ٣٣٣ (حثرم)، ٧/ ٦٨٩ (خثرم).

ثم يعقب الأزهرى بقوله: ولم أسمع لأحد فى الأفعى وسائر الحيات فخيخ بالخاء، وهو عندى غلط اللهم إلا أن تكون لغة لبعض العرب لا أعرفها، فإن اللغات أكثر من أن يحيط بها رجل واحد[1].

وقال ابن جنى: إن الحاء لا تكون بدلا أبدا إلا فيما شذ عنهم[2] مثل إبدالها من الخاء أنشد ابن الأعرابى:

ينفحن منه لهبا منفوحا لمعا يُرى لا ذاكيا مقدوحا

قال: أراد منفوخا فأبدل الخاء حاء قال: ومثله قول رؤية:

غمر الأجارى كريم السنح أبلج لم يولد بنجم الشّح

قال: يريد السنخ[3].

وقد بنى ابن جنى رأيه على عدم ورود أمثلة من هذا الإبدال ويقول العلماء: إن ذلك لم يرد إلا فى الشعر -شاذا- ليوافق الشاعر بين روى أبيات القصيدة إذا كانت حائية فقد أراد الشاعر الأول ينفخن ومنفوخا بالخاء المعجمة فيهما فقالهما بالحاء المهملة ليوافق روى الرجز كله لأنه حائى، وأنا أرجح أن الإبدال غير واقع هنا - على الرغم من قرب المخارج والصفات - لأن الضبط مختلف فينفخ بضم الفاء وينفح بفتحها فالأول من نفخ والثانى من نفح والنفح يناسب النار أيضًا إذ منه يشتد اللهب ويقوى اشتعاله ففى القاموس (نفح الطيب كمنع فاح والريح هبت) وهذا مما يناسب النار ويقال نفخ بفمه أخرج منه الريح فعلى هذا كل منهما مادة مستقلة وليست الحاء بدلا من الخاء على سبيل الشذوذ أو الضرورة[4] على أن الحاء تبدل من الخاء لتناسب المعانى كما فى النضح والنضخ[5]، ولا مانع من الناحية اللغوية لهذا الإبدال حيث توجد المسوغات ولكن الذى جعل ذلك شاذا -فى نظر العلماء-

---

(١) التهذيب ٧/ ١٠.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٩٦.

(٣) المصدر السابق ١/ ١٩٦، ١٩٧، وسنخ كل شيء أصله.

(٤) ولكل من المادتين معان أخرى. القاموس ١/ ٢٩٩، ٣٢٠.

(٥) اللسان ٣/ ٥٠٤.

هو عدم استعمال كلمات من هذا النوع إلا أن الشعراء ربما اضطروا إلى هذا الإبدال كما حدث فى المثال الثانى على وجه التأكيد «فقد أبدل الحاء من الخاء لمكان الشح وبعضهم يرويه بالخاء لأنهما جميعا حرفا حلق[1].

وقال ابن جنى: إن الخاء لا تقع بدلا ونفى أن تكون الخاء فى خمص الجرح بدلا من الحاء فى حمص قال: فأما ما قرأته على أبى علىّ عن أبى بكر عن بعض أصحاب يعقوب من أن أبا زيد قال خمص الجرح يخمص خموصا وحمص يحمص حموصا وانخمص انخماصًا قال أبو علىّ وانحمص انحماصا ذكره أبو زيد فى مصادره إذا ذهب ورمه فلا يكون الحاء فيه بدلا من الخاء ولا الخاء بدلا من الحاء ألا ترى أن كل واحد من المثالين يتصرف فى الكلام تصرف صاحبه فليست لأحدهما مزية من التصرف والعموم فى الاستعمال يكون بها أصلا لصاحبه[2]، وقد طبق ابن جنى قاعدته التى قال بها فى الإبدال هنا وهى الاعتماد فى معرفة الأصل والفرع على كثرة التصرف وشيوع الاستعمال فلتساوى اللفظين عدهما من اختلاف اللهجات، وقد قلنا إن تلك القاعدة غير مطردة فلابد من نظرة واعية لمعرفة صحة النتائج وعدمها، فالباحث فى المعاجم يرى لكل مادة منهما معانى مستقلة عن الأخرى فى بعض جوانبها، فمادة حمص هى: حمص الجرح: سكن ورمه حمصا وحموصا، والأرجوحة سكنت فورتها والقذاة أخرجها من عينه برفق والحمص: أن يترجح الغلام على الأرجوحة من غير أن يرجح، وذهاب الماء عن الدابة والأحمص: اللص يسرق الحمائض جمع حميصة وهى الشاة المسروقة وحمص تحميصا: اصطاد الظباء نصف النهار وانحمص: انقض وتضاءل[3]، فكل المعانى التى ذكرها -غير سكون الورم للجرح والانقباض والتضاؤل- لا تمت لمعنى التضاؤل بصلة إلا على سبيل التشبيه والمجاز وهى كثيرة بل منها ما لا يمكن أن يمت بأية صلة لذلك مثل ترجح الغلام واصطياد الظباء نصف النهار، ومادة (خمص) تدل كلها على معنى التضاؤل وأغلبها على سبيل الحقيقة لا المجاز وهذه

(١) انظر فى أقوال العلماء: شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٣/ ١٢٠٠.

(٢) سر الصناعة ١/ ١٩٩ ولسان العرب ٨/ ٢٩٧.

(٣) القاموس ٢/ ٢٩٩.

المعانى هى: خمص الجرح وانخمص: سكن ورمه والخمصة: الجوعة وبطن من الأرض صغير لين الموطىء والمخمصة: المجاعة وقد خمصه الجوع خمصا ومخمصة وحمص البطن مثلة الميم: خلا وخميص الحشا: ضامر البطن وتخامص عنه: تجافى والليل رقت ظلمته عند السحر والأخمص من باطن القدم: ما لم يصب الأرض[1].

فإذا كان لكل منهما معان مستقلة على هذا النحو فلا ريب أن كلا منهما لغة مستقلة فلا إبدال بينهما وانفاقهما من قبيل التوسع المعنوى إذ معنى التضاؤل والضمور واضح فى مادة (خمص) على سبيل الحقيقة أما معانى مادة (حمص) من صيد الحمائص وسرقتها والتأرجح وغير ذلك فلا يمكن اتصالها بمعنى التضاؤل والضمور[2] إلا من طريق بعيد وإذا اختلف معنى المادتين فأولى بهما ألا يكون للإبدال إليهما سبيل إذ الشرط التقاء المعانى على سبيل الحقيقة، وعلى فرض التسليم بوجود المادتين يمكن -أيضًا- أن يكون التصحيف سرى إليهما فنشأت إحدى المادتين عن الأخرى.

وما نسب فى بعض الأمثلة إلى بنى بكر دليل على ذلك إن صح يدخل فى اختلاف اللهجات.

الحاء والعين

العرجلة: القطيع من الخيل وهى فى لغة تميم الحرجلة[3] فالعين بدل من الحاء وقد يستعمل العربى ما غيره أقوى منه فالتميميون استخدموا الحاء المهموسة، ويدعى بعض الباحثين أن الكلمة (حرجل) آرامية وأنها الصيغة القدمى[4] تطورت عند غير تميم.

---

(١) القاموس ٢/ ٣٠١.

(٢) ومع أخذ ابن جنى له من الشىء الخميص الضامر فى الأول والحمصة لأنها صغيرة مجتمعة فى الثانى فإننا نشاهد أن الاشتقاق الأول على سبيل الحقيقة لأن ضمور البطن قد يكون بعد التضخم أما الحمصة فإنها باقية على حال الضمور منذ بدء وجودها، سر الصناعة ١/ ١٩٩.

(٣) التهذيب ٣/ ٣٢٠ (رباعى العين).

(٤) الدخيل فى اللغة العربية بحث منشور بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة م ١٠ ج ٢ ص ١٠٣.

ولست مع صاحب هذا الرأى لأن العربية أقدم من الآرامية. ومن ذلك أيضًا بعثرت وبحثرت لغتان[1]. وقرأ عبد الله بن مسعود (إذا بحثر ما فى القبور) فى قوله تعالى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] وقال الفراء: سمعت بعض أعراب بنى أسد يقرأها (بحثر)[2].

وقد فضل التميميون الحاء هنا على العين خلافا للنظريات الحديثة التى تجعل البدو يفضلون الأصوات المجهورة والشديدة.

الخاء والغين

من أمثلة ذلك ما جاء من نحو: خمر الناس وخمرتهم وخمارهم: جماعتهم وكثرتهم، لغة فى غمر الناس وغمارهم والخمرة لغة فى الغمرة[3]. وأمرغ العجين: أكثر ماءه لغة فى أمرخه فلم يبسه[4]. وخطر بيده يخطر وغطر يغطر.

وقد تردد ابن جنى فى إثبات الإبدال بين الخاء والغين فأتى بلفظ (كأن) التى تدل على هذا التردد ولم يتبع مقياسه فى بيان الأصالة والفرعية المبنى على التصرف والاستعمال، قال: (وقالوا: خطر بيده يخطر وغطر يغطر فالغين كأنها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلة الغين وقد يجوز أن يكونا أصلين إلا أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه)[5].

ونفهم من كلامه أنه متردد بين أن تكون الغين بدلا من الخاء أو تكون كل منهما أصلا فى إحدى اللهجات.

وقد أخل بمقياسه لحكمه بأن كلا من اللفظين لغة على الرغم من أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه.

وظاهر أن العلاقة الصوتية بين الخاء والغين تسوغ التبادل بينهما فكلاهما من حروف الحلق من أدناه وتتفق الخاء والغين فى الرخاوة والاستعلاء. ويبدو أن ذلك

(١) التهذيب ٣/ ٣٦٠ (رباعى العين).
(٢) معانى القرآن للفراء ٣/ ٢٨٦.
(٣) اللسان (خمر).
(٤) السابق (مرغ).
(٥) سر الصناعة ١/ ٢٤٧.

الاختلاف ناشىء عن اختلاف اللهجات فكل منهما لقبيل من العرب والغين للبدو لميلهم إلى الحروف المجهورة والمستعلية والخاء للحضر وهو المشهور فى كتب اللغة.

الخاء والقاف

ورد التبادل بين الخاء والقاف فى قولهم: المِخصل: القطّاع من السيوف وغيرها لغة فى المِقصل ولعل بين الصوتين تجاورًا فى المخارج، فالخاء من أدنى حروف الحلق إلى الفم والقاف من أقصى اللسان وهما وإن اختلفا فى الجهر والهمس والرخاوة والشدة فالقاف مجهورة والخاء مهموسة والقاف قليلة الشدة والخاء رخوة فإن بينهما تشابها فى بعض الصفات كالاستعلاء مما يسوغ التبادل بينهما.

ويمكن أن ينشأ التبادل لتداخل الصوتين وقرب مكانيهما أو لعدم تدقيق الناطق واحتراسه حال نطقه فسمع كذلك، أما احتمال التصحيف فى ذلك فإنه مبنى على الكتابة وهذا وإن كان جائزا فإنه لا ينبغى الأخذ به إلا بدليل.

ومع هذا فالناطق بالقاف قبيل من العرب ربما كان من البدو على حين أن الناطق بالخاء قبيل آخر ربما كان حضريا لهمس الخاء ورخاوتها.

الدال والذال

من ذلك: خردلت اللحم وخرذلته - بالدال والذال- أى فصلت أجزاءه وقطعته.

وفى الحديث عن أهل النار (**فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل**) والمقصود: المرميّ المصروع أو المقطع تقطعه كلاليب الصراط حتى يهوى فى النار[1]. ويقال: داف الجريح ودفّف عليه، أى أجهز عليه يروى بالدال والذال بمعنى وفى حديث ابن مسعود أنه (**داف أبا جهل يوم بدر**) أى أجهز عليه وتمم قتله، وفى رواية: **قعص ابنا عفراء أبا جهل ودفف عليه ابن مسعود**[2]. وقال ﷺ لبلال: «**إنى سمعت دفّ نعليك فى الجنة**» أى صوتهما عند الوطء عليهما ويروى بالدال

(١) النهاية ٢/ ٢٠.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٢٥، وقعَصَه قعْصا: طعنه بالرمح طعنا سريعا، وقتله مكانه.

والذال[1]. ويقال: دوخه الأسر وهو المشهور وديخه بالدال وبعضهم يرويه بالذال المعجمة وهو لغة شاذة[2]، والذام: العيب يروى بالدال والذال وقد قالت عائشة رضى الله عنها لليهود (عليكم السام والذام)، ويهمز ولا يهمز[3]، والتدبيح -بالدال المهملة- وهو المشهور ويقال بالذال وفى الحديث: (نهى عن التذبيح) بالذال، هكذاء جاء فى رواية[4]، ومدكر -بالدال والذال- قرأ ابن مسعود: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥] بالذال. و(شرد) رويت بالدال والذال، قرأ الأعمش: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٧] بالذال[5].

ونقل أبو الطيب اللغوى: وقال أبو عمرو: ما ذاق عدوفا وما ذاق عذوفا أى ما ذاقا شيئًا[6].

وذبرت الكتاب أذبره ذبرًا: إذا كتبته، وحكى اليزيدى دبرته أدبره دبرا بالدال غير المعجمة[7] ويقال: غلام جادل وجاذل إذا ترعرع وكبر[8] ومرد الخبز ومرذه: أى مرئه.

ويتضح مما سبق أن كلمات رويت بالوجهين الدال والذال، ويشير اللغويون إلى شهرة إحداهما وقلة الأخرى كأن يقال (يروى بالذال وليس بالكثير) أو والمشهور بالدال أو يشار أحيانًا إلى اختلاف الدلالة كأن يقال: والعدوف: العلف فى لغة مضر بالدال.

وربما كان للتصحيف أثر فى بعض هذه الكلمات المتبادلة، قال أبو حسان: سمعت أبا عمرو الشيبانى يقول: ما ذقت عدوفة قال: وكنت عند يزيد بن مزيد الشيبانى فأنشد بيت قيس بن زهير:

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٦٢ (ذفف).

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٤٧ (ديخ).

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٥١ (ذأم).

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٥٤ (ذبح) وديّح فى ركوعه بسط ظهره وطأطأ رأسه فكان أكثر انخفاضا من عجزه.

(٥) البحر ٤/ ٥٠٩، والإتحاف ٢٣٨.

(٦) الإبدال ١/ ٣٥٣.

(٧) المصدر السابق ١/ ٣٥٣.

(٨) المصدر السابق ١/ ٣٥٤.

ومـجنبـات مـا يذقـن عـدوفـة يقـذفن بـالمهـرات والأمـهـار

بالدال فقال لى يزيد: صحفت أبا عـمرو وإنما هى عذوفة بالذال فقلت له: لم أصحف أنا ولا أنت. تقول ربيعة هذا الحرف بالذال وسائر العرب بالدال[1].

وينقل الأزهرى عن الليث عن أبى الدقيش (القشذة) -بالذال المعجمة-: الزبدة الرقيـقة ثم يقول الأزهرى: وأرجـو أن يكون ما روى عن أبى الدقـيش صحيـحًا والمحفوظ عن الثقات (القشدة) بالدال ولعل الذال فيها لغة لم تبلغنا[2].

وقد نسبت الدال لكثير من القبائل البدويـة والذال للمتحضرين كربيعة ومن تأثر بالحضر من البـدو كإياد والنمر[3] وبعض بنى أسد فقـد روى الفراء أن بعض بنى أسد يقولون (مذكر) فيقلبون الدال ذالا مشددة.

الدال والطاء

من ذلك: قرمد الكاتب فى الكتـابة، جعلها دقيقة متـقاربة الحروف والسطور، وقرمط لغة فيه.

الوخد: سرعة السير والوخط لغة فيه.

الدحو: البسط والطحو لغة فيه.

سدح الناقة: أناخها ويقال: سطحها لغة فيه أو بدل.

وبين الطاء والدال علاقة فكلاهما من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وتتفقان فى بعض الصفات كالشدة مما يسوغ التبادل بينهما، والطاء للبدو لاستعلائها والدال للحضر لاستفالها.

الذال والظاء

أورد ابن جنى من أمثلة ذلك، تركته وقيذا ووقيظا.

---

(١) اللسان (عدف).

(٢) التهذيب ٨/ ٣١١.

(٣) فى اللهجات العربية د. أنيس ص ١٠١.

وحكم بإبدال الظاء من الذال وحكمه بالتبادل صحيح لاتفاقهما فى المخرج والصفات ما عدا الاستعلاء والإطباق فى الأول والاستفال والانفتاح فى الثانى إلا أنه جعل الذال أصلح لأنها أعم تصرفا لقوله عز اسمه ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ [المائدة: ٣] بالذال.

ولقولهم: وقذة يقذه ولم يسمع: وقظه ولا موقوظة[١].

وهذا معروف عنه من الحكم بالأصالة والفرعية تبعا للشيوع وعدمه، ولكنه غير مؤكد فقد ذكر الفيروزآبادى: وقظه كوعده: وقذه وعلى الأمر: دام ووقظ به رأسه بالضم كوقط بالطاء، والوقيظ المثبت الذى لا يقدر على النهوض[٢].

فالمادة الثانية متصرفة أيضًا، واللائق بالأمر أن تكون بالظاء فى بيئة بدوية تميل إلى التفخيم والأصوات المستعلية المطبقة وأن تكون الذال من خصائص بيئة حضرية تميل إلى الترقيق والأصوات المستفلة المنفتحة.

الراء والزاى

البزخ: الجرف وبلغة عمان هو البرخ بالراء.

الفزغز: الشدق فى بعض اللغات والراء لغة.

رغل الصبى يرغل: إذا أخذ ثدى أمه فرضعه مسرعا ويروى بالزاى لغة فيه.

أزمتهم السنة أزما: استأصلتهم وقال شمر: إنما هو أرملتهم بالراء وأزمت الحبل والعنان والخيط وغيره آزمه أزما: أحكمت فتله وضفره بالراء والزاى جميعًا والراء أعرف.

وكلا الصوتين من طرف اللسان إلا أن أحدهما -وهو الراء- مع اللثة العليا، والثانى -وهو الزاى- مع أصول الثنايا السفلى ويختلفان فى الصفات، فالراء تمتاز بالتكرير، والزاى بالصفير، ومع اتفاقهما فى بعض الصفات يبدو أن كلا منهما فى بيئة خاصة.

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٣٣.

(٢) القاموس ٢/ ٤٠٠.

وجائز أن يكون للتصحيف أثر فى نشأة إحدى الصيغتين عن الأخرى، ولعل الراء هى الأصل كما يتبين من الروايات السابقة المرجحة لكون الكلمة بالراء على أنها الأعرف والأشهر.

الراء واللام

من الكلمات التى جاءت بالراء واللام: جرف الخبز أو جلفه أى كسره، وفى الحديث: **ليس لابن آدم إلا بيت يكنه وثوب يواريه وجرف الخبز** أى كسره والواحدة جرفة ويروى باللام بدل الراء[1].

ومن ذلك: يُزَرّف ويُزَلّف يعنى يزيد.

وفى حديث قرة بن خالد **(كان الكلبى يُزّرف فى الحديث أى يزيد فيه مثل يُزلّف)**[2] وتعطر النساء وتعطلهن.

(وكان ﷺ يكره تعطر النساء وتشبههن بالرجال) أراد العطر الذى يظهر ريحه كما يظهر عطر الرجال وقيل أراد تعطل النساء باللام وهى التى لا حلى عليها ولا خضاب واللام والراء يتعاقبان[3].

والعاذر: العرق الذى يسيل منه دم الاستحاضة ويروى العاذل باللام.

وفى حديث ابن عباس: **وسئل عن الاستحاضة فقال: ذلك العاذل يغزر** أى يسيل وذكر بعضهم العاذر بالراء، وقال: العاذرة: المرأة المستحاضة فاعلة بمعنى مفعولة من إقامة العذر ولو قال العاذر العرق نفسه لكان وجها إلا أن المحفوظ العاذل باللام[4].

ويقال: سهم أمرط وأملط.

وفى حديث أبى سفيان **(فأمرط قذذ السهم)** أى سقط ريشه[5].

---

(١) النهاية ١/ ٢٦٢ (جرف).
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٠١ (زرف).
(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٥٦ (عطل).
(٤) النهاية ٣/ ٢٠٠ (عذل).
(٥) المصدر السابق ٤/ ٣٢٠ (ملط).

ويقال: اعتكار الأمور واعتكالها: أى اختلاطها والتباسها[1].

ويقال: عـيهـر وعيهل لـلناقة[2]، وفرق وفلق والوجـر والوجل وهو الفزع[3] وانخرعت كتفه وانخلعت[4].

وقد قال ابن جنى إن الراء لا تكون بدلا[5] ولكنه أتى بأمثـلة يشتبـه فى تصور الإبدال فيها بين الراء واللام وخرجها بحسب ما رأى -وأتى ببعض الأمثلة الأخرى يوضح بها مبدأ الاشتقاق الأكبر ومبناه على الإبدال كما نعلم بين الراء واللام أيضًا وها هى ذى:

١- جِربّانة وجِلبّانة وقال: قرأت على أبى علىّ لحميد بن ثور:

جلبـانة ورهاء تخـصى حـمـارها بفى من بغى خـيرا إليـها الجـلامد[6]

٢- نثرة ونثلة: للدرع عامة أو الواسعة منها[7].

٣- قرمة. قلمت أظفارى[8]. بيضة عرماء وقطيع أعرم -العلم والعلامة- جبر وجبل[9].

قال ابن جنـى إنه لا إبدال فى المثال الأول بل كل من الكلمـتين أصل، «فـأما قولهم امـرأة جِربّانة وجِلبّانة إذا كـانت صخّابة فليس أحـد الحرفين فـيه بدلا من صاحبـه، ويدل على أن جلبانة وجريانة أصـلان غير مبـدل أحدهما من صاحـبه وجودك لكل واحد منهما أصلا مـتصرفا واشتقاقا صحيحًـا فأما جلبانة فمن الجلبة والصياح لأنها الصخابة وأما جربانة فمن جرب الأمور وتصرف فيها.. والتجريب

(١) المصدر السابق ٣/ ٢٨٤ (عكل).
(٢) المزهر ١/ ٥٥٨.
(٣) المصدر السابق ١/ ٥٥٩.
(٤) الصحاح ٢/ ١٤٤، والمزهر ١/ ٥٥٩.
(٥) سر الصناعة ١/ ٢٠٥.
(٦) المصدر السابق ١/ ٢٠٥.
(٧) المصدر السابق ١/ ٢٠٦.
(٨) الخصائص ١/ ١٤٧.
(٩) المصدر السابق ٢/ ١٤٩.

والدربة وفق الصخب لأنه ضد الحياء والخفر»[1] ولكن هذا الكلام من ابن جنى غير دقيق فالباحث يرى أن الكلمة الأولى (جربانة) أبدلت فيها الراء من اللام فى الكلمة الثانية (جلبانة) وذلك لوضوح الاشتقاق والمعنى الحقيقى فيها فجلبانة من مادة (جلب) التى تدور حول معنى إحداث ما يزعج مثل «جلبه يجلبه جلبا واجتلبه: ساقه من موضع إلى آخر فجلب هو وانجلب والجلب -محركة- ما جلب من خيل أو غيرها، واختلاط الصوت كالجلبة وجلب لأهله: طلب واحتال كأجلب، وعلى الفرس زجره ورعد مجلب: مصوت وجلب الدم: يبس، وتوعد بشر، ومن معانى الجلبة شدة الزمان والجوع والجلب الجناية[2]. . . إلخ وهذا كله يتناسب حقيقة مع معنى الصخب الذى يدل عليه لفظ جلبانة.

وأما مادة «جرب» فلها معان كثيرة ليس بينها معنى الصخب المشار إليه ومنها: الجرب معروف والجربة -بالكسر- المزرعة والقراح من الأرض والجرباء: ريح الشمال أو بردها والريح بين الجنوب والصبا والرجل الضعيف وجربان القميص بالكسر والضم جيبه وجربان السيف: حده أو شىء يجعل فيه وجربه: اختبره[3] إلخ.

فمن هذا يبدو أن اللام هى الأصل والراء بدل منها لوضوح المعنى الحقيقى للفظين وأن المادة الأولى هى أصل الاشتقاق والدربة والمران التى ادعى ابن جنى موافقتها للصخب غير مناسبة لسوء الخلق والصياح والجلبة[4] وأما عن المثال الثانى فقد قال «ينبغى أن يكون الراء بدلا من اللام لقولهم نثل عليه درعه ولم يقولوا نثرها فاللام أعم تصرفا، فهى الأصل»[5].

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٠٥، ٢٠٦.

(٢) القاموس المحيط ١/ ٥٥.

(٣) المصدر السابق ١/ ٥٣.

(٤) ووصف صاحب اللسان (جلبانة) بقوله: مصوتة صخابة كثيرة الكلام سيئة الخلق صاحبة جلبة ومكالبة ١/ ٤٦٠، ٤٦١، كما ينقل ابن جنى نفسه عن ابن الأعرابى أنه قال: جاءك خاصى العير إذا وصف بقلة الحياء. . سر الصناعة ١/ ٢٠٥.

(٥) سر الصناعة ١/ ٦ ٢.

ولكن مقياسه الذى بنى عليه رأيه وهو كثرة التصرف غير مؤكد - أحيانا - لجواز أن تكون الكلمة التى تصور فقدانها موجودة ولكن الرواة لم يصلوا إليها.

والذى يرجع إلى مادتى (نثر -ونثل) يرى أن المعانى متقاربة فى كليهما فهى تدور حول التفريق ونقل الشىء من مكان إلى غيره فمادة (نثر) معروفة فى التفريق، ومادة نثل أيضًا يقال: نثل الركية ينثلها نثلا: أخرج ترابها واسم التراب النثيلة والنثالة ونثل كنانته نثلا: استخرج ما فيها من النثل وكذلك إذا نفضت ما فى الجراب من الزاد، ونثل الفرس: راث، ونثل اللحم فى القدر وضعه فيه مقطعا إلخ... ويقال: قد نثل درعه ينثلها: صبها ونثلها: ألقاها عنه ولم يقولوا: نثرها ولعدم تأكد هذا المقياس فى معرفة الأصل من الفرع ربما يكون للمعنى دخل فى تحديده، فاللام هى الأصل لأن الدرع تتصل بمعنى النثل أكثر من اتصالها بالنثر إذ النثل فيه صفة تجمع الشىء واتصاله بعضه ببعض، وأما النثر فهو فصل لأجزاء الشىء بعضه عن بعض فالمعنى فى النثل حقيقى وقد اتصل بالثانى من طريق المجاز ولا مانع أن تكون الراء هى الأصل وقد نشأت الكلمة باللام للثغة فى اللسان أو نقول: إن كل كلمة أصل برأسها لأنها مشتقة من مادة تؤدى معنى الدرع ولبسها وخلعها عن بدن الإنسان فتكون من اختلاف اللهجات.

وأما الأمثلة الأخيرة ففيها مناسبة بين الحروف والمعانى فالقرمة هى الفقرة تحز على أنف البعير وقريب منه: قلمت أظفارى لأن هذا انتقاص للظفر وذلك انتقاص للجلد والراء تعاقب اللام.

وقالوا بيضة عرماء وقطيع أعرم إذا كان فيهما سواد وبياض وإذا وقع ذلك بان أحد اللونين من صاحبه فكان كل واحد منهما أصلا لصاحبه واستعملوا تركيب جبر وجبل لتقاربهما فى موضع واحد وهو الالتئام والتماسك، منه الجبل لشدته وقوته، ومنه جبرت العظم ونحوه أى قويته، وعلى كل فالتبادل صحيح بين اللام والراء لاتحادهما مخرجا وصفة.

ومع ذلك يمكن أن تكون لهجات: يقول أبو عمرو بن العلاء: «قيس تقول للمريض: مبلسم وتميم تقول مبرسم»[1] والكلمة معربة أصلها بر: الصدر وسام الموت[2] أو ورم أو مرض ويقول أبو عمرو أيضًا: سمعت بعض قيس تقول: سدل الرجل فى البلاد وسدر: إذا ذهب فيها فلم يثنه شىء[3].

ويقال: الرثغ لغة فى اللثغ[4] وفى لغة لهم: رعملك يريدون لعمرك[5].

الراء والنون

من ذلك: كوّر، العمامة وكوّنها، وورد عنه ﷺ (أنه كان يتعوذ من الحور بعد الكور) أى من النقصان بعد الزيادة وكأنه من تكوير العمامة وهو لفها وجمعها ويروى بالنون[6]. ويقال: كار الفرس يكير: إذا جرى رافعًا ذنبه ويروى: يكين[7]. وفى حديث المنافق كان (يكبر فى هذه مرة وفى هذه مرة) أى: يجرى والزور والزون: كل شىء يعبد ويتخذ إلها[8]. ونرى أن قبيلة واحدة لا تنطق بذلك بل هوبينها وبين غيرها أو بين بعضها وبعض.

وقال ابن الفرج: سمعت بعض بنى سليم يقول: قد رجع كلامى فى الرجل ونجع فيه بمعنى، ورجع فى الدابة العلف ونجع: إذا تبين أمره[9]. والراء والنون - كالراء- واللام- من حيز واحد بعضها أرفع من بعض وهى ذلقية[10]. وهى أوضح الأصوات كما يقول المحدثون فى السمع ومجرى الهواء متسع معها وتشيع فى الكلام وهى لذلك تشبه أصوات اللبن[11] ولذا يمكن التبادل بينها ولا بأس أن

---

(١) التهذيب ١٣/ ١٥٨.

(٢) التهذيب ٢٥٧ (برسم) ولغة تميم ص ١٣٠.

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٣٥٥.

(٤) المصدر السابق ٨/ ٩١ (رثغ).

(٥) المصدر السابق ٢/ ٣٨٢ (عمر).

(٦) النهاية ٤/ ٣٠٨ (كور).

(٧) المصدر السابق ٤/ ٢١٧ (كير).

(٨) الإبدال لأبى الطيب ١٤٦ والقلب والإبدال لابن السكيت ص ٦٥.

(٩) التهذيب ١/ ٣٦٨ (رجع).

(١٠) شرح المفصل ١٠/ ١٢٨-١٣٠.

(١١) الأصوات اللغوية ص ٦٤.

ينسب ذلك إلى القبائل العربية على أنه من اختلاف اللهجات وقد ينسب بعضهم الاختلاف إلى قبيلة واحدة.

الزاى والسين

من أمثلة ذلك: الزفت لغة الأزد فى السفت ويقولون: الزقف أى السقف[1] وشزب وشسف وشسب بمعنى ضمر، ولا مانع من التبادل بين الصوتين لاتحاد المخارج فهما من طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى.

وقد أوضح ابن جنى بناء على اتحاد معنى الكلمات الثلاث الأخيرة وأنها بمعنى ضمر أنه يوافق على أن الزاى فيها بدل من السين ولكننا نرى أنه حكى أيضًا أن الأصمعى فصل فقال: الشازب الذى فيه ضمور وإن لم يكن مهزولاً والشاسب والشاسف الذى فيه يبس، وقد حكم بأن إحداهما ليست بدلا من الأخرى ليس على اعتبار الخلاف فى المعنى ولكن على اعتبار تصرف الفعلين جميعًا[2].

ونحن نرى أن خلاف المعنى -إن صح- هو الذى يحسم النزاع ويجعل كلا من الكلمتين ذاتى الزاى والسين أصلا برأسه، إلا أن أصحاب المعاجم يخلطون بين المعنيين كقول صاحب اللسان فى شزب: الشازب الضامر اليابس من الناس وغيرهم[3] وقول الفيروزآبادى: الشازب الخشن والضامر اليابس[4] وفرق بين ما هو يابس من أصله فى الوجود وبين ما كان غضا سمينا ثم هزل وضمر.

الزاى والصاد

من ذلك قولهم فى فُصِد: فصد أو فى يصدر: يصدر بإشمام الصاد صوت الزاى -ومن العرب من يخلصها زايا فيقول: فُزْد ويَزْدر ومَزْدر والتزدير وازْدُقى فى اصدقى، وعليه قول العرب فى المثل: لم يُحرَم من فُزْد له: فُصِد له ثم أسكنت العين على حد قولهم فى ضُرِب ضُرْب وقوله:

---

(١) العين ٥/ ٨١.

(٢) سر الصناعة ١/ ٥٦، ٥٧.

(٣) اللسان ١/ ٤٩٤، ٦/ ٣٧، ١١٧، ١٠/ ٧٠.

(٤) القاموس ١/ ١٠٣.

وَنُفْخُوا فى مَدائِنِهِم فطاروا[1]

وكذلك كل صاد ساكنة بعد الدال، ومن ذلك أيضًا: زقر فى صقر وزقعاء فى صقعاء وصمصمة وزمزمة[2].

ونقول: لا مانع من التبادل بين الزاى والصاد لأنهما من مخرج واحد وهو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى وتشتركان فيما بينهما فى الرخاوة والصفير والإصمات، ومع ذلك يجوز أن يكون ذلك من قبيل اللهجات.

ونحن نعرف أن الصاد من المهموسات وما بعدها دال مجهورة فهذا التجاور بينهما يقتضى تقريب الصاد المهموسة من الدال المجهورة وذلك بإشمام الصاد صوت الزاى المجهورة لتناسب الدال فى الجهر ولذلك جعل ابن جنى هذه الصاد بمنزلة الزاى حين قال: (وأما الصاد التى كالزاى فهى التى يقل همسها قليلاً ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاى)[3].

إذ إنه «لما جاورت الصاد وهى مهموسة الدال وهى مجهورة قربت منها بأن أشمت شيئًا من لفظ الزاى المقاربة للدال بالجهر»[4].

وقد قلبها العرب زايا مخلصة لأنه لما سكنت الصاد ضارعوا بها الدال التى بعدها بأن قلبوها إلى أشبه الحروف بالدال من مخرج الصاد وهى الزاى لأنها مجهورة كما أن الدال مجهورة[5].

ويشترط لهذا القلب أن تكون الصاد ساكنة، وبعدها دال (فإن تحركت الصاد لم يجز فيها البدل وذلك نحو صَدَر وصَدَف لا تقول: زَدَرولازَدَف وذلك أن الحركة

---

(١) سر الصناعة ١/ ٥٧، والخصائص ٢/ ١٤٤.

يقول ابن جنى: ومنه تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم فى مصدر: مزدر وفى التصدير: التزدير وعليه قول العرب فى المثل: لم يُحرَم من فُزِدْ له ثم سكنت العين فلما سكنت الصاد فضعفت به وجاورت الصاد وهى مهموسة الدال وهى مجهورة قربت منها بأن أشمت شيئًا من لفظ الزاى المقاربة للدال فى الجهر.

(٢) سر الصناعة ١/ ٢١٩، والمزهر ١/ ٢٢٥، ٢٢٦.

(٣) سر الصناعة ١/ ٥٦.

(٤) الخصائص ٢/ ١٤٤.

(٥) سر الصناعة ١/ ٥٧.

قوت الحرف وحصنته فـأبعدته من الانقلاب بل قد يجوز فيها إذا تحـركت إشمامها رائحة الزاى، فأما أن تخلص وهى متحركة زايا كما تخلص وهى ساكنة فلا، وإنما تنقلب الصاد زايا أو تشم رائحتـها إذا وقعت قبل الدال فإن وقعت قـبل غيرها لم يجز ذلك فيها[1].

وفى الزقر وزقعـاء السين مهموسة والقـاف مجهورة فأبدل السين زايا مـجهورة والزاى أخت السـين كـمـا أن الصـاد أختـهـا[2]، ويقـول ابن جنى: وروبنا عن الأصمعى: اختلف رجلان من العرب فى الصقر فقال أحدهما بالصاد وقال الآخر بالسين فتراضيا بأول من يقدم عليهما فـإذا راكب فأخبراه ورجعا إليه فقال: ليست كما قلت ولا كما قلت إنما هو الزقر).. إلخ.

وقد اعتبر ابن جنى كـلا من صمصمة وزمزمة أصلا قـائمًا برأسه فقال: «ليس أحد الحرفين بدلا من صاحـبه لأن الأصمعى قد أثبتهما مـعا ولم يجعل لأحدهما مزيـة على صاحـبه[3]. ويؤيد رأى ابن جنى مـا ورد فى معاجم اللغـة فكل من اللفظين من مادة مستقلة لها معانيها الخـاصة، فصمصمة مشتق من مادة (ص م م) التى تدور معـانيها حول القوة والصـلابة والمناعة ومن ذلك: حجـر أصم وصخرة صماء: صلب مصمت والصماء: الناقة السمينة واللاقح والأرض الغليظة والداهية الشـديدة والأصم: الرجل لا يطمع فيـه ولا يرد عن هواه والحـية لا تقـبل الرقى والصـمة بالكسـر: الشجـاع والأسد وصم فى الأمـر والسيـر: مضى كـصمـصم والسيف أصـاب المفصل والصمـصام: السيف لا ينثـنى وكزبرج: الغليظ القصـير والجرىء الماضى وبـهاء: وسط القوم ويفـتح والجمـاعة واشتـمال الصـماء، وهى كساء[4] وزمزمة مشـتقة من مادة (زمم) التى تدور معانيهـا حول إصدار الأصوات واختلاطها ومن ذلك زم القربة: ملأها فزمت زموما امتلأت والبعير: خطمه وتقدم فى السير وتكلم والزمزمة: الصوت البعبد له دوىّ وتتابع صوت الرعد وهو أحسنه

(١) المصدر السابق ١/ ٥٧.

(٢) المحتسب ٢/ ١٦٩، ٢٨٣.

(٣) سر الصناعة ١/ ٢١٩، وانظر فى الأمثلة المزهر ١/ ٢٢٥، ٢٢٦.

(٤) القاموس ٤/ ١٦٣.

صوتا وأثبته مطرا وتراطن العلوج على أكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانا ولا شفة لكنه صوت تديره فى خياشيمها وحلوقها فيفهم بعضها عن بعض وصوت الأسد وبالكسر: الجماعة أو خمسون من الإبل والناس وقطعة من الجن أو من السباع وجماعة الإبل ما فيها صغار... إلخ[1].

ولا شك أن المعنيين قد التقيا على سبيل المجاز فضلاً عن أن كلا من اللفظين قد انفرد عن الآخر ببعض المعانى الواضحة فى النص السابق كاستعمال الصمصمة فى اشتمال الصماء وهى كساء وفى وسط القوم واستعمالها فى الأكمة الغليظة التى كادت حجارتها أن تكون منتصبة[2]، واختصاص الزمزمة بالقطعة من الجن وبتحديد العدد بخمسين على أنه عند فتح الحرفين المكسورين تبقى الصمصمة بمعناها وتنصرف الزمزمة إلى الصوت البعيد الذى له دوىّ وبهذا ترى أن اللفظين لم يتفقا من جميع الوجوه سواء المعنى أو الضبط والمطلوب تحققه فى الإبدال.

وهذا التأثر لون من ألوان الادغام الأصغر الذى هو: تقريب الصوت من الصوت وقد نبه ابن جنى على ذلك كثيرا إذ يقول:

ومنه تقريب الحرف من الحرف[3]، ومنه[4]، وهذا التقريب بين الحروف مشروح الحديث فى باب الادغام[5]، وهذا التقريب للحرف من الحرف باب طويل منقاد وهو فى فصل الادغام وما أصنعه وما ألطفه وأظرفه[6].

وقد ظهر لعلماء اللغة المحدثين أن الصوت المجهور أوضح فى السمع من الصوت المهموس بل إن المجهور يسمع من مسافة قد يخفى عندها المهموس فصوت السين يخفى عند مسافة معينة ربما استمر ظهور القاف -مثلا- بعدها بوقت والدال كذلك بالنسبة للصاد وعلى هذا فالمجهور يتناسب مع حياة البدو لأن

---

(١) القاموس ٤/ ١٤٧.

(٢) لسان العرب ١٥/ ٢٤١.

(٣) الخصائص ٢/ ١٤٤.

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٤٢، ١٤٣.

(٥) المحتسب ٢/ ١٦٨.

(٦) المصدر السابق ٢/ ٢٨٣.

الصحراء الشاسعة تتطلب ارتفاع الأصوات على حين يتناسب المهموس مع حياة الحضر لأنه يكتفى هناك بأقل الأصوات ارتفاعًا فتبدل الصوت المهموس بآخر مجهور يكون إذًا من خصائص القبائل الحضرية على حين يبقى لمجهور من خصائص القبائل البدوية.

وقد نسب أبو حيان ظاهرة إشمام السين صوت الزاى إلى قبائل قيس وقلبها زايا خالصة إلى قبائل عذرة وكعب وبنى القين[1] ونسبت فى العين للأزد[2]، والأزد قبائل وبطون كثيرة ولعل تلك الظاهرة تنسب إلى البدويين منهم كأزد عمان المجاورين للشحر، وقيس معروفة ببداوتها، وعذرة قبيلة اشتهرت بالعشق وهى بطن من قضاعة[3] وهم بدو وكعب بطن عامر بن صعصعة[4] من هوازن[5]، كانت تسكن العروض[6] مجاورة لبنى تميم، وبنو العنبر بطن من أسد[7] وهى بدوية على ما نعرف.

السين والشين

من أمثلة ذلك: جعشوش، وجعسوس -تنسمت منه علما وتنشمت[8] والسده والشده ورجل مسدوه فى معنى مشدوه[9] قال:

فلو كنت وردا لونه لعسقننى ولكن ربى سانى بسواديا[10]

وفى جعشوش وجعسوس جعل ابن جنى الشين بدلا من السين ألا ترى أن السين أعم تصرفا من الشين لوجودك إياها فى الواحد والجمع جميعًا، قال فى خصائصه «قال الأصمعى:

---

(١) البحر ١/ ٢٥.
(٢) والزقف لغة الأزد فى السقف.
(٣) نهاية (القلقشندى) ص ٣٥٩.
(٤) المصدر السابق ص ٤٠٦، ٤٠٧.
(٥) المصدر السابق ص٣٣٠-٣٣٢.
(٦) صفة جزيرة العرب ص ١٥٩.
(٧) نهاية (القلقشندى) ص ٧١.
(٨) سر الصناعة ١/ ٢١٥.
(٩) المصدر السابق ١/ ٢١٠.
(١٠) المصدر السابق ١/ ٢١٤، وانظر ديوان سحيم ص ٥٦.

يقال: جعشوش، وجعسوس وكل ذلك إلى قمأة وقلة، وصغر[1]، ويقال هم من جعاسيس الناس ولا يقال بالشين فى هذا فضيق الشين مع سعة السين يؤذن بأن الشين بدل من السين نعم، والاشتقاق يعضد كون السين غير معجمة هى الأصل وكأنه اشتق من الجعس صيغة على فعلول وذلك أنه شبه الساقط المهين من الرجال بالخرء لذله ونتنه[2]، ولكن مقياس كثرة التصرف غير مؤكد لجواز أن تكون مادة (جعش) موجودة إلا أن الرواة لم يصلوا إليها ومن الجائز أن تكون الشين هى الأصل وقد نشأت السين عنها بطريق التصحيف أو أنهما لغتان لقبيلتين مختلفتين، والذى دعانا إلى القول بذلك أن السين والشين وإن اتفقا فى كثير من الصفات كالهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات فهما متباعدان مخرجا فالأول من طرف اللسان مع أطراف الثنايا السفلى والثانى من وسطه مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى وبينهما فى ترتيب المخارج حروف كثيرة هى -على ما رأى سيبويه وابن جنى[3]- ى- ض - ل- ر- ن- ط- د- ت- ص- ز- وقد صرح ابن جنى نفسه بأن اشتقاق جعسوس (من الجعس) إنما هو على التشبيه لا على سبيل الحقيقة وذلك مطلوب فى الحكم بالإبدال.

وأما تنسمت، وتنشمت فقد كان ابن جنى الحكم الفيصل فيهما برأى سديد فقد قال:

فأما قولهم تنسمت منه علما وتنشمت فليس واحد من الحرفين بدلا من صاحبه لأن لكل واحد منهما وجها قائما أما تنسست فكأنه من النسيم كقولك استروحت منه خيرًا فمعناه أنه تلطف فى التماس العلم منه شيئًا فشيئًا كهبوب النسيم وأما قولهم: تنشمت فمن قولهم: تنشمت فى الأمر أى ابتدأته ولم أوغل فيه وكذلك تنشمت منه أى ابتدأت بطرف من العلم من عنده ولم أتمكن فيه[4].

وبهذا أوضح اختلاف الاشتقاق فلا إبدال بينهما.

---

(١) فى سر الصناعة إلى قماء وصغر وقلة ١/ ٢١٥.

(٢) الخصائص ٢/ ٨٦، ٨٧.

(٣) على خلاف بينهما فى تقدم الضاد وتأخرها عن الشين.

(٤) سر الصناعة ١/ ٢١٥، ٢١٦.

وأما السده والشده فقد قال ابن جنى: (ينبغى أن يكون السين فيه بدلا من الشين لأن الشين أعم تصرفا).

ولسنا معه فى مقياسه ولا فى وقوع الإبدال على هذا النحو لتباعد المخارج.

ويمكن أن يفسر ذلك بأنه ليس لغة بل لثغة تلحق النطق العربى عندما يتكلم بتلك الألفاظ -بالشين- شخص أجنبى، وهذا ما صرح به ابن حنى -بعد إنشاده البيت- قال: إنما قلب[1] الشين سينا لسواده وضعفه من مقاربة الشين وليس ذلك باللغة وإنما هو كاللثغ، ويؤكد ذلك عدم وجود (سده) ولا (عسق) ولا (سان) فى قواميس اللغة[2] وهو مما يظن -كذلك- أن يكون للتصحيف أثر فيه.

ومما ورد فى معجمات اللغة -بالسين والشين- على أنه من اختلاف اللهجات فى تشميت العاطس: يقال: شمت وسمت لغتان والشين أعلى فى كلامهم وأكثر[3].

والجرنفش للعظيم الجنبين والأنثى جرنفشة -بالسين والشين: لغتان.

وصرح بعض اللغويين بنقل ذلك الاختلاف عن بعض العرب كالباهليين فى: شطأ الرجل المرأة -بالسين والشين قال ابن الفرج: سمعت الباهليين يقولون: سطأ الرجل المرأة أى: وطئها قال أبو منصور: وشطأها بهذا المعنى لغة[4] وفى البقلة التى يقال لها: الشبث معربة[5] يقول الأزهرى: رأيت البحرانيين يسمونها سبث بالسين والثاء قلبوا الشين سينا والذال ثاء وهى بالفارسية يقال لها: شوذيله بالذال المعجمة[6]، والتبادل بين السين والشين وقع فى كلمات مشتركة بين العربية واللغات السامية الأخرى[7].

---

(١) يعنى الشاعر وهو سحيم عبد بنى الحسحاس.

(٢) انظر أبواب القاف والنون والهاء فى القاموس ولسان العرب.

(٣) غريب الحديث لأبى عبيد ٢/ ١٨٤.

(٤) شفاء الغليل ١٥٩.

(٥) اللسان ١/ ٨٨ وانظر أيضًا ٩٤.

(٦) التهذيب ١/ ٣٣٧ (شبث).

(٧) التطور النحوى لبرجشتراسر ص ٢٤، ٢٥.

من أمثلة ذلك: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ﴾ [الفاتحة: ٦] والسراط - ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ﴾ [الأنفال: ٦] ويصاقون- ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] وصقر[١] -سخر وصخر- ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ [لقمان: ٢٠] وأصبغ[٢] -سقت وصقت- سويق وصويق- ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ [ق: ١٠] وباصقات[٣] السماخ والصماخ وسمخنى بصوته وصمخنى والأسقح والأصقح -سلهب وصلهب[٤].

ولا مانع من التبادل بين السين والصاد لأنهما من مخرج واحد هو طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى بجانب اشتراكهما فى الهمس ومع ذلك فاحتمال اللهجات أمر قائم.

والواضح أن السين قد وقع بعدها أحد الحروف الآتية: الصاد -القاف- الغين- الخاء، والطاء من أصوات الإطباق ولذلك تأثرت السين بها فقلبت صادا لأنها من مخرج السين وتناسب الطاء فى الإطباق، وفى الأمثلة الأخرى يلاحظ أن السين من حروف الاستفال والقاف والغين والخاء من أصوات الاستعلاء فاقتضى هذا التجاور أن تقلب السين إلى صوت مشابه لأصوات الاستعلاء وهذا ما لاحظه فيلسوف العربية ابن جنى يقول: الأصل السين وإنما الصاد بدل منها لاستعلاء القاف فأبدلت السين صادا لتقرب من القاف لما فى الصاد من الاستعلاء[٥]، ويقول -عند تعقيبه على قراءة (وأصبغ) بالصاد-: أصله السين إلا أنها أبدلت للعين بعدها صادا كما قالوا فى سايغ صايغ وفى سالخ صالخ وفى سقر صقر وفى السقر الصقر ذلك أن حروف الاستعلاء[٦] تجتذب السين عن سفالتها إلى تعاليهن والصاد مستعلية وهى أخت السين فى المخرج وأخرى حروف الاستعلاء وقد نقل أبو حيان -عن أبى جعفر الرؤاسى- نسبة التأثر بالإطباق إلى قريش ويقول: إنه اللغة الجيدة[٧] وكذلك ورد فى اللسان (وهى بالصاد لغة

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٢٠.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٢، والمحتسب ٢/ ١٦٨.
(٣) المحتسب ٢/ ٢٨٣.
(٤) سر الصناعة ١/ ٢١٨.
(٥) المحتسب ٢/ ٢٨٣.
(٦) المحتسب ٢/ ١٦٨.
(٧) البحر ١/ ٢٥.

قريش الأولين الـتى جاءت فى الكتاب) وقـد يكون ذلك صحـيحا فـى الألفاظ التى يوجد فيها إطباق نحو ﴿يَبْسُطُ﴾ [سبأ: ٣٦] و﴿بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] أما أن قريشا كانت تذهب إلى الإطباق فى باسقات وأسبغ وسقر فذلك ما لا نظنه لأن البيئة الحضرية تميل إلى الأناة فى الأداء بحيث تعطى كل صوت حـقه فتنطقه بصفاته ولعل هذه الظاهرة أن تنسب إلى البـادية أجـدر حيث عـرفنا أن صوت الإطبـاق فيـه من الوضوح ما يناسب البيئة الصحراوية[١]، وقد نسب ذلك إلى قوم من تميم يقال لهم: بلعنبر يقلبون السين صادا عند أربعـة أحرف: الطاء والقاف والغين والخاء إذا كن بعد السين وقال الفراء: ونفر من بلعنبر يصيـرون السين إذا كانت مقدمة ثم جاءت بعدها طاء أو قاف أو غـين أو خاء صـادا فمن ذلك قـولهم: الصراط والـسراط.. إلخ[٢] والصاق فى السـاق عنبرية قـال ابن سيده: (وأراه ضـربا من المضارعـة لمكان القاف) (والصويق لغة فى السويق المعروف لمكان المضارعة)[٣]. ويقال: سمخنى بحدة صوته وكثرة كلامـه ولغة تميم الصمخ[٤]، والصماخ من الأذن: الخرق الباطن الذى يفضى إلى الرأس: تميمـية والسين لغة فـيه[٥] وذكر ابن دريد: الأسقح والأصـقح بالسين والصاد يمنية -الأصلع- والسقحة: الصلع يمانية[٦].

وأما سلهب وصـلهب فقد تردد ابن جنـى فى رأيه فيهـما قـال: (يجوز أن تكون الصاد فيـه لغة ويجوز أن تكون بدلا من سين سلهب لأنه أكثـر تصرفا من صلهب[٧] ولعدم تأكـد مقيـاسه فى بعض الأحـيان وهو الاعتـماد على كثـرة التصرف وشـيوع الاستعمال فـإننا لحظنا اتجاه المعاجم اللغوية إلى التسوية بينهما فى الاستـعمال فصاحب اللسان يقول: الصلهب من الرجال الطويل وكذلك السلهب[٨] وصاحب القاموس يروى

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٥٠.
(٢) اللسان: سرط، وصرط.
(٣) المصدر السابق: سوق وصوق.
(٤) المصدر السابق: سمخ.
(٥) المصدر السابق: سمخ وصمخ ٣/ ٥٠٤، ٤/ ٤.
(٦) الجمهرة ٢/ ١٥٤، ١٦٣.
(٧) سر الصناعة ١/ ٢١٨.
(٨) اللسان ١/ ٥٣١.

تصرفا للمادتين فيقول: الصلهب الرجل الطويل كالمصلهب والبيت الكبير والشديد من الإبل واصلهبت الأشياء امتدت على جهتها[٩] والسلهب الطويل أو من الرجال ج سلاهبة ومن الخيل ما عظم وطال عظامه كالسلهبة وهى الجسيمة والسلهابة الجريئة كالسلهاب بكسرهما[١].

والذى يبدو أن الكلمة بالسين لهجة وبالصاد لهجة أخرى وربما كانت الصاد متطورة عن السين فى لغة البدو لتلائم التفخيم الذى يلجأ إليه سكان الصحراء فقد ذكر سيبويه (هذا باب ما تقلب فيه السين صادا فى بعض اللغات تقلبها القاف إذا كانت بعدها فى كلمة)[٢].

وصرح ابن جنى بأن الصاد تبدل من السين فقال: إذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء جاز قلبها صادا[٣] وهذا ينطبق على الأمثلة المذكورة.

وقد أجرى ابن جنى لونا من **إمساس الألفاظ أشباه المعانى** على ألفاظ وردت بالزاى والصاد مثل علّوز وعلّوص وبالسين والصاد مثل سعد وصعد وسد وصد وقسم وقصم والوسيلة والوصيلة فالكلمة بالزاى أو السين تناسب معنى وبالصاد تناسب معنى آخر، وهذا مما يدخل فى نطاق ما يسميه اللغويون **(الاشتقاق الأكبر)**.

الصاد والضاد

من أمثلة ذلك: نصنص لسانه ونضنضه: حركه -تصوك فى خرئه وتضوك[٤].

نرى أن بين الصاد والضاد بعدا فى المخرج فالصاد من طرف اللسان مع أصول الثنايا السفلى والضاد من جانب اللسان أو من كلا الجانبين وبينهما من الحروف: ل-ب- ن- ط- د- ت- إلا أنهما يشتركان فى بعض الصفات كالإطباق والإصمات وذلك لا يصح به التبادل.

---

(١) القاموس ١/ ١١٠، ١١١.
(٢) القاموس ١/ ٩٩.
(٣) الكتاب ٤/ ٤٧٩.
(٤) سر الصناعة ١/ ٢٢٠.
(٥) المصدر السابق ١/ ٢٢١.

وقد ناقش ابن جنى هذين المثالين على أن كلا منهما لا إبدال فيه بل كل من اللفظين أصل إذ ليست الصاد أخت الضاد فتبدل منها[1].

والباحث فى المعاجم يرى أن مادتى: نصنص ونضنض متقاربتان معنى فالأولى تدور حول الحركة والانتقال والحث والثانية تدور حول الحركة والانتقال والحث والقلة ومن الأول: نص ناقته: استخرج أقصى ما عندها من السير والحركة ونصنص غريمه: استقصى عليه ونص المتاع جعل بعضه فوق بعض[2].

ومن الثانية: نض الماء سال قليلاً أو خرج رشحا ونضاضة الماء وغيره بالضم بقيته، وأنض الحاجة: أنجزها، ونضنض فلانا: أقلقه أو استحثه[3] فكل منهما على هذا مشتق من مادة مستقلة فهما لغتان.

ولأ يستبعد أن يكون التصحيف قد تطرق إلى اللفظين وأصل المادة بالضاد أو بالصاد وكذلك: تصوّك فى خرئه وتضوّك رواهما صاحب اللسان بمعنى واحد: تصوّك فى عذرته تصوّكا وبالضاد كذلك تلطخ رواهما اللحيانى عن زياد بالضاد المعجمة وعن الأصمعى بالصاد المهملة[4].

ولعل ذلك من باب اختلاف اللهجات.

ومما ورد بالصاد والضاد منسوبا إلى بعض العرب أو على أنه لغات: الضئبل: الداهية ولغة بنى ضبة الصئبل والضاد أعرف كما يقول الكسائى[5].

وقد صرح الأزهرى بأنه لم يسمعه من غير أبى تراب مع أنه كان يسكن بين أبناء ضبة، وجاص لغة فى جاض، وحفص الشىء: ألقاه، قال ابن سيده: والضاد أعلى، وفلان ما ينوض بحاجة وما يقدر أن ينوص أى يتحرك بشىء والصاد لغة، والمناض: الملجأ عن كراع والصاد أعلى، وضاف السهم يضيف: إذا عدل عن

(١) القاموس ٢/ ٣١٩، ٣٢٠.
(٢) القاموس ٢/ ٣٤٥، ٣٤٦.
(٣) اللسان ١٢/ ٣٤٥، ٣٤٩.
(٤) التهذيب ١٢/ ١٠٢، ١٢/ ١٩٤ وبنو ضبة هم بتو ضبة بن الحارث بن فهر من ساكنى الحجاز، جمهرة أنساب العرب ١٧٦، ١٧٧.
(٥) التهذيب ٢/ ٧٣.

الهدف ويقال فيه صاف بالصاد وهو لغة[1]، وقال تعالى ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ [طه:٩٦] -بالضاد- وقرأ أبيّ، وابن الزبير والحسن وغيرهم بالصاد فيهما[2].

الصاد والطاء

من أمثلة ذلك: الحصب: الحطب، أو ما يسجر به منه، أو ما يرمى به في النار، في لغة أهل اليمن[3]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨] هي بالصاد في قراءة الجمهور، وقرأ أبيّ وعليّ وعائشة وابن الزبير وزيد بن عليّ: (حطب) بالطاء، وجاءت في آية أخرى ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن:١٥].

وقرئت (حضب) بالضاد، ونقلت هذه القراءة عن ابن عباس وقد فسرت الكلمة بمعان مختلفة بحسب الصوت المنطوق به، فالحصب -بالصاد- هو ما رميت به في النار، ولا يقال له حصب إلا وهو في النار. وقال عكرمة: هو حطب جهنم بالحبشية[4] والحطب معروف أما الحضب -بالضاد- فهو كل ما هيجت به النار أو أوقدتها به.

ويذكر بعض الباحثين أن الكلمة بالطاء هي الأصل، لورودها في القرآن الكريم مرتين وورودها -كذلك- في العبرية والحبشية، على حين وردت الكلمة بالصاد مرة واحدة في القرآن الكريم[5].

وليست كثرة العدد دليلا مؤكدا على الأصالة، كما أن قلته ليست دليلا مؤكدا على الفرعية، وقد وقعت الكلمة بالصاد في الحبشية كما وقعت بالطاء فيها أيضًا.

---

(١) التهذيب ٢/ ٧٣ (ضاف).

(٢) البحر ٦/ ٢٧٣.

(٣) القاموس ١/ ٥٥ (حصب) وانظر معاني القرآن للفراء حيث نسب الكلمة بالصاد إلى أهل نجد، وتاج العروس ١/ ٢١٦، واللسان ١/ ٣١١ (حصب)، وانظر بحثنا في القراءات، وصلتها باللهجات العربية بمجلة منبر الإسلام العدد ٧ السنة ٣٧ ص ٢٦.

(٤) تاج العروس واللسان.

(٥) لغة تميم ص ١١١.

ولعل نطق الطاء ضادًا فى (حضب) أو صادًا فى (حصب) لم تكونا خالصتين بل كانت بين الطاء والصاد أو بينها وبين الضاد وهى ما يطلق عليه الضاد الضعيفة[1] وهى من الحروف غير المستحسنة.

ويقال للناقة إذا ألقت ولدها ولم يشعر[2] ملصت وملطت، وألقته مليصًا ومليطا، وهى ناقة مملص ومملط، وإبل مماليص ومماليط، فإذا كان ذلك من عادتها قيل: مملاص ومملاط.

ويقال: اعتاطت رحمها، واعتاصت وهما سواء إذا لم تحمل أعواما، وهى ناقة عائط والجمع عيط.

ولا يجوز التبادل بين الطاء والصاد أو الضاد لبعد المخارج واختلاف الصفات واختلاف المعنى، فلا يمكن نسبة الصور المتعددة للنطق - هنا - إلى العرب جميعا، ولو كان ذلك على سبيل التطور الصوتى، فمن شروط الإبدال -كما عرفنا- تقارب المخارج أو الصفات بين الأصوات مع اتفاق المعنى بين ما وقع فيه البدل والمبدل منه، وذلك غير متحقق هنا، فالأولى أن يكون ذلك لهجات كما ذكر بعض اللغويين.

الضاد والظاء

من أمثلة ذلك: رجل ظالع: مائل وقيل: إن المائل بالضاد، وفى الحديث: **(أعطى قوما خاف ظلعهم)** بفتح اللام أى ميلهم عن الحق وضعف إيمانهم وأصل الظلع داء فى قوائم الدابة تغمز منه[3] وورد فى اللغة: ضحى -من الأضحية- بالصاد والظاء.

وروى أن رجلا سأل عمر: أيضحى بضبى؟ فقال عمر: وما عليك لو قلت أيضحى بظبى؟ قال الرجل: إنها لغة -بكسر اللام- فقال عمر: انقطع العتاب ولا يضحى بشىء من الوحش[4].

---

(١) الكتاب ٤/ ٤٣٢ وسر الصناعة ١/ ٤٦.

(٢) أى لم ينبت شره.

(٣) النهاية ٣/ ١٥٩.

(٤) المزهر ٢/ ٥٦٣.

وذكر الجاحظ أن جارية تسمى ظمياء كان يناديهـا صاحبها يا ضمياء بالضاد[1].

ومن ذلك: الفيض وهـو الموت ويقال: فاضت نفـسه أى لعابه الـذى يجمع على شفتيه عند خروج روحه، ويقال: فاض الميت بالضاد وروى بالظاء أيضًا.

وقد كـثر ورود الكـلمات بالتناوب بين الضـاد والظاء وشاع إلى حـد أن ألف بعض العلماء كـتبا فـى الألفاظ التى جاءت بالضـاد والظاء ويخشى اللبس بينهـما وقال فى ذلك القاسم بن على الحريرى:

أيهـا الـسـائلى عن الـظاء والضـاد لـكيـلا تضلـه الألفـاظ

إن حفظ الظاءات تعيـيك فاسمعهـا استماع امرىء له استـيقاظ

هى ظمـيـاء والمظالـم والإظلام والظلم والظـبى واللحـاظ[2]

وبين الضاد والظاء بعد فى المخارج فالضاد العربية من جانب اللسان أو من كلا الجـانبين والظاء من طرف الـلسان مع أطراف الثنايا وبـينهمـا فى المخرج حـروف كثيرة: ل -د- ن- ط- د-ت- ص- ز- س، ويزيد على ذلـك عند سيبويه: ج- ش- ى.

ولكن بينهما -مع هذا التـباعد فى المخرج- تقارب فى بعض الصفـات كالجهر والاستعلاء والإطباق والإصمات.

ولكن يبدو أن المعـول عليه فى القول بالإبدال هو المخرج ولذا فـهذا اللون من التناوب بين الضـاد والظاء يرجع -فى الراجح- إلى اخـتلاف اللهـجات والقـول بذلك أولى من التفسير على أنه من الإبدال.

وقد نسبت الضاد والظاء إلى بعض القبـائل العربية، فنسبت الضاد إلى بنى تميم وقضـاعة -فى بعض الكلـمات- ونسبت الظـاء إلى أهل الحجاز وطيـئ. قال ابن سيده: فاضت نفسه: خرجت، تميمية، وفى حديثه عن (اضرورى):

---

(١) البيان والتبين ٢/ ٢١١.

(٢) المزهر ٢/ ٢٨٦.

حكى عن أبى عمرو: (اطروى) بالطاء ورواية أبى زيد (اظروى) وأبو عمرو ثقة وأبو زيد أوثق منه وقد سألت عنه بعض فصحاء الحجاز فوافقوا أبا زيد[1]، ويذكر ابن منظور: أهل الحجاز وطيئ يقولون: فاظت نفسه، وقضاعة وتميم وقيس يقولون: فاضت نفسه مثل فاظت دمعته.

ومما جاء من الشعر فى ذلك ما نسب لرؤبة بن العجاج من تميم:

والأزد أمسى شكوهم لفاظا لا يدفنون منهم من فاظا[2]

وقال قطرى بن الفجاءة من تميم:

فلم أر يوما كان أكثر معقصا يسيح دما من فائظ وكليم[3]

والضاد الشديدة يفضلها التميميون والظاء الرخوة يفضلها الحجازيون.

وبعض العلماء يرى أن العرب ينطقون: فاضت بالضاد إلا بعضهم كبنى ضبة: يقول السيوطى: كل العرب تقول: فاضت نفسه بالضاد إلا بنى ضبة فإنهم يقولون: فاظت بالظاء.

وورد عكس ذلك من نسبة الظاء إلى العرب إلا بعضهم كبنى ضبة أو ناس من تميم ينطقونها بالضاد وقع ذلك فى رواية عن المازنى نقلا عن أبى زيد قال: إن العرب تقول: فاظت نفسه إلا بنى ضبة يقولونه بالضاد[4].

وفى الغريب المصنف: فاظت نفسه تفيظ: مات وناس من بنى تميم يقولون: فاضت نفسه تفيض[5].

وورد اضطراب النسبة إلى قيس فعلى حين نقل عن الفراء نسبة الضاد إلى قيس والظاء إلى طيئ فى فاضت نفسه[6] روى عن أبى زيد وأبى عبيدة نسبة الكلمة بالظاء إلى قيس وبالضاد إلى تميم.

---

(١) المخصص ٥/ ٨٠.
(٢) التهذيب ١٢/ ١٨٠ (فاظ).
(٣) اللسان (فيظ).
(٤) المصدر السابق ٥/ ٣٥٠١ فيض.
(٥) المزهر ٢/ ٢٨٦.
(٦) النهاية ٣/ ٤٨٥.

وقد حاول بعض الكاتبين فى الفرق بين الضاد والظاء أن يوضحوا الفروق المعنوية بين الكلمات التى تقاربت فيها الضاد والظاء، ومن ذلك ما ورد فى حديث وفد تميم، وهو كلمة (أخفضهم) بمعنى: وضع منهم فى قوله (**فلما دخلوا المدينة بهش إليهم النساء والصبيان يبكون وجوههم فأخفضهم ذلك**) قال أبو موسى: أظن الصواب بالحاء المهملة والظاء المعجمة أى أغضبهم[1].

ومن ذلك عظت الحرب بنى تميم فالعض أخذ الشىء بالأسنان والشد بها عليه وبالظاء اشتداد الزمان والحرب.

ويبدو ذلك فى بعض القراءات كقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾ [التكوير: ٢٤].

قرأ زيد بن ثابت وعاصم وأهل الحجاز (بضنين)[2] وهو حسن، وقرأ (بظنين) ابن كثير وأبو عمرو والكسائى[3].

والمعنى مختلف على القراءتين فالضاد على معنى أنه ليس بخيلا، والظاء على أنه ليس متهما على الوحى أو ليس ضعيفا[4].

وأورد ابن جنى فى سر الصناعة:

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خصال كلها لى غائض

أراد: غائظ.

وخرج ابن جنى المثال على وجهين: إبدال الضاد من الظاء أو «يكون غائظ غير بدل ولكنه من غاضه أى: نقصه فيكون معناه: أنه ينقصنى ويتهضمنى[5].

ومعنى البيت يحتمل التخريج الأول والثانى فربما يكون الشاعر من قوم يفضلون الضاد على الظاء وهم التميميون وأضرابهم، وعلى التخريج الثانى يمكن تفسير

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٥٤ (خفض).

(٢) التهذيب ١١/ ٤٦٧، ٤٦٨ (ضنن).

(٣) السبعة لابن مجاهد ٦٧٢.

(٤) حجة القراءات لأبى زرعة ٧٥٢، ومعانى القرآن للفراء ٣/ ٢٤٢، ٢٤٣.

(٥) سر الصناعة ٣/ ٢٢٢.

البيت بأن خصال الصديق تضر بالشاعر وتقضى على بعض حقوقه وتكون الكلمة من غاضه أى نقصه وتهضمه حقه[1] وحينئذ فلا إبدال، وبعض العلماء كان يخرج هذا التناوب على أنه من التصحيف ففى:

أنضج السنبل: إذا رؤى الدقيق فى حبه يقول الأزهرى:

(الذى حفظناه وسمعناه من الثقات نضج السنبل وأنضج والظاء بهذا المعنى تصحيف إلا أن يكون محفوظا عن العرب فتكون لغة من لغاتهم)[2].

الطاء والظاء

من ذلك: مشطت يده تمشط مشطًا وهو أن يمسّ الرجل الشوك والجذع فيدخل فيه يده، ويقال: مشظت يده بالظاء.

قال جرير: **مشاظ قناة دروها لم يقوم**[3].

وقال سحيم بن وثيل الرياحى:

وإن قناتنا مشظٌ شظاها شديد قدّها عتق القرين[4]

وذكر الأزهرى فى الموضع الأول أنهما لغتان.

ومن ذلك: ما أورده ابن جنى: البرطلة (ابن الظل) -ناطور ونواطير ومستنطر قال ابن جنى: إن الظاء لا توجد فى كلام النبط وإذا وقعت فيه قلبوها طاء[5].

وقد ذكرت المعاجم اللغوية أن تلك الكلمات التى استشهد بها ابن جنى غير عربية حقيقة فلا توجد مادة (ن ط ر) فى اللغة العربية وإنما هى ما يقابل مادة (ن ظ ر) وقد فسر ابن جنى البرطلة بقوله (ابن الظل) وذلك لأن الأصمعى يقول:

---

(١) اللسان ٩/ ٦٥، وقد نسب ابن منظور رأى ابن جنى إلى ابن سيده وليس صحيحا لأن ابن جنى هو صاحب الرأى إذ هو المتقدم ولعل ابن منظر نقل ذلك من المحكم دون تأكد من صاحب الرأى.

(٢) التهذيب ٤/ ٤٥٨ (نظج).

(٣) التهذيب ١١/ ٣١٩ (مشط).

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٣٣ (مشظ) وإصلاح المنطق ص ٤٢٠ المشظة: قناة صلبة تمشظ بها يد من يتناولها والقناة: الرمح الأجوف وكل عصا مستوية أو معوجة والقِدّ: الشق والقِدّ السوق والعتق: النجابة.

(٥) سر الصناعة ١/ ٢٣٢.

(بر) ابن والنبط يجعلون الظاء طاء فكأنهم أرادوا ابن الظل والبرطلة: المظلة الصيفية نبطية، وقد استعملت فى لفظ العربية[1] والناطر والناطور من كلام أهل السواد: حافظ الزرع والتمر والكرم قال بعضهم: وليست بعربية محضة[2] وقال الفيروزآبادى: والناطور حافظ الكرم والنخل أعجمى[3] والإبدال لا يتأتى بين الطاء والظاء لاختلاف مخرجيهما إذ بينهما من الحروف: د -ت- ص- ز- س، وبينهما اختلاف فى بعض الصفات فالكلمتان إذًا مستعملتان فى لغتين مختلفتين: عربية ونبطية، ولا إبدال بينهما كما ذكر ابن جنى ولذلك أتى اللفظ على أصله بالظاء المعجمة فى قول الشاعر (أنشده ابن الأعرابى):

وشف فؤادى أن للعذب ناظرا حماه وأنى لا أعيج بمالح[4]

وفى المقارنة بين العربية وأخوتها الساميات نرى أن الطاء حلت محل الظاء فى بعض الكلمات مثل طليل أى ظليل ونطار بمعنى ناظر[5].

وقد سمع من ذلك: بهطنى الأمر وبهظنى ووقيط ووقيظ.

وطلف على الخمسين زاد والظاء لغة فى كل ذلك.

العين والغين

ذكر ابن جنى أن الغين لا تكون بدلا[6] وقد ناقش أمثلة وردت فى اللغة بالعين والغين ولم يجزم بالإبدال فى شىء منها وها هى ذى: لعنى ولغنى ورغنى - ارمعل وارمغل- علث الطعام وغلثه- النشوع والنشوغ.

قبحت من سالفة ومن صدغ كأنها كُثبةُ ضَبٍّ فى صقع

حتى إذا ما هوت كف العلام لها طارت وفى كفه من ريشها بتك[7]

---

(١) اللسان ١٣/ ٥٤.
(٢) اللسان ٧/ ٧١.
(٣) القاموس ٢/ ١٤٤.
(٤) سر الصناعة ١/ ٢٣٣.
(٥) الكنز اللغوى ٢٣٦، ٢٤٩.
(٦) سر الصناعة ١/ ٢٤٧.
(٧) المصدر السابق ١/ ٢٤٧، ٢٤٨، ولسان العرب ١٥/ ٣١٥

وقد تردد ابن جنى فى إثبات الإبدال فى بعض هذه الأمثلة وعبارته تنم عن هذا التردد فتارة يأتى بلفظ (كأن) وتارة أخرى بكلمة (ينبغى) وثالثة ينسب القول بالإبدال إلى غيره فيأتى بكلمة (أراد) أى فلان غيره وهكذا.

قال - فى لعنى ولغنى ورغنى -: ينبغى أن يكون الغين فيه بدلا من العين لسعة العين فى الكلام وكثرتها فى هذا المعنى وقلة الغين[1] وفى (ارمعل وارمغل وعلث الطعام وغلثه والنشوع والنشوغ قال: إنها لغات كلها لاستوائها فى الاطراد والاستعمال، وفى صقغ حكى القول بالإبدال عن أبى محمد بن الحسن بن مقسم -أحد شيوخه- فقال: أراد صقع بالعين فأبدلها غينا، وفى المثال الأخير أوضح ابن جنى أن الغلام بالغين معروف والعلام بالعين الصقر وعلى هذا فلا إبدال لاختلاف المعنى على كل[2].

ونحن نلمح عدم جزمه بالإبدال فى المثالين الأولين وإخلاله بمقياسه -كثرة الشيوع والاستعمال- فى المثال الأول لحكمه بأن كلا من اللفظين لغة على الرغم من أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه، وظاهر أن العلاقة الصوتية بين العين والغين تسوغ التبادل، فكلها حروف حلقية وتتفق العين والغين فى الجهر والانفتاح والإصمات.

ويبدو أن لعنى ولغنى ورغنى لهجات لقبائل عربية فالغين للبدو لميلهم إلى الحروف المجهورة والمستعلية والعين للحضر وهو المشهور فى كتب اللغة، وارمعل وارمغل قد وردا فى القواميس العربية متساويين الاستعمال بألفاظهما ومعانيهما يقال: ارمعل الثوب: ابتل وقيل: كل ما ابتل فقد ارمعل وارمعل الدمع وارمعن: سال فهو مرمعل ومرمعن، وارمعل الشىء: تتابع وقيل: سال فتتابع وارمغل مثله تمامًا فى التصرف السابق[3].

وكذلك علث وغلث -يقال: علث الشىء يعلثه علثا وأعلثه: خلطه وطعام عليث وغليث، ومادة (غلث) على نحو من هذا[4]، ولعل إحداهما ناشئة عن

(١) سر الصناعة ٧/ ٢٤٧.
(٢) المصدر السابق ١/ ٢٤٨.
(٣) لسان العرب ١٣/ ٣١٧ والقاموس المحيط ٣/ ٤٤٦.
(٤) اللسان ٢/ ٤٧٤، ٤٧٨.

الأخرى بطريق التصحيف، والمثالان بعد ذلك عرفت مادة كل منهما بالعين فى القواميس دون الغين، فالنشع انتزاعك الشيء بعنف إلخ.

وورد النشوع والنشوغ بمعنى السعوط والوجور الذى يوجره المريض أو الصبى والسعوط فى الأنف والوجور فى الفم ويقال نشع الطيب شمه[1] ولم يعرف نشغ ومادة صقع معروفة، صقعه كمنعه: ضربه وصقع الديك: صاح وبه الأرض: صرعه والصاقعة: الصاعقة[2] والصقع: ناحية الأرض والبيت[3] ولم تعرف صقغ بالغين.

فالظاهر أن المادتين بالعين، والغين فيهما ناشئة بطريق التصحيف ولذلك تردد ابن سيده فى المثال الثانى (صقغ) فقال: فلا أدرى أهو هرب من الإكفاء أم الغين فى (صقغ) وضع (أى وضع لغوى مسموع) وقد رواها -كذلك- أبو عمرو وقال ابن جنى:

فإذا كان الأمر على ما رواها أبو عمرو فالحال ناطقة بأن فى (صقع) لغتين العين والغين جميعًا وأن يكون إبدال الحرف للحرف.

وهذا تردد من ابن جنى فى قبول صقغ، بالغين إلا أنه أذعن للقبول لأن راويه أبو عمرو وهو من الثقات.

والحقيقة أنه من التصحيف ولا يجرح ذلك ثقة العلماء من أمثال أبى عمرو لأن التصحيف نشأ بعد تدوين اللغة وربما لم يروه أبو عمرو إلا بوجه واحد عرض له التصحيف فيما بعد، ومن الجائز -أيضًا- أن تكون رواية الغين صحيحة وقد حول الشاعر العين غينا لإصلاح الشعر.

وأما النشوغ فالتصحيف ظاهر فيه، ويدل على عجيب أمر التصحيف وغرابته فى مثل ذلك ما رواه ابن جنى فى كلمة (العلام) فى بيت الشعر السابق إذ إن الكلمة بالعين لا غير لأن البيت فى وصف قطاة يطاردها صقر وما قبله وما بعده من

(١) اللسان ١٠/ ٢٣٢.

(٢) القاموس المحيط ٣/ ٥٠.

(٣) اللسان ١٠/ ٧٠.

الأبيات فى وصف الصقر الذى يطارد القطاة، وإذًا فلا معنى لأن تكون الكلمة هنا بالعين إلا أن التصحيف تطرق إليها.

ومن هنا تعجب ابن جنى كيف ترد مثل هذه الكلمة بالغين فى هذا البيت من الشعر وقال: وهذا من طريف الرواية وغريب اللغة[1] وليس بين مادتى (علم) و(غلم) أية مناسبة أو قرب[2].

ومن ذلك الغوهق: الغراب بالعين والغين[3] وذكر مرة أخرى الغيهق بالغين محفوظ صحيح والغيهقة قال الأزهرى[4]: لا أحفظهما لغير الليث ولا أدرى أهى لغة حفظت عن العرب أم العين تصحيف.

والسرغ -بالغين- لغة فى السرع بمعنى الغضب ويقال سروغ الكرم قضبانه الرطبة الواحد سرغ وقال الليث: هى السروع -بالعين، والغين لغة معروفة[5].

جرح نعار: يسيل منه الدم ويقال نغار بالعين والغين، وقد صحتا معا[6].

وفى بطنه معص ومغص قاله بعض الأعراب[7] والغين أصل.

ومنه ممعط وممغط: طويل ولا يبعد أن يكونا لغتين[8].

اللغوس: الذئب واللعوس هو الذئب الحريص على الشىء وأنشد لذى الرمة:

وماء هتكت الليل عنه ولم يرد روايا الفراخ والذئاب اللغاوس

ويروى اللعاوس، ولا ينكر أن تكون العين لغة[9]، وذو الرمة له صلة بتميم لأنهم من قبيلة ذات صلة قرابة بالتميميين[10].

---

(١) سر الصناعة ١/ ٢٤٨.
(٢) القاموس ٤/ ١٣٨، ١٨٢.
(٣) التهذيب ٥/ ٣٨٦، ٣٨٧ (رباعى الغين).
(٤) المصدر السابق ١/ ١٢٤ (عهق).
(٥) المصدر السابق ٨/ ٣٤ (سرع).
(٦) التهذيب ٢/ ٢٦٩، ٨/ ٨١.
(٧) المصدر السابق ٨/ ٣٢ (مغص).
(٨) المصدر السابق ٢/ ١٩٣ (معط).
(٩) المصدر السابق ٢/ ٩٨ (لعس).
(١٠) جمهرة أنساب العرب ٢٠.

والعلاقة الصوتية بين العين والغين -كما ذكرنا- تسوغ التبادل بينهما ولكن السماع هو الذى يجعلنا نحكم بورود الوجهين أو ورود أحدهما ونسبة ذلك إلى بعض القبائل.

العين والقاف

قال الخليل: البالوقة والبالوعة، طوقت له نفسه: لغة فى طوعت بمعنى رخصت وسهلت، وليس بين الصوتين تقارب فى المخرج أو الصفات فالعين حلقية من وسط الحلق والقاف من أقصى اللسان، والعين متوسطة على حين أن القاف شديدة وهذا من قبيل اللهجات.

الغين والقاف

عسّ الليل وغسّ: أظلم، ويقال: قسّ أيضًا.

ولعل ذلك من باب التصحيف والتحريف وذكر صاحب اللسان أن ذلك لغة تميم.

الفاء والقاف

الزحلوفة آثار تزلج الصبيان من فوق إلى أسفل وهى لغة أهل العالية وتميم تقوله بالقاف[1] ونسب ابن السكيت القاف إلى هوازن أيضًا، وابن دريد عكس فنسب القاف للحجاز والفاء لتميم[2].

والقرزوم -بالقاف- الخشبة التى يحذو عليها الحذاء وجمعها قرازيم وقال ابن السكيت: هو الفرزوم بالفاء وفى شعر الطرماح يصف النساء:

إلى الأبطال من سبأ تكمت مناسب منه غير مقرزمات

أى غير لئيمات وهما لغتان[3].

وينقل بعض الباحثين رأى بعض الغربيين وهو: دى كورتنال الذى عرضه سنة

---

(١) التهذيب ٥/ ٣٠٤.

(٢) القلب والإبدال ٦٤، والمزهر ١/ ٥٥٤.

(٣) التهذيب ٩/ ٣٩٩، ٤٠٠.

١٨٩٣م وملخصه أن الأصوات التى فى الحنك تتقدم فى اتجاه مقدم الفم إلى الأسنان والشفتين.

وقرر أن القاف التميمية هى كاف قافية تميمية تطورت إلى الفاء عند أهل العالية.

كما ذكر هذا الباحث أنه يمكن تفسير زحلوفة بالفاء والقاف وفق قانون المغايرة الذى يلجأ إلى تغيير أحد المتماثلين إلى حرف آخر بغية التخفيف فأصل (زحلوفة) وزحلف من (زحّف) -بتضعيف الحاء- فنقلت إلى زحلف- بإبدال إحدى الحاءين لاما للتخفيف -كما أن الكلمة بالقاف أصلها (زلّق) فأبدل مكان إحدى اللامين قافا.

وكلا الرأيين فى نظرنا لا دليل عليه بل إننا نرى أن الإدغام ربما يكون ناشئًا عن تحويل الحروف المختلفة إلى حروف متماثلة وإدغامها طلبا للإسراع فى النطق وعدم تكلف المجهود العضلى[1].

وقانون الأصوات الحنكية مقيد كما يقول (يسبرسن) بأن يلى الصوت المحول صوت اللين الأمامى وهو الكسرة القصيرة أو الطويلة إلى جانب أن القاف والفاء متباعدتان فى الصفات كالجهر والهمس والاستعلاء والاستفال والشدة والرخاوة بخلاف ما حول فى المعاجم.

وعرض هذا الباحث تفسيرًا لنشأة القاف والفاء عن طريق النحت بناء على مذهب ابن فارس فى نحت ما زاد على ثلاثة أحرف من الألفاظ الرباعية والخماسية المجردة فقال: إن زحلف منحوتة من (زحف) و(زلف) أو (زحل) و(زلق) أو إن الكلمة بالفاء والقاف ترجع إلى مادة واحدة هى (زحل) زيدت عليها الفاء عند أهل العالية والقاف عند تميم، ومما يقوى ذلك عنده ورود زحاليل بمعنى زحاليق فظهرت اللام ولكن أصلها (زحل)، وهذا الرأى الذى قال به ابن فارس لم

(١) انظر كتابنا: أصوات اللغة العربية ص ٢٤٢ وما بعده.

وكتابنا: أبنية العربية فى ضوء علم التشكيل الصوتى ص ١٩٠ وما بعدها عن رأى مشابه لهذا فى بعض الصيغ ومناقشته.

يسلم من النقد عند علماء اللغة فقوله بنظرية النحت قول عير مطرد فمعرفة الأصلين للكلمة المنحوتة لم يكن أمرا واضحًا على الدوام بل خفى الأصل الثانى فى معظم الأحيان.

وعند معرفة أصل واحد دون الآخر رأى أن الحرف الذى لم يعرف أصله زيد للمبالغة دون دليل واضح وأحيانًا خفى على ابن فارس معرفة الأصلين معا فقال - حينئذ- إن ذلك مما وضع وضعا وليس منحوتا كالزخرف والخندريس وغير ذلك مما يؤيد ضعف نظريته وضعف ما بنى عليها[1]، ويكفى أن نقول: إنها لهجات دون معرفة أصلها التطورى أو إن ذلك نشأ بطريق التصحيف وقد وضع السيوطى: الزحلوفة والزحلوقة فى باب (معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف)[2].

القاف والكاف

من أمثلة ذلك: كشطت وقشطت ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: ١١] فى قراءة عبد الله (قشطت) بالقاف[3] والمعنى واحد -امتك الفصيل ما فى ضرع أمه وامتق.

وقد عد ابن جنى المثال الأول من اختلاف اللهجات ورجح الإبدال فى الثانى يقول عن الأول: أخبرنى أبو علىّ قراءة عليه عن أبى بكر عن بعض أصحاب يعقوب عنه قال: قال الفراء: قريش تقول كشطت وقيس وتميم تقول قشطت بالقاف وليست القاف فى هذا بدلا من الكاف لأنهما لغتان لأقوام مختلفين[4]، ويقول عن الثانى: الأظهر فيه أن تكون القاف بدلا من الكاف لما ذهب إليه أبو علىّ لأنه قال من هذا أخذ اسم مكة لأنها كالمجرى للماء فهو ينجذب إليها... فقول الجميع مكة ولم يقولوا مقة يقوى أن الكاف هى الأصل[5]، والناظر فى

(١) انظر كتابنا: العربية خصائصها وسماتها ط٤ ص ٣٠٣ وما بعدها.
(٢) المزهر ١/ ٥٣٧.
(٣) وانظر التهذيب ١٠/ ٦، والمعنى: نزعت فطويت.
(٤) سر الصناعة ١/ ٢٧٨، واللسان ٩/ ٢٥٥.
(٥) سر الصناعة ٨/ ٢٧٨، ٢٧٩.

العلاقة الصوتيـة بين الحرفين يراها قوية فكلاهما من أقصى الـلسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويتفقـان فى الانفتاح والإصمات والـهمس -على رأى المحدثين فى القاف بأنهـا مهمـوسة- فلا مـانع من التبادل بينهـما وقد فـضلت تميم القاف لاختيارها للأصوات المستعلية القوية وفضلت الحجاز الكاف لاستفالها ورقتها.

أما تـقدير ابن جنى بأن الكاف أصل فى امـتك اعتـمادا علـى كثرة تـصرفـها واشتقاق مكة منهـا بالمعنى الذى نقله عن أستاذه وبذلك تكون مادتها أكـثر تصرفا من مادة (مق) فغير مسلم له من نواح:

١- أن ما نقله عن أسـتاذه ليس «إلا وجـها واحدا من وجـوه كثيـرة قيلت فى التعليل لتسمية مدينة البيت الحـرام بهذا الاسم (مكة) فقد قيل: سميت بذلك لقلة مائها وذلك أنهم كانوا يمتكون الماء فيها أى يسـتخرجونه وقيل: سميت مكة لأنها كانت تمك من ظلم فيـها وألحد أى: تهلكه[1] ولا صلة للتسميـة الثانية المعلل بها بمعنى امتك الفصـيل ضرع أمه فلا تفضل بذلك (مق) لأن (مق) لهـا معان أخرى غير المعنى المشترك بينهما وهو الامتصاص.

٢- وكما أن (مك) تسـتخدم فى غيـر معنى الامتصـاص كالإهلاك والازدحام كذلك استـعملت (مق) فى معـان أخرى مثل: مققـت الشىء أمقه فتـحته، ومق الرجل على عـيالـه: إذا ضيق عليـهم فـقراً أو بخـلا[2] وبهـذا لا نجد فرقـا فى الاستعمال بين المادتين فلا مانع إذًا أن تكون الكاف مبدلة من القاف أو العكس.

على أننا لو قدرنا القاف هى الأصل لكان أقرب إلى تسهيل النطق إذ من العادة أن الإبدال يكون للتخفـيف والسهولة والكاف أسهل نطقـا من القاف بل إن القاف عندما تنحدر إلى مقدم الفم فى مخرجها تنقلب كافا.

وأيا كان الأمر فإن التبادل بينهما ظاهرة لهجية.

---

(١) اللسان ١٢/ ٣٨٠.

(٢) المصدر السابق ١٢/ ٢٢٣ وإذا كانت هذه المعانى لا تتصـل بالمعنى الأول (الامتصاص) فإن معنى الإهلاك وتفسير مكة عليه (وربيما كان هو المعـقول) لا صلة له أيضًا بالمعنى الأول وإذا كانت له صلة مجازية فإن صلة المعنى الذى رويناه من تضييق الرجل على عياله مـجازية مثل تلك الصلة فى (مك) فلا فرق إذًا بين المادتين انظر: سر الصناعة ١/ ٢٧٩، ولسان العرب فى الموضعين السابقين.

من ذلك: الدمان والدمال -بالفتح وتخفيف الميم- فساد التمر قبل إدراكه حتى يسود.

وفى الحديث: **(كانوا يتبايعون الثمار قبل أن يبدو صلاحها فإذا جاء التقاضى قالوا: أصاب التمر الدمان)**، وإذا طلعت النخلة عن عفن وسواد قيل: أصابها الدمان، النون واللام بمعنى[1].

ومن ذلك: الضميلة أو الضمينة: الزمنة ليُبس وجُسُوّ فى ساقيها ويروى بالصاد مكان الضاد.

وفى حديث معاوية **(أنه خطب إليه رجل بنتا له عرجاء فقال: إنها ضميلة فقال: إنى أريد أن أتشرف بمصاهرتك ولا أريدها للسباق فى الحلبة)**.

ويقول الزمخشرى: إن صحت الرواية بالضاد فاللام بدل النون من الضمانة وإلا فهى بالصاد المهملة[2].

ومن ذلك: العلاك والعلك: شجر ينبت بناحية الحجاز ويروى بالنون وسئل جرير عن منزله ببيشة فقال: سهل دكداك وحمض وعلاك[3].

ويقال: كلاز وكناز لمجتمع الخلق الشديد واكلأزّ: إذا انقبض وتجمع، قال حميد بن ثور:

نحمل الهمَّ كِلازًا جلعدا[4]

ويقال: هتلت السماء وهتنت وسحائب هتّل وهتّن وعُلوان الكتاب وعُنوانه ولهزته ونهزته: دفعته وضربته وأسود حالك وحانك[5].

---

(١) النهاية ٢/ ١٣٥ (دمن).

(٢) المصدر السابق ٣/ ١٠١ (ضمل).

(٣) المصدر السابق ٣/ ٣٩٠ (علك).

(٤) المصدر السابق ٤/ ١٩٦.

(٥) المزهر ١/ ١٦٥.

وذكـر ابن جنى بعض الأمثلـة التى تبدل فـيهـا اللام من النون كـقول النابغـة الذبيانى:

وقـفت فـيـهـا أضـيـلالا أسـائلهـا أعيت جوابا وما فى الربع من أحد[1]

والنون من مـخرج اللام وهو طرف الـلسان مع اللثـة العليـا وبينهمـا الراء فى ترتيب الحروف إلا أنها من مخرجهما[2].

واللام والنون يتـفقان فى جـميع الصفـات وهذا يسوغ التـبادل بينهـما، ولكن الصرفيين جعلوا إبدالهما فى المثال السابق شاذا أو نادرا ولا وجه للشذوذ فيه إذ إنه متـفق مع قوانين الإبدال الصوتية وربما كـان للمخالفـة التى تدعو إلى تغييـر أحد المثلين أثر فى ذلك التبادل وبخاصة أن الحاجزبينهما غير حصين وهو الألف.

ومن الأمـثلة التى أوردها ابن جنى مما يصح فـيـه التبـادل: رعن ورعل (أنف الجبل) خامن وخامل -لعنّ ولعّل- بن وبل- هتنت السماء وهتلت.

والعلاقة بيـن النون واللام قوية تسوغ التبـادل فهما متـحدان مخرجـا وصفة، ولكن ابن جنى جعل لكل من رعل ورعن -وهـو (أنف الجبل)- اشتقـاقا، فرعن بالنون مشتق من الرعن وهو الاضطراب قال الشاعر:

ورحلوها رحلة فيها رعن

أما رعـل باللام فمن الرعـاة والرعيل وهو قطعـة من الخيل، والخـيل توصف بالحركة والسرعة[3] وبذلك يلتقى المعنيـان على سبيل المجاز فهـما أصلان، ورأى ابن جنى فى هذا سديد على أنه لا مانع من التبـادل، وقد حكم بأن هتلت السماء وهتنت وسكـر طبـرزل وطبـرزن أصـلان لأنهـمـا مـتـسـاويان فى التـصـرف والاستعمال[4]، ولا مانع من التبادل -كما ترى- لأن مقياس التصرف غير مؤكد،

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الثانى من الورقة ٦١.

(٢) ينظر سر الصناعة ١/ ٥٠، ٥٢ وأصيلال تصغير أصيل على غير قياس وقيل جمع أصيل على أصلان مثل بعير وبعـران ثم صغروا الجمع فقـالوا: أصيلان ثم أبدلوا من النون لاما فقـالوا: أصيلال والأول أولى. التصريح ٢/ ٣٦٧ والأشمونى ٣/ ٢٨.

(٣) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨٤.

(٤) الخصائص ٢/ ٨٢.

وفى خامل الذكر وخامن قال: النون فيه بدل من اللام ألا ترى أنه أكثر وأن الفعل عليه تصرف وكذلك قولهم: خمل خمولا[1] ولكن الباحث يرى أنه يمكن اشتقاق خامن من مادة (خمن) ولذا يقال: خمان للرمح الضعيف ومن الناس رديئهم والخمن محركة النتن[2] ولهذا صلة بمعنى خامن الذكر فيمكن اشتقاقه منه فلا إبدال بينهما إذًا، ولكن العلاقة الصوتية تسوغ التبادل[3] كما حكم ابن جنى بإبدال النون من لام لعل، وفى بل عمرو وبن عمرو قال ابن جنى: النون بدل من اللام ألا ترى إلى كثرة استعمال بل وقلة استعمال بن والحكم على الأكثر لا على الأقل، هذا هو الظاهر من أمره، ولست مع هذا أدفع أن يكون (بن) لغة قائمة برأسها[4].

وهنا نرى ابن جنى لا يعتمد على مقياس كثرة التصرف والاستعمال ويعتبره أمرًا غير مؤكد وفى كل هذه الأمثلة نقول: إن إحداهما أبدلت من الأخرى فى لغة فريق ويبدو أن اللام من خصائص الحضر والنون من خصائص البدو لميلهم إلى غموض الأصوات على حين يميل الحضريون إلى الأناة وفصل الأصوات والإبانة عنها واضحة جلية:

وقد نسبت النون فى بعض الكلمات لبنى سعد وكلب وباهلة، قال الفراء: والعرب تقول: لابن بمعنى لابل[5]، بنو سعد هم بنو سعد بن قيس عيلان بن مضر، والباهليون هم بعض بنى سعد لأنهم أبناء مالك بن أعصر ابن سعد بن قيس عيلان[6].

وبعض الأعلام الأعجمية جاءت باللام والنون مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وجاءت بالنون كذلك وهى الأصل فى هذه الأعلام، وقد نسبت اللام لكثير من

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٨٤.

(٢) القاموس ٣/ ٤٧٧، ٤/ ٢٥٥.

(٣) لسان العرب ١٣/ ٢٣٤.

(٤) الخصائص ٢/ ٨٤.

(٥) التهذيب ١٥/ ٣٩٤ قال الفراء وهى لغة بنى سعد ولغة كلب قال: وسمعت الباهليين يقولون: لابن بمعنى لابل. لسان العرب١٣/ ٧٣. ويذكر جواد على أن (بن) كانت تستخدم عند أهل اليمن حرف جر بمعنى (من) و(عن) بلغة الشمال وأنها وردت كذلك فى كتابات المسند، المفصل ١/ ١٠٢، ٧/ ١٣٠.

(٦) جمهرة أنساب العرب ٢٤٤، ٤٨١.

اللهجـات كأهل الحجـاز وتميم وقيس وكثـير من أهل نجد والنـون نسبت إلى بنى أسد[1].

ويقال: العلوان لغة فى العنوان[2] ويقول ابن السكيت: حكى عن بعض كلب عنيان الكتاب[3].

الميم والنون

يقال: طانه الله على طينته أى خلقه الله علـى جبلته وطينة الرجل خلقه وأصله مصدر من طان، ويروى طين عليه وطيم بمعنى أى جبل عليه[4].

ويقال: قمح البعير إذا رفع رأسه من الماء بعد الرى ويروى بالنون.

وفى حديث أم زرع: (**أشرب فأنقمح**) أى حتى تروى وترفع رأسها[5].

ومث ونث، ففى حديث عمر (أن رجـلا أتاه يسأله قال: هلكت قال: أهلكت وأنت تمث مث الحميت؟) أى ترشح من السمن ثم يقول: ويروى بالنون[6].

ويتعذر نسبة هذه الكلمة إلى أصحابها.

ويقال للريح الشمالـية مسع ونسع والغيم والغين للسحاب وامـتقع لونه وانتقع والحزن والحزم: ما غلظ من الأرض وأسود قاتم وقاتن[7].

ومما أورده ابن جنى للتـبادل بى الميم والنون: دهنج البـعيـر ودهمج: إذا قارب الخطو وأسرع، بعير دهانج ودهامج وقاتم اللون وقاتن، ففى المثال الأول حكم بأن كلا من الكلمتين أصل بناء على التساوى فى التصرف والاستعمال[8].

وقال: ذهب أبو عمرو الشيبانى فى قول الطرماح:

كطوف متـلى حجـة بين عـبـقب وقـرة مـسـودّ من النسك قـاتن

---

(١) البحر ١/ ٢١٨.
(٢) فى التهذيب لغة غير جيدة ١/ ١١٣.
(٣) القلب والإبدال ٨.
(٤) النهاية ٣/ ١٥٣.
(٥) المصدر السابق ٤/ ١٦ (قمح).
(٦) المصدر السابق ٤/ ٢٩٤ (مقت).
(٧) سر الصناعة الإعراب ١/ ٢١٩، ٢٢٠، والمزهر ١/ ٤٦٨.
(٨) الخصائص ٢/ ٨٣.

إلى أنه أراد قاتم أى أسود فأبدل الميم نونا قال: وقد يمكن غير ما قال وذلك أنه يجوز أن يكون أراد بقوله: قاتن فاعلا من قول الشماخ:

وقد غرقت مغانيها وجادت بدرتها قرى حجن قتين

والقتين: الحقير الضئيل، فإذا كان كذلك لم يكن بدلا[1].

والناظر فى العلاقة بين الميم والنون يرى أن المخارج متباعدة، فالميم حرف شفوى والنون من طرف اللسان مع اللثة العليا وبينهما حروف: ط -د- ت- ص- ز- س- ظ- ذ- ث- ف- ق- وليس هنا ما يدعو إلى انتقال المخرج فلا يسوغ التبادل اللهم إلا إذا اعتبرنا اتحاد الصفات أمرا يدعو إليه ويسوغه بالإضافة إلى وجوه التقارب والشه الأخرى التى ذكرناها سابقًا.

والواقع أن تخريج كل مثال مما سبق على أنه لهجة يستعملها فريق من العرب أمر معقول، وذلك واضح فى المثال الأول وفى المثال الثانى كذلك إلا أنه يجوز فيه أن تكون كل كلمة مشتقة من مادة تختلف عن الأخرى فقاتم من قتم بمعنى أسود على ما نعرف وقاتن من القتن وهو الحقير الضئيل ويكون معنى بيت الطرماح أن المشبه به رجل يطوف بين هذين الصنمين (عبقب وقرة) وأن هذا الرجل مسود من النسك حقير للضرر والجهد الذى يبذله[2].

وهذا ما عناه ابن جنى وهو سديد وعلى هذا فلا إبدال بينهما لاختلاف الاشتقاق.

وأورد ابن جنى أمثلة للتبادل بين النون والميم منها: قنبر -عنبر- قنبلة (قمبر - عمبر- قمبلة)، وقول الشاعر:

يا هال ذات المنطق التمتام وكفك المخضب البنام

---

(١) سر الصناعة الوجه الثانى من الورقة ٨٤.

(٢) اللسان ٢٠٨/١٧ والقتين فى البيت اسم للقراد ويسمى بذلك لقلة دمه أو لقلة طعمه لأنه يقيم المدة الطويلة من الزمان لا يطعم شيئًا وقد جعل الشاعر عرق هذه الناقة قوتا للقراد.

فتبدل الميم من النون إذا وقعت بعدها: باء وهى ساكنة مثل: قنبر -عنبر- قنبلة وإنما قلبت لما وقعت ساكنة قبل الباء من قبل أن الباء أخت الميم وقد أدغمت النون مع الميم نحو: من معك ومن محمد، فلما كانت تدغم النون مع الميم التى هى أخت الباء أرادوا إعلالها أيضًا مع الباء إذ قد أدغموها فى أختها الميم[1].

فوجود الباء فى هذا النوع من الأمثلة استلزم انتقال النون من مخرجها إلى مخرج الباء، وترتب على هذا الانتقال أن استبدل بالنون صوتًا نظيرًا لها فى المخرج الجديد، وأقرب أصوات هذا المخرج الجديد إلى النون هو الميم لأن كلا منهما من الأصوات الشبيهة بأصوات اللين فضلا عن أن النون والميم صوتان أنفيان[2].

وفى هذا يقول ابن جنى: ولما كانت الميم التى هى أقرب إلى الباء من النون لم تدغم فى الباء مثل أقم بكرا لا تقول: أقبكرا ولا فى قم بالله: قبالله كانت النون التى هى من الباء أبعد منها من الميم أجدر بألا يجوز فيها الإدغام فى الباء، فما لم يصلوا إلى إدغام النون فى الباء أعلوها دون إعلال الإدغام فقربوها إلى الباء وهو الميم[3]. وكلمة (البنام) أبدلت فيها الميم من النون لروى الأبيات ولما فيها من الغنة والهُوِىّ، وقد عد هذا الإبدال شاذًا[4] لأن المخارج متباعدة وليس هناك داع لانتقال مخرج الصوت فالميم حرف شفوى والنون من طرف اللسان مع اللثة العليا بيد أنهما متحدان فى جميع الصفات وقد يكون ذلك -مع وجوه الشبه السابقة- مسوغًا لهذا التبادل وقد تكون تلك لهجة بدوية.

قال أبو عمرو: الدمدم: أصول الصليان المحيل فى لغة بنى أسد وفى لغة بنى تميم: الدندن[5].

---

(١) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ٨١.

(٢) الأصوات اللغوية ص ١٣٣.

(٣) سر الصناعة (الأزهر) الوجه الأول من الورقة ٨١.

(٤) لعدم وجود الباء بعد النون وهى متحركة لا ساكنة، الأشمونى ٣١٩/٤.

(٥) التهذيب ٨٢/١٤، والقلب والإبدال لابن السكيت ص٢٢، والصليان: نبت والمحيل الذى أتى عليه حول.

تعقيب:

عـرضنا -بالبحث والتـحليل- ظاهرة الإبدال اللغـوى فى الحروف الصـامتـة، وشرحنا آراء اللغويين القدامى والمحدثين فى أسـباب هذه الظاهرة وسبل علاجها، ورأينا اشتجـار الآراء فى إدخال اللفظ فى نطاقها، أو إخراجـه منها وفق ما ارتأى أصحاب هذه الآراء من أدلة، ووجهات نظر مختلفة.

ومن خلال دراستى لها على أسس ومعايير دقيقة استطعت -بتوفيق الله وعونه- أن أبين وجه الحقيقة فى انتـماء اللفظ إلى الإبدال أو خروجه من دائرته، بالتحليل الواعى المستند إلى الأدلة، والبـراهين العلمية واللغـوية الصحيـحة، واتضح -من خلال البـحث- أن معظم كلمـات هذا النوع ليست من الإبدال، وأنهـا تنتمى إلى بيئات لغوية متعددة، وأن بعضها نشأ نتيجة الحاجة إلى التنوع فى الأصوات لتجدد المعانى، أو لتطورها التاريخى تطورًا صوتيًّا ودلاليًّا.

وبذلك يمكن الحكم الصحيح على هذا العدد الكبير من الكلمات، التى تتنوع صورها اللفظية باختـلاف بعض الحروف فيها وكيفـية ردها إلى أصلها، وبذلك لا تمثل عبئًا على المعجم العربى ويتبين أن العربية ليس فيها فضول، بل هى لغة اللفظ والمعنى على سواء، ويتجلى بذلك أن لغة العرب فيها من الدقة ما لا يتوافر لغيرها من اللغات.

والله ولى التوفيق..

***

ثانيًا: الإبدال فى الحركات

ما له مصطلح لهجى أو لغوى:

ذلك يتنوع بين ما يتصل ببنية الكلمة وما يتعلق ببنائها ونذكر صورًا من ذلك مما له مصطلح لهجى أو لغوى.

الوكم:

هو كسر كاف الخطاب فى الجمع عند فريق من العرب، فالمشهور أن جمهور العرب يضم كاف الخطاب للجمع مطلقًا دون نظر إلى الحرف أو الحركة التى تسبقها.

ولكن ربيعة أو بكر بن وائل يكسرون هذه الكاف إذا سبقت بياء أو كسرة فى مثل (عليكم) و(بكم) وذلك مناسبة للياء أو الكسرة قبلها.

وسيبويه يصف هذه اللهجة بالرداءة فيقول عند الحديث عن كسر الكاف فى (أحلامكم) من قول الشاعر:

وإن قال مولاهم على جُلّ حادث من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا

وإنما كسرت الكاف من (أحلامكم) ونحوه تشبيها لها بهاء (أحلامهم) لأنها أختها فى الإضمار ومناسبة لها فى الهمس وذلك ضعيف لأن أصل الهاء الضم والكسر عارض عليها بخلاف الكاف فحمل الكاف عليها بعيد ضعيف لأنها أبين وأشد[1].

وقد وصفها المبرد بأنها غلط فاحش قال وناس من بكر بن وائل يجرون الكاف مجرى الهاء، إذ كانت مهموسة مثلها. وكانت علامة إضمار كالهاء وذلك غلط فاحش منهم، لأنها لم تشبهها فى الخفاء الذى من أجله جاز ذلك فى الهاء، وإنما ينبغى أن يجرى الحرف مجرى غيره إذا أشبهه فى علته، فيقولون: مررت بكم وينشدون هذا البيت: وإن قال مولاهم... إلخ[2].

(١) الكتاب ٤/ ١٩٧ بتصرف.

(٢) المقتضب ١/ ٢٦٩، ٢٧٠.

وبعض العلماء نسب هذه اللهجة لربيعة وناس من بكر معا، وربما تسرب ذلك من الآرامية والعبرية اللتين كانتا مجاورتين لسكان الطائفتين قريبًا من العراق.

الوهم:

المعروف أن هاء ضمير الغيبة للجمع تكسر إذا كان قبلها ياء أو كسرة فى مثل قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ﴾ [النساء: ١٠٢] وقوله عز وجل ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨] وقوله جل وعلا ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

وتضم الهاء فى غير ذلك كما فى قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣] وقوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

وبنو كلب يكسرون هاء ضمير الجمع الغائب مطلقا سواء سبقت الهاء بياء أو كسرة أو لا فيقولون: فيهم -عنهِم- بينهِم. قال سيبويه: واعلم أن قوما من ربيعة[1] يقولون (منهِم) أتبعوها الكسرة، ولم يكن المسكن حاجزا حصينًا عندهم، وهى لغة رديئة، فإذا فصلت بين الهاء والكسرة فالزم الأصل، لأنك قد تجرى على الأصل ولا حاجز بينهما، فإذا تراخت وكان بينهما حاجز لم تلتق المشابهة، ألا ترى أنك إذا حركت الصاد فقلت: صدق كان من يحقق الصاد أكثر لأن بينهما حركة، وإذا قال مصادر فجعل بينهما حرفا ازداد التحقيق كثرة، فكذلك هذه[2]، وبعضهم -وهم بعض ربيعة أو كلب بن وبرة من قضاعة- يضمون هاء (هم) دائمًا سواء تقدم عليها ياء أو كسرة أو لم يتقدم، وتسمى هذه اللهجة الأخرى بالوهم.

تلتلة بهراء:

هى كسر حرف المضارعة عدا الياء[3]، وهذا فى الأفعال التى زادت على ثلاثة أحرف ومن ذلك ما ذكره ابن فارس فى كتابه الصاحبى، قال فى (باب القول فى اختلاف لغات العرب):

---

(١) هم قوم من كلب انظر المزهر ١/ ٢٢٢.

(٢) الكتاب ٤/ ١٩٦ وانظر المزهر ويسمى الكسر بالوهم ١/ ٢٢٢.

(٣) القاعدة عند أكثر العرب أنهم يفتحون حرف المضارعة فى جميع الأفعال إلا الرباعى منها فإنهم يحركونه بالضم.

«اختلاف لغات العرب من وجوه، أحدها: الاختلاف فى الحركات كقولنا (نستعين) و(يستعين) بفتح النون وكسرها. قال الفراء: هى مفتوحة فى لغة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بالكسر»[1].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قال أبو حيان فى البحر: «وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور وهى لغة الحجاز وهى الفصحى وقرأ عبيد بن عمير الليثى وزيد بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعى والأعمش بكسرها وهى لغة قيس وتميم وأسد وربيعة، وكذلك حكم حرف المضارعة فى هذا الفعل وما أشبهه»[2].

أما فى الثلاثى فإذا كان الفعل أجوف أو ناقصًا أو مضاعفًا أو كان الماضى مكسور العين فلغة غير الحجازيين كسر حرف المضارعة إلا الياء.

يقول سيبويه: «هذا باب ما تكسر فيه أوائل الأفعال المضارعة للأسماء كما كسرت ثانى الحروف[3] حين قلت فعِل وذلك عند جميع العرب إلا أهل الحجاز وذلك قولهم: أنت تِعلم ذاك وأنا إِعلم وهى تِعلم ونحو ذاك، وكذلك كل شىء فيه فعل من بنات الياء والواو التى الياء والواو فيهن لام أو عين والمضاعف وذلك قولك شقيت فأنت تِشقى وخشيت فأنا إخشى، وخلنا فنحن نخال، وعضضن فأنتن تِعضين»[4].

وقال ابن جنى: «وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون تعلمون وتفعلون وتصنعون[5] بكسر أوائل الحروف» وقال ابن منظور فى اللسان: «وتلتلة بهراء كسرهم تاء تفعلون يقولون تعلمون وتشهدون ونحوه»[6].

وعليها جاء قول الشاعر:

لو قلت ما فى قومها لم تيثم ... يفضلها فى حسب وميسم[7]

---

(١) الصاحبى: ٢٨.
(٢) البحر المحيط ١/ ٢٣، ٢٤.
(٣) وذلك للتنبيه على حركة عينه فى الماضى، و(فعل) -فى النص- يضبط بكسر العين.
(٤) الكتاب ٤/ ١١٠ وفى ط بولاق ٢/ ٢٥٦، ٢٥٧.
(٥) الخصائص ٢/ ١١ وسر الصناعة ١/ ٣٣٥.
(٦) اللسان ١/ ٤٤٢.
(٧) شرح التصريح ٢/ ١١٨.

وقال الرضى فى شرح الكافية:

«وكسر حروف المضارعة إلا الياء غير الحجازيين إذا كان الماضى مكسور العين، ويكسرون الياء أيضًا إذا كانت بعدها ياء أخرى»[1].

وذكر أبو حيان أن أبا عمرو قرأ ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود:١١٣] بكسر التاء على لغة تميم[2] ويقول ابن جنى: فى تخريج قراءة ﴿فَتَمَسَّكُمُ﴾ بكسر التاء: «وهذه لغة تميم أن تكسر أول مضارع ما يأتى ماضيه مكسور العين نحو علمت تِعلم وأنا إِعلم وهى تِعلم ونحن نِركب وتقل الكسرة فى الياء نحو يعِلم ويِركب استثقالاً للكسرة فى الياء وكذلك ما فى أول ماضيه همزة وصل نحو ينطلق ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦][3] فكذلك فتِمسكم النار».

وقال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠] قرأ الجمهور (أعهد) -بفتح الهمزة والهاء- وقرأ طلحة والهذيل بن شرحبيل الكوفى بكسر الهمزة قال صاحب اللوامع: وهذا الكسر فى النون والتاء أكثر من بين حروف المضارعة يعنى نعهد وتعهد، وقال ابن عطية: وقرأ الهذيل بن وثاب (ألم إعهد) بكسر الهمزة وفتح الهاء وهى لغة من كسر أول المضارع سوى الياء[4].

وفى الحديث: كأنك وهمت؟ قال: وكيف لا إيهم فالأصل: أوهم -بالفتح والواو- فكسروا الهمزة لأن قوما من العرب يكسرون مستقبل فعِل -بكسر العين- مثل إِعلم ونِعلم وتِعلم فلما كسروا همزة (أوهم) انقلبت الواو ياء[5] ومن هذه النصوص فهمنا أن المضارع المبدوء بالياء لا يكسر لثقل الياء والكسرة فهو مفتوح فى الثلاثى وغيره عند العرب جميعًا، إلا إذا توالت الياءات فقد سمع الكسر مثل ييجل مضارع وجل.

---

(١) شرح الكافية ٢/٢٢٨ ونسب هذا الكسر فى الياء إلى بعض بنى كلب يقولون: هل يعلم. البحر ٧/٣٤٣.

(٢) البحر ٥/٢٦٩.

(٣) المحتسب ١/ ٣٣٠.

(٤) البحر المحيط ٧/ ٣٤٣.

(٥) النهاية ٥/ ٢٣٤.

كما أننا علمنا كذلك من كتب اللغة فتح أوائل المضارع عند الحجاز لا فرق فى ذلك بين الهمزة أو التاء أو النون ولا بين الثلاثى وغيره، ويدخل فى ذلك فتح الهمزة فى (أعهد) التى نقلنا تفسيرها عن البحر المحيط وكذلك فتح همزة (أخال) فى قول العباس بن مرادس:

قد كان قومك يحسبونك سيدا وأخال أنك سيد معيون[1]

وقول زهير:

وما أدرى ولست أخال أدرى أقوم آل حصن أم نساء[2]

وبعض اللغويين عكس الأمر فى الفعل (أخال) فنسب الكسر للحجاز والفتح لغيرهم.

وبعضهم قصر التلتلة على كسر التاء فقط، ولكن كتب اللغة تنطق بخلاف ذلك وأن الأمر شائع فى غير الياء. وهى شائعة فى قبائل وسط الجزيرة وشرقيها كأسد وتميم وقيس وإن اشتهرت نسبتها إلى بهراء التى هى بطن من تميم أو من قضاعة[3].

وقد فشت نسبتها إلى قبائل أخرى من أهل الحجاز وغيرهم فيذكر ابن عطية أن ذلك نسب إلى قريش عند شرح قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**﴾ [آل عمران: ٧٥] وقد ذكر أن (تأمنه) بكسر التاء لغة قرشية[4]، ويذكر أبو حيان أنها لغة فاشية فى العرب كقيس وتميم وأسد وربيعة وهذيل[5] وفى اللسان: وتقول: أنت تَتقى الله وتِتقى الله على لغة من قال: تعلم وتعلم بفتح التاء وكسرها وتعلم بالكسر لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب، أما أهل الحجاز وقوم من أعجاز هوازن وأزد السراة وبعض هذيل فيقولون: تَعلم بفتح التاء والقرآن عليها[6].

---

(١) لسان العرب (خال).
(٢) شرح ديوان زهير ص٧٣.
(٣) جمهرة أنساب العرب وخزانة الأدب ٤/ ٤٩٥، ٤٩٦ وصفة جزيرة العرب ص١٣٢.
(٤) البحر ٢/ ٤٩٩.
(٥) البحر ١/ ٢٣، ٢٤.
(٦) اللسان ١/ ١٤١، ٤/ ٤٩٣.

وفى المخصص أنها لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز، وكذلك ذكر سيبويه[1] ويذكر السيوطى فى نستعين ونحوه أن الفتح لغة قريش وأسد، وغيرهم يكسرها[2].

وهذا يؤكد انتشار الكسر فى قبائل كثيرة على سبيل التأثر والتأثير وإلا فالمشهور أن الكسر فى حروف المضارعة عند أرباب البادية من القبائل المشار إليها، فبهراء من قضاعة كانوا يقطنون ناحية الشام قريبًا من العراق[3] وربيعة مسكنها الحيرة وأسد بن ربيعة كانت تسكن قبل الكوفة بخمس مراحل[4] وتميم من قبائل شرقى الجزيرة بالقرب من العراق وهذيل من سكان الحجاز[5] وهذه القبائل بدوية -كما نرى من البيئة التى تعيش فيها ما عدا هذيل المضرية- وقد فسر الدكتور أنيس ميل بعض قبائل المدن إلى كسر حرف المضارعة بأن «بعض القبائل التى تأثرت بحياة الحضر قد آثرت صوت اللين الأمامى الذى نسميه الكسرة»[6] وحاول أن يفسر وجود تلك الظاهرة عند قبيلة بهراء بهذا المعنى فقد تأثرت لغتها بما فى الشام من لغات كالآرامية والعبرية لوضوح كسر حرف المضارعة باطراد فيهما.

والواقع أن ذلك ليس أمرًا مؤكدًا ولا مانع من تأثر بعض قبائل المدن بما انتشر عند إخوانهم العرب فى البوادى فهم على صلة بهم يلاقونهم ويتعاملون معهم[7].

ويرى بعض الباحثين أن (هذه الظاهرة سامية قديمة توجد فى العبرية والسريانية والحبشية) وزعم أن الفتح فى أحرف المضارعة حادث فى العربية القديمة بدليل عدم وجوده فى اللغات السامية الأخرى وبدليل ما بقى من الكسر فى بعض اللهجات العربية القديمة واستمراره فى اللهجات الحديثة كلها ولم يبق فتح حرف المضارعة فى اللهجات الحديثة فيما يعلم هذا الكاتب إلا فى لهجة نجد[8].

---

(١) المخصص ٤/٢١٦، ٢١٧.
(٢) المزهر ١/٢١١.
(٣) صفة جزيرة العرب ص١٣٢.
(٤) البحر ١/٢٣.
(٥) صفة جزيرة العرب ص ١٣١.
(٦) فى اللهجات العربية ص٧٤.
(٧) كسر حرف المضارعة منتشر فى لهجاتنا العامية.
(٨) فصول فى فقه العربية ص ١٢٥.

ونسى هذا الباحث أن العربية هى اللغة السامية التى بقيت فى الجزيرة بعد هجرة أخواتها الساميات فالفتح ليس حادثا فيها بل إنه الأصل والكسر هو الذى حدث بعد اختلاط الساميين بغيرهم.

التخفيف فى بعض اللهجات

- بالإتباع.
- بالإسكان (أو حذف الصوائت).
- باجتماع التغيير والحذف.
- السكون والحركة فى الصوامت الحلقية.

أولاً: بالإتباع:

فاء فعيل وفعل

يميل التميميون[1] إلى كسر فاء فِعيل -بكسر العين- إذا كانت عينه حرفًا حلقيًا مثل شعير وبخيل ولئيم وشهيد ورغيف، وكذلك ما كان على وزن فعِل بكسر العين وهو حلقيها مثل فخِذ وضحِك ولعِب ووهِم، وقرأ أبو السمال: ﴿**أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ**﴾ [المائدة: ١] بكسر باء بهيمة[2]، فالتميميون يتبعون الفاء للعين فى حركتها إذا كانت حلقية مكسورة[3] وسواء كان ذلك فى اسم أو فعل.

ونقل عن تميم إتباع الفاء للعين فى فعِيل ولو لم تكن العين حرف حلق يقول ابن مكى: (وزعم الليث أن من العرب قوما يقولون فى كل ما كان على فعيل فِعيل -بكسر أوله- وإن لم يكن حرف حلق فيقولون: كِثير وكِبير وخِليل وما أشبه ذلك)[4].

---

(١) تنسب أحيانًا بلفظ سفلى مضر (وهم بنو تميم ومن يجاورهم من سكان نجد) وتنسب إلى قيس وأسد وتميم، التهذيب ٧/ ١٢٢.

(٢) سورة المائدة الآية (١) ومختصر شواذ القرآن لابن خالويه: ٣١.

(٣) الكتاب ٤/ ١٠٧، ١٠٨.

(٤) تثقيف اللسان ص ٢٢٥، ٢٢٦.

ويقول ابن منظور:

«لغة تميم شِهيد -بكسر الشين- يكسرون فعيلا فى كل شىء كان ثانيه أحد حروف الحلق وكذلك سفلى مضر يقولون فِعيلا أى بالكسر، قال: ولغة شنعاء يكسرون كل فعيل، والنصب اللغة العالية[1] وعلل سيبويه لعدم تأثير الفاء فى العين بقوله: «ولم تفتح هى أنفسها هنا[2] لأنه ليس فى الكلام فعيل بفتح الفاء والعين وكراهية أن يلتبس فعِل بكسر العين بفعَل بفتحها فيخرج من هذه الحروف فعِل بكسر العين، فلزمها الكسر ههنا، وكان أقرب الأشياء إلى الفتح وكانت من الحروف التى تقع الفتحة قبلها»[3].

وقد جعل ابن جنى إيثار الكسر فى شعير ورغيف ونحوهما ضربا من تقريب الصوت من الصوت فسلكه فى باب الإدغام الأصغر ولكنه صرح بأنه أكثر ما يكون ذلك مع حروف الحلق فقال: ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو شعير وبعير ورغيف وسمعت الشجرى غير مرة يقول: زِئير الأسد يريد الزئير، وحكى أبو زيد عنهم: (الجنة لمن خاف وِعيد الله) بكسر الواو فى وعيد وفى النِّقيذ، شبهت القاف بالخاء لقربها منها فيما حكاه أبو الحسن، كما شبهت الخاء والغين بحروف الفم حتى أخفيت النون معهما فى بعض اللغات وهذا فى فعيل مما عينه حلقية مطرد وكذلك فعل بكسر العين نحو نغِر ومحِك وضحِك و﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم﴾ [البقرة: ٥٨][4] ولا يقول على هذا فى ظَرِيف ظِرِيف ولا فى قَتيل قِتيل بكسر الفاء لأنه لا حرف حلق فيه)[5].

والانسجام الصوتى بتتابع الحركات تتطلبه السرعة فى النطق التى هى من خصائص أهل البادية ولذا نسبت هذه اللهجة إلى بنى تميم على أنه لون من التخفيف والتفريع[6].

وهذه الظاهرة تتحقق فى الأسماء والصفات والأفعال: فالأسماء مثل بعير والصفات مثل شهيد والأفعال مثل مخض فإذا أرادت الناقة أن تضع قيل: مخضت

(١) اللسان (شهد) وانظر التهذيب ٢/ ٣٧٧ حيث قال: الفتح أفصح اللغتين.
(٢) يقصد بعض حروف الحلق.
(٣) الكتاب ٤/ ١٠٧، ١٠٨.
(٤) الخصائص ١/ ١٤٣، ٢/ ٣٣٦.
(٥) المنصف ٢/ ٢٢٤.
(٦) فقه اللغة د. نجا ٤/ ٣١.

وعامة قيس وتميم وأسد يقولون: مـخضت بكسر الميم ويفعلون ذلك فى كل حرف كان قبل أحد حروف الحلق فى (فعلت) وفى فعـيل (يقولون): بِعير وزِئير وشِهيق ونِهلت الإبل وسجرت منه[1].

صور من الإتباع

ومن الإتباع ما يذكره اللغويون ـعن بعض العربـ فى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١] ولذلك صور هى:

١- إتباع الدال للام فى الكسـر: الحمدِ لِله (قرأ بها الحـسن) فمن خفض الدال قال: هذه كلـمة كثـرت على ألسنة العرب حـتى صارت كـالاسم الواحد، فـثقل عليهم أن يجـتمع فى اسم واحد من كـلامهم ضمة بعـدها كسرة أو كسـرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان فى الاسم الواحد مثل (إبل) فكسروا ليكون على المثال من أسمائهم[2].

وقال الزجاج: «لا يلتفت إلى هذه اللغـة ولا يعبأ بها»[3] ويعلل الأخفش لهذا الإتبـاع بقوله: «قـال بعض العرب (الحـمدِ لِلـه) فكسره، وذلك أنه جـعله بمنزلة الأسماء التى ليست بمتمكنة، وذلك أن الأسمـاء التى ليست بمتمكنة تحرك أواخرها حركة واحدة لا تزول عنها»[4].

وهذه لهجة لبنى تميم ونسبت إلى بعض غطفان[5].

٢- إتباع اللام لضـمة الدال: (الحمـدُ لُله) (قرأ بها إبراهيم بن أبى عـبلة) قال الفراء: أمـا الذين رفعـوا اللام فإنهم أرادوا المثال الآخـر من أسمـاء العرب الذى يجتمع فيه الضـمتان مثل: الحلم والعقب[6]، وقال الزجاج: من قرأ: الحمدُ لُله، أى برفع اللام إتبـاعا لحركـة الدال فى غير القـرآن فهى لغـة رديئة[7] وهذه اللغة لبعض ربيعة[8] وأصحاب هذه اللهجات من البدو[9].

---

(١) التهذيب: ٧/ ١٢٢.
(٢) معانى القرآن للفراء ١/ ٣.
(٣) اللسان: حمد.
(٤) معانى القرآن للأخفش ١/ ٩.
(٥) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس.
(٦) إعراب ثلاثين سورة: ص ١٩.
(٧) اللسان: حمد.
(٨) إعراب القرآن لأبى جعفر النحاس.
(٩) إعراب ثلاثين سورة: ص ١٩.

٣- والقراءة المشهورة هى (الحمدُ لِله) برفع الدال وكسر اللام، قرأ بها الجمهور وقال ابن خالويه بعد أن ذكر صور القراءات فى هذه الآية: لا يقرأ بشىء من ذلك إلا بما عليه كل الناس فى كل مصر (الحمدُ لِله) بضم الدال وكسر اللام[١].

٤- وهناك قراءة أخرى: (الحمدَ لِله) بنصب الدال، وعليها فالحمد ليس باسم إنما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول: أحمدُ الله، فإذا صلح مكان المصدر (فعل أو يفعل) جاز فيه النصب، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ** ﴾ [محمد: ٤] يصلح مكانها فى مثله من الكلام أن تقول: فاضربوا الرقاب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ** ﴾ [يوسف: ٧٩] يصلح أن تقول فى مثله من الكلام: نعوذ بالله ومنه قول العرب: سقيًا لك ورعيًا، يجوز مكانه: سقاك الله ورعاك[٢].

وقال أبو حيان -فى النهر الماد- قرئ بالنصب على إضمار فعل، قيل من لفظه، تقديره: حمِدت الحمدَ لله، فتخصص الحمد تخصيص فاعله وأشعر بالتجدد والحدوث، ويكون من المصادر التى حذف فعلها وأقيمت مقامه، وذلك فى الاختيار نحو قولهم شكرًا لا نكرًا وقيل التقدير: اقرأوا الحمدَ لله أو الزموا الحمدَ لله.

واللام فى قراءة الرفع للاستحقاق، وفى قراءة النصب للتبيين فيتعلق بمحذوف تقديره: لله أعنى نحو قولهم: سقيًا لزيد[٣]، و(الحمد لله) فى الوجهين الأولين -بالإتباع- عده ابن جنى من باب تقريب الصوت من الصوت فيقول: وجميع ما هذه حاله مما قرب فيه الصوت من الصوت[٤].

والاتباع كثير من هذا النوع مثل: أنا أجوءك وأنبؤك وهو منحدر من الجبل -بضم الميم والدال-[٥].

---

(١) المصدر السابق: ص ١٩.

(٢) معانى القرآن للفراء: ١/ ٣.

(٣) النهر الماد على البحر المحيط ١/ ١٨.

(٤) الخصائص ٢/ ١٤٥.

(٥) المصدر السابق ٢/ ١٤٣.

فهذا لون من تجانس الصوت وانسجامه يؤدى إلى الإسراع والخفة فى النطق وقد ضعف ابن جنى الإتباع بكسر الدال وقراءة أبى جعفر فى قوله تعالى: ﴿لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ [البقرة: ٣٤] بضم التاء فى الملائكة مع أنها مجرورة تبعًا لضمة الجيم بعدها إذ الحاجز غير حصين لخلل ذلك بالإعراب.

ومن أمثلة الإتباع قراءة أبى السمّال ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ [المزمل: ٢][1] بضم الميم إتباعا لضمة القاف وهى لغة بلعنبر وكذلك:

اضرب الساقين إمك هابل

بكسر همزة (أم) المضمومة إتباعا لكسرة النون قبلها.

ومن ذلك يتضح أن الإتباع تارة يكون للأول وأخرى يكون للثانى وهذا اللون من الانسجام وتأثر الأصوات اعترف به اللغويون المحدثون وأطلقوا على كل من قسميه اسمًا خاصاً فإذا تأثر الصوت الأول بالصوت الثانى سمى تأثرا رجعياً وإذا تأثر الثانى بالأول سمى تأثرا تقدمياً ويلاحظ أن هذا التقريب فى نطق الأصوات قد أثر عن أهل البادية كنجران[2] وبلعنبر وأزد شنوءة[3] إذ إنه يساعد على سهولة إخراج بعض الأصوات وقلة المجهود العضلى، وهذا بخلاف أهل المدن الذين يعمدون إلى إيضاح الأصوات وفصل كل منها عن الآخر.

ثانيًا: بالإسكان (أو حذف الصوائت) واجتماع التغيير والحذف:

يسكن بعض العرب كبنى تميم وغيرهم المتحرك فى بعض الأوزان المستعملة فى الأسماء والأفعال رغبة فى التخفيف ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن جنى فى بعض كتبه:

١- ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة: ١٠] بسكون الراء.

٢- فى قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأنبياء: ٩٥] قرأ ابن عباس بخلاف (وحرم) بفتح الحاء وسكون الراء والتنوين ويخرج ابن جنى القراءة فيقول:

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٧٢.

(٢) حكى أبو عمرو أن أهل نجران يقولون فى ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١]، يجرون الميم والنون. المحتسب ١/ ٢٨٣.

(٣) البحر: ١/ ١٥٢.

وأما (حَـرْم) بفتح الحاء وتسكين الراء فـمخفف مـن حرم على لغة بنى تميم فـهو كبَطْر من بطِر وفَـخْذ من فخِـذ وكِلْمة من كَلِمة بسكون الثـانى فى الكلمة الأولى وكسره فى الثانية[1].

٣- وفى باب الساكن والمتـحرك فى الخصـائص يذكر من المتـحرك الذى أسكن وهو متصـل «ما كان ثلاثيّاً مضـموم الثانى أو مكسوره فـلك فيه الإسكان تخفـيفًا وذلك كقـولك فى عِلم علْم وفى ظرُف قد ظرْف وفى رجُل رجْـل وفى كبد كـبد بتحريك الحـرف الثانى من الكلمة الأولى وسكونه فى الثانية، وسمـعت الشجرى وذكر طعنة فى كتف فقال الكتفية بفتح الكاف وسكون التاء»[2].

٤- قـرأ أبو الحسن بخـلاف وأبو رجاء ومـجاهد فـيمـا روى عنه ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] قال أبو الفتح: أما فـنظْرة بسكون الظاء فسكنه للتخفيف من نظِرة كقولهم فى كَلِمـة كلْمة وفى كبِد كبْد بتحـريك الحرف الثانى فى الكلمة الأولى وتسكينه فى الثانية لغة تميمية[3].

٥- وبنو تميم يقولـون كِلْمة وكِلَم ككِسْرة وكِـسَر[4] والصيـغة الحجـازية بفتح الكاف وكسر اللام[5] وعند بنى تميم تخفف بإسكان اللام كِسدْرة[6] وفى لغة ثالثة بفتح الكاف وسكون اللام يقول الأشمـونى: «ومنها ثلاث لغات: كِلمة على وزن نِبقة وكلْمة على وزن سدرة وكَلْمة على وزن تمرة»[7].

والأعلى هى الحجازية وقرئ بلهجة تميـم فى القراءات الشاذة كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] قـرأ أبو السمّال: كِلْمة[8] وكذلك قوله تعالى ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦] قرأ أحمد بن موسى كِلمة[9] بكسر الكاف وسكون اللام.

---

(١) المحتسب ٢/ ٦٥، ٦٦.
(٢) الخصائص ٢/ ٣٣٨.
(٣) المحتسب ١/ ١٤٣.
(٤) الخصائص ١/ ٢٦.
(٥) تاج العروس ٩/ ٤٩.
(٦) المصباح ٣٩.
(٧) شرح الأشمونى ١/ ١٠.
(٨) آل عمران ٦٤، وانظر: مختصر شواذ القرآن ٢١.
(٩) مختصر شواذ القرآن ٦٨.

٦- وعند تخريج ابن جنى لقراءة الحسن ﴿عَضُدَكَ﴾ [القصص: ٣٥] يقول: «فيها خمس لغات ضم الضاد وتسكينها مع فتح العين وضمها وكسر الضاد مع فتح العين وأفصحها وأعلاها عضد بوزن رجل وعضد مسكن الضاد مع فتح العين وعضد منقول الضمة من الضاد إلى العين وعضد بالضمتين جميعًا كأنه تثقيل عضد بضم العين وسكون الضاد وقد شاع عنهم نحو ذلك كقولهم فى تكسير أحمر: حمر بضمتين إلخ[١].

٧- روى عن الحسن أنه قرأ ﴿الْحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧] بكسر الحاء ووقف الباء قال ابن جنى: وأما الحبك فمخفف منه (أى من الحبك) كإبل وإطل بسكون الحرف الثانى فى إبل وإطل[٢].

٨- روى ابن جنى عن ابن مجاهد قال: قال ابن عباس: سألت أبا عمرو عن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ [البقرة: ١٢٩] فقال: أهل الحجاز يقولون: يعلمهم ويلعنهم ولغة تميم يعلمهم ويلعنهم بسكون آخر الفعل ومثله:

فاليوم أشرب غير مستحقب إثمًا من الله ولا واغل[٣]

تأبى قضاعة أن تعرف لكم نسبا وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

وقد كثر إسكان الياء فى موضع النصب كقوله:

يا دار هند عفت إلا أثافيها

وهو كثير جداً وشبهت الواو فى ذلك بالياء كما شبهت الياء بالألف قال الأخطل:

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها نزلن وأنزلن القطين المولدا

ومثل ذلك كثير، وعليه قراءة ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] بإسكان الهمزة[٤].

---

(١) المحتسب ٢/ ١٥٢.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٨٦، ٢٨٧.
(٣) المصدر السابق ١/ ١٠٩، ١١٠، ٢٠٥، ٢/ ٦٧.
(٤) الخصائص ٢/ ٣٤٠- ٣٤٣.

٩- قرئ ﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] بكسر السين ساكنة الجيم خفيفة اللام -وقد قرر ابن جنى أن إسكان الجيم فى (السجل) بعد حذف حركتها وتخفيف اللام لغة لأهل مكة- وذكر أن إسكان الراء فى (مرض) لغة[١] كما صرح فى نظير لها وهو قراءة (حرم) بإسكان الراء بأنها لغة تميمية كما يقولون فى رسُل رسْل وكتُب كتْب[٢] بإسكان الحرف الثانى ويبدو أن بنى تميم ومن على شاكلتهم يحسون ثقلا فى هذه الأوزان فى مجال الأسماء وما يشبه بعضها من الأفعال (فَعِل -فَعُل) -بفتح الفاء مع كسر العين وضمها-، و(فُعُل) بضم الفاء والعين، و(فِعِل) بكسر الفاء والعين، فيلجأون إلى تخفيفها لأنهم يميلون إلى الانسجام الصوتى بعيدًا عن تنوع الحركات وتجاورها، فقد كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم من المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخف عليهم فكرهوا أن ينتقلوا من الأخف إلى الأثقل، وكذلك كرهوا الضمة بعد الفتحة فيما كان على (فَعَل) بفتح الفاء والعين، ويكرهون تتابع الضمتين كالواوين، وتتابع الكسرتين تتابع الياءين، وكرهوا الكسرة بعد الضمة كما يكرهون الياء مع الواو فى مواضع[٣].

فالوزن (فَعِل) بفتح الفاء وكسر العين إذا كان حلقى العين فالمشهور عنهم -كما يقول أستاذنا الدكتور نجا- «تخفيفه وتفريعه بإسكان عينه مع بقاء حركة الفاء فيصير فَعْلا أو إسكان عينه بعد نقل حركتها إلى الفاء وذهاب حركة الفاء فيصير فِعْلا ويتجه فريق منهم إلى بقاء حركة العين ولكنهم يتبعون حركة الفاء لها فيصير فِعِلا وإن كان غير حلقى العين اقتصروا فى تخفيفه على الوجهين الأولين ككتف يقولون فيه كَتْف وكِتْف بإسكان التاء مع فتح الكاف وكسرها وفَعُل كعضُد وفُعُل كحُرُم وعنُق وفِعِل كإبِل يقتصرون فيهما على الوجه الأول ولا تزال بعض هذه اللهجات موجودة فى بعض جهات جمهورية مصر العربية[٤]، ولكن الحجازيين ينطقون بتلك الكلمات دون تغيير ولا يعبأون بثقل أو خفة، وفى بعض صيغ

(١) المحتسب ١/ ٥٣، ٥٤.

(٢) المصدر السابق ١/ ٢٠٥.

(٣) الكتاب ٤/ ١١٤.

(٤) اللهجات العربية د. نجا ص ٥٩ وفقه اللغة له ص ٣٠، ٣١.

الأفعال مثل ظـرف وكرم وعلم والمبنى للمجهول يحدث هذا التـخفيف عندهم لما ذكرنا.

وفى النص السابق كـقراءة ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] بإسكان الميم مـا يفيد اعترافـه بنسبة ذلك إلى تميم وهم للتـخفيف يسكنون أواخر الكلمـات التى تتوالى فيهـا الحركات كمـا فى اشرب ـتعرفـ أثافىـ ويحـسب بعض العلماء ذلك من ضرورات الشعر إلا أن الثابت عن الثقات أنه سائغ فى حال السعة لأنه لغة[١].

***

ومن التخفيف: تسكين شين عشرة ـحـال التركيبـ فى لغة الحجاز، وجاءت عليها قراءة ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠] ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

وهذا فى لفظ عشرة ومـا تركب معه إلى تسع عشرة إذا كـان فى التأنيث، وقد سكنوا العين لما طال الاسم وكثـرت الحركة[٢] وقد ورد فـيها كسـر الشين فيـقال (عشِرة) عند بنى تميم، وبها وردت بعض القراءات.

قال أبو حـيان: قرأ الجـمهور (عـشْرة) بسكون الشـين، وقرأ مجـاهد وطلحة وعيسـى ويحيى بن أبى وثاب وابن أبى ليلى ويزيد بكسز الشـين وروى ذلك نعيم السعدى عن أبى عمرو ـمشهـور عنه الإسكانـ وتقدم أنها لغة تميم، وكسرها لها نادر فى قياسهم، لأنهم يخففـون فَعِلا يقولون فى نمر: نمر -بإسكان الميم مع فتح النون وكسرها[٣].

فسبيلهم التـخفيف، ولغة أهل الحجاز (عشْرة) وسبـيلهم التثقيل[٤]، فبنو تميم يفتحـون العين ويكسرون الشـين ويجعلونها بمنزلة (كَلِمة) وأهل الحـجاز يسكنون الشين ويجعلونهـا بمنزلة (ضربة) وهذا عكس ما عليه لغـة أهل الحجاز وبنى تميم، لأن الحجاز فى غير العدد يكسرون الثانى، وبنو تميم يسكنون.

---

(١) الضرائر ص ٧٠.

(٢) شرح الأشمونى ٤/ ٦٧ والمزهر ٢/ ٢٧٥، وشرح المفصل ٦/ ٢٧.

(٣) البحر المحيط ١/ ٢٢٩.

(٤) إعراب القرآن للنحاس.

فيقـول الحجازيون: نبِقة وفـخِذ ويقول التميـميون: نبقة وفـخذ بالسكون فلما ركب الاسمان فى العدد استحال الوضع، فقال بنو تميم: إحدى عشِرة وثنتا عشِرة إلى تسع عشِرة ـأى بكسـر الشين ـ وقال الحجازيون: عـشْرة بسكونها[1]. ونسب الكسر ـكـذلك ـ إلى أهل نجد، وهو أوسع من تميم، أو يعبـر بها عن سكان هذه المنطقة لأنها أكبرها.

وفى فائدة ذكـرها السيوطى فى الإتقان نقـلاً عن كتاب (تحفـة الأقران فيمـا قرئ بالتثليث فى القرآن) فى قوله تعالى: ﴿اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠] قرئ بسكون الشين، وهى لغة تميم وكسرها وهى لغة الحـجاز، وفتحها وهى لغة[2] فنسب الكسر للحجاز والتسكين لتميم وهو عكس المشـهور المعروف فى ذلك، وكتب النحو واللغة تجمع على أن الأفصح التسكين، وهو لغة الحجاز هذا فيما كان فيه لفظ عشر مؤنثًا.

ورويت فـيه لغـة أخـرى وهى فتح الشـين وقـرأ بها ابـن المفضل الأنصـارى والأعمش وروى عن الأعمش الإسكان والكسر أيضًا. قال الزمخشرى: الفتح لغة وقال ابن عطية: هى لغة ضعيفة، وقال المهدوى: فتح الشين غير معروف ويحتمل أن تكون لغة[3]، وينسب بعضهم الفتح إلى بنى تميم[4]. أما إذا استعمل لفظ عشر مركبًـا للمذكر فالشين مفـتوحة، وقد تسكن عين عـشر فيقال (أحد عـشر) وكذا أخواته إلى (تسعة عشر) لتوالى الحركات، وبها قرأ أبو جعفر، وقرأ هبيرة صاحب حفص ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦] وفـيها جـمع بين ساكنين[5]، واستثنى بعضهم (اثنى عشر) فإن العين لا تسكن لسكون الألف والياء قبلها[6].

وهذا التخـفيف وإن لم ينطبق على أهـل مكة والحجاز بعـامة لأنهم حـضريون (فلعلهم تركـوا لهجتهـم ومالوا إلى التخـفيف فى كلمة (السـجل) وعشرة المركـبة وبخاصـة أن ابن جنى يذكر أن بعض التمـيميـين فى بعض الألفاظ كانوا يتـركون

---

(١) المحتسب ١/ ٨٥ وشرح المفصل ٦/ ٢٧.
(٢) الإتقان ٢/ ٢٧٧.
(٣) البحر المحيط ١/ ٢٢٩.
(٤) المزهر ٢/ ٢٧٥.
(٥) شرح الأشمونى ٤/ ٢٧.
(٦) اللسان: عشر.

لهجتهم إلى لهجة الحجازيين وأن هؤلاء يفعلون ذلك أحيانًا[1] وبذلك تسقط دعوى ابن جنى أن قراءة ﴿بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] بالإسكان غير واردة فى العربية حتى خطأ بها القراء يقول «ألا ترى إلى قراءة أبى عمرو ﴿مَا لَكَ لا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ١١] مختلسا لا محققًا وكذلك قوله عز وجل ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ [القيامة: ٤٠] مخفى لا مستوفى وكذا قوله عز وجل ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] مختلسًا غير مُمكَّن كَسْرِ الهمزة حتى دعا ذلك من لطف عليه تحصيل اللفظ إلى أن ادعى أن أبا عمرو كان يسكن الهمزة والذى رواه صاحب الكتاب اختلاس هذه الحركة لا حذفها ألبتة وهو أضبط لهذا الأمر من غيره من القراء الذين رووه ساكنًا ولم يؤت القوم فى ذلك من ضعف أمانة لكن أتوامن ضعف دراية[2]، والواقع أن ابن جنى سها فى توجيهه لهذه القراءة، فتسكين المرفوع فى نحو ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩] لغة لتميم وأسد باعترافه كما ذكرنا فلا وجه للإنكار من جهة الرواية كما يقول أستاذنا الشيخ النجار[3] ولعل هذا الطعن ناشئ عن سوء الظن الذى عرف بين النحاة والقراء[4] فى هذه الآونة من التاريخ بحيث كان القراء لا يعتدون بكلام النحاة على حين تظهر ردود فعل لذلك فى إنكارهم لبعض القراءات.

الضميران: هو وهى

هو للواحد المذكر، وهى للواحدة المؤنثة.

والأصل أن تضم هاء هو، وتكسر هاء هى: وأن تكون الواو والياء مفتوحتين وهى اللغة الشائعة عند العرب، كقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢] وقوله: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٢٩].

---

(١) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١٢٠، ومما أورده ابن جنى من ذلك تحويل الحجازيين كسر الشين فى عشرة المفردة إلى سكونها عند التركيب فقالوا إحدى عشرة إلى تسع عشرة على حين عكسها التميميون فكسروا الشين حال التركيب مع أنهم يسكنون فى الإفراد وهم يعكسون فى نظائره من فخذ ونحوه، المحتسب ١/ ٨٥.

(٢) الخصائص ١/ ٧٢، ٧٣.

(٣) التعليق ١/ ٧٣.

(٤) البحر ٤/ ٢٧٢، ٣٦٢.

وقد تسكن الواو والياء، عند بعض القبائل كأسد وتميم[1] وقيس قال الشاعر:

أدعـــوته بـالله ثـم قـــتلتـــه لو هو دعـــاك بذمـة لم يـغـدر[2]

وقال عبيد بن الأبرص:

وركـضك لولا هو لقيت الذى لقـوا فأصبحت قد جـاوزت قومـا أعاديا

وقال آخر:

إن سـلـمـى هـى الـتـى لـو تـراءت حـــبـــذا هـى من خـلة لو تـراعى

وبعضهم وهم همدان يشددون الواو والياء، وهذا هو الأصل فيهما، إذ الأصل أن يكون كل منهما ثلاثى الأحرف مثل أنت فيقولون: هو وهى، قال شاعرهم:

وإن لسـانى شـهـدة يـشـتـفى بـهـا وهوّ عـلى من صـبـبـه الـله علـقم

وقال:

والنفـس مـا أمـرت بالعنـف آبيـة وهىّ مـا أمـرت بالـلطف مـأتمر

ويجوز تسكين الهاء فى هذين الضميرين إذا وقـعا بعد الفاء والواو واللام وثم، كما تسكن بعد همزة الاستفهام وكاف الجر اضطراراً وذلك عند قيس وأسد[3].

ومن أمثلة ذلك:

وكنا إذا مـا كـان يـوم كـريهـة فـقـد علمـوا أنـى وهو فـتـيـان[4]

وقرأ بعـضهم ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقـرة: ٧٤] بإسكان الهاء وبعضهم بكـسرها وذلك أن لغة للعرب فى (هو وهى ولام الأمـر) إذا كان قبلهن واو أو فاء أسكنوا أوائلهن ومنهم من يدعها[5].

---

(١) اللسان: ها.

(٢) لمتمم بن نويرة يخاطب ضرار بن الأزور الأسدى الذى أمره خـالد بن الوليد بقتل مالك بن نويرة بعد أن أخذ مال الزكاة وارتد وقبله قوله:

نـعم الـقـتـيـل إذا الـرياح تـناوحـت خلـف الـبـيـوت قـتلت يـا ابن الأزور

انظر المفضليات للضبى ط دار المعارف هامش ص ٢٦٤.

(٣) الأشمونى بحاشية الصبان ١/١١٣، ١١٤.

(٤) اللسان: ها.

(٥) معانى القرآن للأخفش ١/١٠٧.

وبعد همزة الاستفهام كقوله:

فقمت للطيف مرتاعا فأرقنى فقلت أهْى سرت أم عادتى حلم

أراد: أهِى سرت، فلما كانت (أهِى) كقولك (بهى) خفف على حد قولهم (به) فى (بهى) وفى عِلم (علْم) بسكون اللام.

وقد تحذف الواو والياء ـعند بعض العربـ كقول أبى خالد الأسدى:

(إذاه لم يؤذن له لم ينبس)

وقول الآخر:

(ديار سعدى إذه من هواكا)

السكون والحركة فى الصوامت الحلقية

١- قرئ: ﴿قَرْحٌ﴾ [آل عمران: ١٣٩][١] ـ﴿جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]ـ ﴿زَهْرَةَ﴾ [طه: ١٣١][٢]ـ ﴿يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦][٣]ـ ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤][٤]ـ ﴿الضَّأْنِ﴾ [الأنعام: ١٤٣][٥]ـ كل شىء فى القرآن محركا.

٢- قال الشجرى: محموم ـيعدوـ تغذوـ وقال غيره من بنى عقيل: اللحم ـ نحوه[٦]ـ بفتح حرف الحلق فى الأمثلة كلها.

اختلف القدامى فى فتح حرف الحلق الساكن، فيرى البصريون أنه لهجة عربية، فمذهبهم (فى كل شىء من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح، يعنى فى صيغة فَعْل من الأسماء أنه لا يحرك إلا على أنه لغة فيه كالزهرة والنهر ـبسكون الهاء وفتحهاـ والشعرـ بسكون العين وفتحهاـ فهذه لغات عندهم كالنشرـ بسكون الشين وفتحهاـ والحلبـ بسكون اللام وفتحها والطردـ بسكون الراء وفتحها[٧] وليس قياسًا عندهم[٨] لكن الكوفيين والبغداديين قد قاسوه.

(١) المحتسب ١/ ١٦٦.
(٢) المصدر السابق ١/ ٨٤.
(٣) المصدر السابق ٢/ ١٦٦.
(٤) المصدر السابق ٢/ ١٦٧.
(٥) المصدر السابق ١/ ٢٣٤.
(٦) المصدر السابق ١/ ٨٤.
(٧) المصدر السابق ١/ ٨٤ وانظر ٢/ ١٦٦.
(٨) الخصائص ٢/ ١٠.

فمذهب الكوفيين أنه يحرك الثانى لكونه حرفًا حلقيًا، فيجيزون فيه الفتح وإن لم يسمعوا كالبحر -بسكون الحاء وفتحها- والصخر- بسكون الخاء وفتحها[1].

وابن جنى كان فى أول أمره يوافق أصحابه البصريين، ففى الخصائص يذكر ما ينم عن موافقته لمدرسة البصرة كما يفهم من قوله: «وسمعت الشجرى أبا عبد الله غير دفعة يفتح الحرف الحلقى فى نحو: يعدو، وهو محموم، ولم أسمعها من غيره من عقيل، فقد كان يرد علينا من يؤنس به ولا يبعد عن الأخذ بلغته، ولا أظن الشجرى إلا استهواه كثرة ما جاء عنهم[2] من تحريك الحرف الحلقى بالفتح إذا انفتح ما قبله فى الاسم على مذهب البغداديين... لكن مثل يعدو وهو محموم لم يرو عنهم فيما علمت، فإياك أن تخلد إلى كل ما تسمعه»

وقد أيد رأى البصريين فى المنصف يقول: «فأما أصحابنا فلا فصل عندهم بينه وبين ما ثانيه حرف غير حلقى... فلا فصل بين نشز ونشر -بسكون الشين وفتحها- وشعر وشعر- بسكون العين وفتحها -فهذان لغتان كما أن هذين لغتان» ويدافع عن رأى البصريين فيقول: «إن حروف الحلق لا تحرك ساكنًا، ولا تسكن متحركًا، بل لعمرى إنه يراد فيها الإتباع وتجانس الصوت، فأما تسكين متحرك أو تحريك ساكن فلا يجب لها»[3].

ولكننا نلاحظ -أيضًا- مما ذكره فى المحتسب ما ينم عن موافقته للكوفيين والبغداديين بقياسية فتح حرف الحلق الساكن إذ يقول عن -رأى الكوفيين-: «وما أرى القول من بعد إلا معهم، والحق إلا فى أيديهم».

ويقول: «لا أبعد من بعد أن تكون الحاء لكونها حرفًا حلقيًا يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها فيما كان ساكنًا من حروف الحلق نحو قوله فى الصخر الصخر -بفتح

---

(١) المحتسب ١/ ٨٤ وانظر ٢/ ١٦٦.

(٢) أى ما جاء عن عقيل أو غيرهم من العرب من تحريك عين (فَعْل) فى الاسم مثل شعر وبحر ونهر ونشر ونحو ذلك أما ما جاء عن الشجرى هنا فليس من هذا النوع لأنه فى الفعل يعدو أو يغذو وفى اسم المفعول محموم وكان ابن جنى حتى تأليفه الخصائص لم يسمع فى ذلك فتح حرف الحلق كما سمع من الشجرى.

(٣) الخصائص ٢/ ١٠ والمنصف ٢/ ٣٠٥-٣٠٧.

الخاء- ولعمرى إن هذا عند أصحابنا ليس أمرًا راجعًا إلى حرف الحلق لكنها لغات، وأنا أرى فى هذا رأى البغداديين فى أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدًا معتمدًا، فلقد رأيت كثيرًا من عقيل لا أحصيهم يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبدًا لولا حرف الحلق، وهو قول بعضهم نحوه -بفتح الحاء- يريد نحوه- بسكونها- وهذا لا توقف فى أنه أمر راجع إلى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه ألبتة»[1].

وهو بهذا يخرج على مذهب البصريين الذين يعدون ذلك لغات لا يصح القياس عليها.

ولا تناقض بين هذين الموقفين من ابن جنى، فالثابت أنه ألف المحتسب فى آخر حياته، وذلك يعطينا أمرين:

١- أنه سمع كثيرًا من عقيل لا يحصيهم تفتح حرف الحلق الساكن وقبل ذلك لم يكن سمع مثله من غير الشجرى كما يتبين من نص كلامه.

٢- كان لاستقراره الذهنى[2] أثر كبير فى تعليل هذه الظاهرة وغيرها بحيث أدرك أن لحرف الحلق أثرا معتدا معتمدا فى تحويل سكونه فتحة كما هو نص كلامه -أيضًا- وقد أكد ابن جنى ذلك حين قال: وأنا أرى، وأن الحق مع البغداديين وفى أيديهم، وأنه أمر راجع إلى حرف الحلق لأن الكلمة بنيت عليه.

وبذلك يبعد أن يكون توثيق ابن جنى للقراءات الشاذة هو السبب فى هذين الموقفين المتعارضين على ما ذهب إليه الدكتور عبد الفتاح شلبى من أنه «استعان بالمذاهب الأخرى ووجد فيها مقنعا ومحتجا»[3].

ويؤيد علم اللغة الحديث هذه الظاهرة الصوتية فـ (حرف الحلق بعد صدوره من مخرجه يحتاج إلى اتساع مجراه فى الفم، ولذلك ناسبه من أصوات اللين أكثره

---

(١) المحتسب ١/ ١٦٧.

(٢) أبو على الفارسى د. شلبى ص ٣٧٢.

(٣) المصدر السابق ص ٣٧١.

اتساعًا وهو الفتحة[1] وذلك أيضًا موجود فى أخوات العربية كالعبرية نحو baal (بعل) ـ naal (نعل) وكذلك الصامت الذى قبله، فالفعلان الماضيان Shamar، (سمع) patah (فتح) كان ينبغى أن يكون مضارعاهما على قياس الثلاثى الصحيح YashmoA (بضم الميم)، Yeptoh (بضم التاء) لكن العين فيهما تفتح لصوت الحلق الواقع لاما بعدها: Yeptah - YeshmaA.

وقد نسب ابن جنى هذه اللهجة ـوهى فتح حرف الحلق الساكن - إلى بنى عقيل، وبين أنه فاش فيهم فإلى جانب ما نقلناه من قبل عنه يقول أيضًا: سمعت عامة عقيل تقول ذاك ولا تقف فيه سائغًا غير مستكره، حتى لسمعت الشجرى يقول: أنا محموم ـبفتح الحاءـ وليس أحد يدعى أن فى الكلام مفعولا ـ بفتح الفاءـ وسمعته مرة أخرى يقول ـ وقد قال له الطيب: مُصّ التفاح، وارم بثفله ـ والله لقد كنت أبغى مصه وعليته تغذو ـ بفتح الغين ـ ولا أحد يدعى أن فى الكلام يفعل ـبفتح الفاءـ وسمعت جماعة منهم ـ وقد قيل لهم قد أقيمت لكم أنزال[2] من الخبز ـ قالوا: فاللحم ـبفتح الحاءـ يريدون اللحم ـ بسكونها ـ وسمعت بعضهم وهو يقول فى كلامه نحوه بفتح الحاء)[3].

ويعترف ابن جنى بكثرة ذلك عن بنى عقيل[4].

ومن ذلك يتضح أن فتح حرف الحلق الساكن من خصائص لهجة عقيل، وينسب أبو حيان تلك الظاهرة إلى بعض بنى بكر بن وائل[5] وتثبت كتب البلدان أن بنى عقيل كانوا يسكنون البحرين[6] وأن بنى بكر بن وائل كانوا يسكنون اليمامة إلى البحرين[7] ومن هذا نفهم (سر التشابه بين القبيلتين)[8].

---

(١) فى اللهجات العربية ص ١٣٥.

(٢) هو ما يهيأ للنزيل.

(٣) المحتسب ١/ ٨٤.

(٤) الخصائص ٢/ ٩.

(٥) البحر ٣/ ٢٤٧.

(٦) نهاية الأرب ص ٣٦٥، ٣٦٦.

(٧) صفة جزيرة العرب ص ١٦٩ ونهاية الأرب ص ١٧٨.

(٨) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص ١١٣.

ما ليس له مصطلح لهجى أو لغوى من اختلاف الحركات:

أ- الفتح والضم

فى أحيان كثيرة ينسب الضم لتميم والفتح للحجاز وقد يأتى العكس فى النسبة وربما يأتى فى بعض مصادر اللغة غير منسوب ومما جاء من الأمثلة بنسبة الفتح للحجاز والضم للقبائل البدوية كتميم وأسد (قرح) فى قوله تعالى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. نسب الفتح فى (قرح) للحجاز والضم لتميم[١]. و(زعم) فى قوله تعالى:

﴿هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٣٦][٢] نسب الفتح للحجاز والضم لأسد[٣].

وقال أبو حيان: الفتح فى المصدر والضم فى الاسم[٤]. و(ينعه) فى قوله سبحانه: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ [الأنعام: ٩٩].

نسب الفتح لكنانة والضم لتميم[٥].

وقد نسب عكس ذلك لهذه القبائل فنسب الضم للحجاز والفتح للقبائل البدوية كتميم ومن أمثلة ذلك:

(ضعف) فى قوله جل ثناؤه: ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦][٦] جاءت بالفتح المنسوب لتميم والضم المنسوب للحجاز.

و(كسالى) فى قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢].

عزى الفتح لتميم والضم للحجاز[٧].

---

(١) اللغات فى القرآن على هامش الجلالين ص٦١، والمصباح المنير ١/ ٤٩٦ (قرح).
(٢) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ٥٥، ٥٦، التهذيب ٢/ ١٥٨..
(٣) المصباح ١/ ٣٨٠.
(٤) البحر المحيط ٥/ ١١٥.
(٥) اللغات فى القرآن ص٢٦.
(٦) البحر المحيط ٤/ ٥١٨.
(٧) البحر المحيط ٣/ ٣٣.

و(حوب) فى قوله عز وجل: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٤]. بضم الحاء للحجاز وفتحها لتميم[١].

ونسب ابن الأثير الفتح فى (حوب) لأهل الحجاز والضم لتميم فى (اغفر لنا حوبنا) أى إثمنا قال: تفتح الحاء وتضم والفتح لغة أهل الحجاز والضم لغة تميم[٢].

وفى الحديث: **(ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا)** عقر الدار بالضم لغة أهل نجد وبالفتح لغة أهل الحجاز وهو أصلها.

ويأتى الفتح والضم غير منسوبين وبلا ترجيح فى مثل:

(بهلة) فى الحديث **«من ولى من أمور الناس شيئًا فلم يعطهم كتاب الله فعليه بَهْلَةٌ من الله»** أى لعنة الله وتضم باؤها وتفتح والمباهلة الملاعنة وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولون: لعنة الله على الظالم منا[٣].

و(دجر) فى حديث عمر: **(اشتر لنا بالنوى دَجَرًا)** الدجر: بالفتح والضم: اللوبياء[٤].

و(مملكة) فى حديث الأشعث أنه **(خاصم أهل نجران إلى عمر فى رقابهم فقالوا: إنما كنا عبيد مملكة ولم نكن عبيد قِنّ)** المملكة بضم اللام وفتحها أن يغلب عليهم فيستعبدهم وهم فى الأصل أحرار والقِنّ أن يملك هو وأبواه[٥].

و(الدلجة) كما فى الحديث: **(عليكم بالدُّلجة)** بضم الدال وفتحها من أدلج بالتخفيف إذا سار من أول الليل وادّلج بالتشديد إذا سار من آخر الليل والاسم الدلجة.

و(مشربة) كما فى الحديث: **«أنه كان فى مشربة له»** فالمشربة بضم الراء وفتحها: الغرفة[٦].

---

(١) البحر ٣/ ٦١ والإتحاف ١٨٦ والمصباح: حوب.

(٢) النهاية ١/ ٤٥٥ حوب، ٥/ ٣٧٠ والصحاح ١/ ١١٦ (حوب) والقاموس ١/ ٦٠ حوب واللسان ١/ ٣٢٦ حوب.

(٣) النهاية ١/ ١٦٢ بهل واللسان ١٣/ ٧٤ بهل.

(٤) النهاية ١/ ٤٥١ حنطب والتهذيب ٥/ ٣٣١ والقاموس ١/ ٥٨ واللسان ١/ ٣٢٦.

(٥) النهاية ٤/ ٣٥٨ ملك والتهذيب ١٠/ ٢٦٩، ٢٧٠ والقاموس ٣/ ٣٣١ واللسان ١٢/ ٣٨١.

(٦) النهاية ٢/ ٤٥٥ شرب والقاموس ١/ ٨٩ واللسان ١/ ٤٦٩.

و(شـرب) فى قوله تعـالى ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٥][1] قرأ أبو عمرو (شرب) بفتح الشين وهو تميمى ويقول ابن الأثير والفتح أقل اللغتين.

وفى بعض الأحيان نجد ترجيح حركة على أخرى بالصحة والكثرة والقلة وغيرها.

و(بطحان) كما فى حديث الصداق «**لو كنتم تعزفون من بطحان ما زدتم**» بُطحان اسم واد بالمدينة والبطحانيون ينسبون إليه وأكثـرهم يضمون الباء ولعله الأصح فيما نقله ابن الأثير[2].

و(**اللطف**) جاء فى حديث الإفك:

«**ولا أرى منه اللطف الذى كنت أعرفه**» أى الرفق والبر ويروى اللَّطف بفتح اللام والطاء لغة فيه[3].

و(أتـاوى) كمـا جـاء فى حديـث عثمان (**إنا رجلان أتاويان**) أى عربيان قال أبو عبـيدة: الحـديث يروى بالضم وكلام العـرب بالفتح يقال: سـيل أتى وأتاوى جاءك ولم يجئك مطره، ومنه قول المرأة التى هجت الأنصار:

أطعـــتم أتـاويّ مـن عنـدكـم فـــلا من مـــراد ومـن مـــذحج

وأرادت بالأتاوى النبى ﷺ[4].

و(أنفة) كمـا فى الحديث: «**لكل شىء أنفـة وأنفة الصـلاة التكبيـرة الأولى**» أنفة الشىء ابتداؤه هكذا روى بضم الهمزة وعن الهروى أن الفتح هو الصحيح[5].

- وقد يـوصف الفتـح بالقـلة مثل: (شفر) كما فى حـديث سعد بن الربيع: «**لا عذر لكم إن وصل رسول الله ﷺ وفيكم شُفْرٌ يطرف**».

الشفر بالضم وقد يفتح حرف جفن العين الذى ينبت عليه الشعر[6].

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٢١٠ والكشف عن وجوه القراءات وعللها لابن أبى طالب القيسى والنهاية ٢/ ٤٥٤ شرب.
(٢) النهاية ١/ ١٣٥ بطح والقاموس ١/ ٢٢٣ واللسان ٣/ ٢٣١.
(٣) النهاية ١/ ٤٥٥ حوب، ٥/ ٣٧٠ والصحاح ١/ ١١٦ واللسان ١/ ٣٢٦.
(٤) النهاية ١/ ٢١ (أتى) والصحاح ٦/ أتى والقاموس ٤/ ٢٩٩ (أتو) واللسان ١٨/ ١٥ أتى.
(٥) النهاية ١/ ٧٥ أنف والتهذيب ١٥/ ٤٨٢ أنف والصحاح ٤/ ١٣٢ والقاموس ٣/ ١٢٣ واللسان ١٠/ ٣٥٤.
(٦) النهاية ٢/ ٤٨٤ شعر والتهذيب ١١/ ٣٥٠ والقاموس ٢/ ٦٣ واللسان ٦/ ٧٦.

- وأحيانًا يوصف الضم بأنه قليل والفتح شائع مثل العوار فى حديث الزكاة «**ولا يؤخذ فى الصدقة هرمة ولا ذات عوار**» العوار بالفتح: العيب وقد يضم[1].

وفى صفته ﷺ (**كث اللحية**) الكثاثة فى اللحية أن تكون غير رقيقة ولا طويلة وفيها كثافة يقال للرجل كث اللحية بالفتح وقوم كث بالضم[2].

و(بسأ) بفتح السين وكسرها.

وفى الحديث: أن النبى ﷺ قال يوم بدر: «**لو كان أبو طالب حيًا لرأى سيوفنا وقد بسئت بالمياثل**» وبسِئت وبسأت بفتح السين وكسرها أى اعتادت واستأنست والمياثل والأماثل كأنه من المقلوب[3].

و(الحصاد) ورد فى الحديث: «**أنه نهى عن حصاد الليل**» الحصاد بالفتح والكسر: قطع الزرع وإنما نهى عن ذلك ليلاً من أجل المساكين أو لأجل الهوام أن تصيب الناس إذا حصدوا ليلاً»[4].

(ورسعت).

ففى حديث عمرو بن العاص: «**بكى حتى رسعت عينه**» أى تغيرت وفسدت والتصقت أجفانها وتفتح سينها وتكسر وتشدد أيضًا[5].

(الرطانة).

بكسر الراء ورواه الجوهرى مفتوحًا: كلام العجم أو كلام لا يفهمه الجمهور[6].

و(البضع) فى العدد بالكسر وقد يفتح ما بين الثلاث إلى التسع وقيل البضع واحد إلى عشرة[7].

---

(١) النهاية ٣/ ٣١٨ عور والتهذيب ٣/ ٧٧٠ (عار) والقاموس ٢/ ١٧٠ عور واللسان ٦/ ٢٩٠.

(٢) النهاية ٤/ ١٥٢ كث والقاموس ١/ ١٧٩ واللسان ٥/ ٣٢٧.

(٣) النهاية ١/ ١٢٦ بسأ والصحاح ١/ ٣٦ والقاموس ١/ ٨ واللسان ١/ ٢٧٩.

(٤) النهاية ١/ ٤٥٠ واللسان ٤/ ١٢٨ (حصد).

(٥) النهاية ٢/ ٢٢١ رسع والتهذيب ٢/ ٩٢ والقاموس ٣/ ٣٠ والصحاح ١/ ٨٠. والقاموس ٩/ ٨٢.

(٦) النهاية ٢/ ٢٣٣ رطن والتهذيب ١٣/ ٣١٨ والصحاح ٣/ ٤٨٩.

(٧) النهاية ١/ ١٣٣ بضع والتهذيب ٣/ ١١٨٦ والقاموس ٣/ ٥ واللسان ٩/ ٣٥٩.

و(السبـر): حسن الهيئـة، وفى الحديث: «يخرج رجـل من النار قد ذهب حِبْرُه وسِبْره» السَبْر حسن الهيئة والجمال وقد تفتح السين[1].

- و(الضعة): الذل والهوان والدناءة وقد وضُع ضعـةً فهو وضيع والهاء عوض من الواو المحذوفة وقد تكسر الضاد[2].

وكذلك: دحية.

وفى الحديث: «كان جبريل عليه السلام يأتيه فى صورة دحية الكلبى».

وهو دحيـة بن خليفة أحد الصـحابة كان جـميلاً حسن الصـورة ويروى بكسر الدال وفتـحهـا. الدحية رئيس الجند ومـقدمـهم وكأنه من دحاه يـدحوه إذا بسطه ومهده لأن الرئيس له البسط والتمهيد إلا أن الأصمعى أنكر فيه الكسر[3].

ب- الفتح والكسر

جاء منسوبًا وغير منسوب فى بعض مصادر اللغة.

ومن المنسوب ما عرف أن الفتح للحجاز والكسر لتميم وأضرابهم مثل:

- أهل الحجاز يقولون: برأت من المرض وسائر العرب: برئت[4].

- يسمى الفرد (الوتر) بالفتح عند أهل الحجاز وأهل نجد وتميم يكسرون الواو[5] وذكر ابن دريد أن الكسر للحجاز والفتح لغة نجدية[6].

وفى الحديث: «إن الله وتر يحب الوتر فأوتروا»[7].

و(نعجـة) فى قوله سبـحانه: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [ص: ٢٣]. نعجة جاءت بكسر النون عند تميم[8].

---

(١) النهاية ٢/ ٣٣٣ سبر والتهذيب ١٢/ ٤٠٩ والصحاح ١/ ٥٦٣.

(٢) النهاية ٤/ ٢٧ وضع والقاموس ٣/ ٥٩ واللسان ١٠/ ٢٧٦.

(٣) النهاية ٢/ ١٠٧ دحا والقاموس ٤/ ٣٢٩ والصحاح ١/ ٣٩٠ واللسان ١٨/ ٢٧٥.

(٤) اللسان ١/ ٢٢.

(٥) اللسان ٧/ ١٣٥، ١٣٦ والبحر ٨/ ٤٦٧ والإتحاف ٤٣٨.

(٦) الجمهرة ٢/ ١٤.

(٧) النهاية ٥/ ١٤٧ وتر والقاموس ٤/ ١٥٧ والبحر ٨/ ٤٦٧ والإتحاف ٤٣٨.

(٨) البحر ٧/ ٩٩٢.

والفرية بالفتح وبالكسر لغة يمانية ومن ثم اجتمعوا فى جمعها على الفُرَى فحملوها على لغة من يقول: كُسوة وكُسى.

ووردت أمثلة رجح فيها بعض العلماء الفتح على الكسر أو العكس من ذلك (رشدة) فى الحديث: **«من ادعى ولداً لغير رشدة فلا يرث ولا يورَّث»**.

يقال: هذا ولد رِشدة إذا كان لنكاح صحيح كما يقال فى ضده ولد زِنْية وابن رشدة وقد قيل: زَنية ورَشْدة والفتح أفصح اللغتين[1].

ومن غير المنسوب:

(مأكمة) كما فى الحديث: **«إذا صلى أحدكم فلا يجعل يديه على مأكمتيه»**.

هما لحمتان فى أصل الوركين وقيل بين العجز والمتنين وتفتح كافها وتكسر[2].

و(الإلب):

ففى الحديث **«إن الناس كانوا علينا إلبًا واحدًا»** الإلب بالفتح والكسر: القوم يجتمعون على عداوة إنسان وقد تألبوا عليه أى تجمعوا[3].

- البداوة: تفتح باؤه وتكسر أى الخروج إلى البادية[4].

- السحنة: بشرة الوجه وهيئته وحاله وهى مفتوحة السين وقد تكسر ويقال فيها: السحناء بالمد[5].

- وفى حديث علىّ: **(كلما أطل علكم منسرمن مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه)**.

---

(١) النهاية ٢/ ٢٢٥، رشد والتهذيب ١١/ ٣٢١ والصحاح ٣/ ٤٨٤ والقاموس ١/ ٣٠٥ واللسان ٤/ ١٥٦.

(٢) النهاية ٢/ ٥٩ أكم والقاموس ٤/ ٧٦ واللسان ١٤/ ٢٨٦.

(٣) النهاية ١/ ٥٩ ألب والصحاح ١/ ٨٨ والقاموس ١/ ٣٨ واللسان ١/ ٢٠٩.

(٤) النهاية ١/ ١٠٨، ١٠٩ بدا والتهذيب ١١/ ٢٠٣ والصحاح والقاموس ٤/ ٤٠٣ واللسان ١٨/ ٦٩.

(٥) النهاية ٢/ ٣١١.

المَنْسر وبكسر السين وبعكسهما: القطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكبير والميم زائدة والمنسر فى غير هذا للجوارح كالمنقر للطير[1].

- وفى صفته ﷺ: **(جليل المُشاش والكتد)**.

الكتد بفتح التاء وكسرها: مجتمع الكتفين وهو الكاهل[2].

- وقال كعب:

ترمى الغيوب بعينى مفرد لهن

بفتح الهاء وكسرها فى (لهن): الأبيض والمفرد: الثور الوحشى شبهها به[3].

- ومن ذلك مجنة فى قول الشاعر:

وهل أردن يومًا مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

مجنة: موضع بأسفل مكة على أميال وهى عند الحديبية وكان يقام للعرب بها سوق وبعضهم يكسر ميمها والفتح أكثر وهى زائدة[4].

- وفى الحديث:

(ملاك الدين الورع) الملاك بفتح الميم وكسرها: قوام الشىء ونظامه وما يعتمد عليه[5].

- وفى الحديث أيضًا:

«ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم جمعته سوى ثوبى مهنته». أى خدمته وبذلته والرواية بفتح الميم وقد تكسر[6].

---

(١) النهاية ٥/ ٤٧ نسر والتهذيب ١٢/ ٣٩٦، ٣٩٧، والقاموس ٤/ ١٤٦ واللسان ٧/ ٥٩.

(٢) النهاية ٤/ ١٤٩ كتد والتهذيب ١/ ١٠٦ والقاموس ١/ ٣٣٤ واللسان ٤/ ٣٨٠.

(٣) النهاية ٤/ ٢٨٢ لهق والتهذيب ٥/ ٤٠٥ والقاموس ٣/ ٢٩١ واللسان ١٢/ ٢٠٨.

(٤) النهاية ٤/ ٣٠١ (مجن) والقاموس ٤/ ٢١٣ جن واللسان ١٦/ ٢٤٤ جن.

(٥) النهاية ٤/ ٣٥٨ ملك والتهذيب ٧/ ٢٠٧ والقاموس ٣/ ٣٣١ واللسان ١٢/ ٣٨١.

(٦) النهاية ٤/ ٣٧٦ مهن والتهذيب ٦/ ٣٣٠ والقاموس ٤/ ٢٧٥ واللسان ١٧/ ٣١٣.

جـ- الضم والكسر

جاءت كلمات حركت بعض حروفها بالحركتين: الضمة والكسرة لاختلاف القبائل وغالبًا ما ينسب الضم للبدو والكسر للحضر وقد يرد عكس ذلك وقد يرجح أحدهما على الآخر ونسب ذلك فى بعض الأحيان ولم ينسب أحيانًا أخرى.

فمما نسبا فيه دون ترجيح:

- قرئ ﴿رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران: ١٤٦] بضم الراء وينسب المضموم للتميميين يقولون (رُبيون) بضم الراء تميمية والكسر أيضًا لغة[١].

- ﴿صِنْوَانٌ﴾ [الرعد: ٤]: بالضم لتميم وقيس وبالكسر لأهل الحجاز وقرأ عبد الرحمن السلمى (صنوان) بالضم وقراءة غيره (صنوان) بالكسر[٢].

- ﴿قِنْوَانٌ﴾ [الأنعام: ٩٩]: بالكسر للحجاز وبالضم لقيس[٣].

- و(قبل) كما فى قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً﴾ [الأنعام: ١١١]. قبل بضم القاف والباء لتميم والكسر لكنانة[٤].

- وروى السيوطى عن اليزيدى أن تميمًا تضم أوائل غدوة وعشوة وأسوة وقدوة[٥]، قرأ عاصم والأعمش ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢٠]. بضم الهمزة، وهى لغة قريش وتميم والباقون بكسرها لغة أهل الحجاز[٦].

- (رضوان) بضم الراء لغة قيس وتميم[٧] وذكر أن الضم لبنى تميم والكسر لأهل الحجاز[٨].

- و﴿شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ٣٥] بالكسر عند الكلابيين وبالضم عند غيرهم، يقول ابن سيده: (الكلابيون يقولون: شواظ من نار بالكسر وغيرهم يقول: شواظ بالضم)[٩].

---

(١) المحتسب ١/ ١٧٣.
(٢) البحر ٥/ ٣٥٧ والمحتسب ١/ ٣٥١.
(٣) المصباح ٢/ ٧٩٨.
(٤) اللغات فى القرآن ص ٢٦.
(٥) المزهر ٢/ ٢٧٧.
(٦) إبراز المعانى، الإتحاف ٣٥٤.
(٧) المصباح ١/ ٣٥٢.
(٨) إبراز المعانى ٢٦٧.
(٩) المخصص ١٥/ ٨٦ وإصلاح المنطق لابن السكيت نقلاً عنه ١٠٦.

وجاءت النسبة بعكس ما تقدم فى العدوة، فى قوله تعالى:

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾ [الأنفال: ٤٢].

قرأ أبو عمرو وابن كثير بكسر العين والباقون بضمها ونقل عن أبى عبيدة أن الضم أعرب اللغتين[١].

وفى الحديث: **«لو كانت لك إبل فهبطت واديا له عُدْوتان»**.

العِدوة بالضم والكسر: جانب الوادى[٢].

وأحيانًا يترجح الكسر على الضم أو العكس.

ومن ذلك: الكدنة: بكسر الكاف وقد تضم: غلظ الجسم وكثرة اللحم ويقال: «إنك لحسن الكدنة»[٣].

و(المرار) المشهور فيها ضم الميم وبعضهم يكسرها وهى عند الحديبية[٤].

ومما لم ينسبا فيه:

(تجار) ففى الحديث: **«التجاز يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق»** سماهم فجارًا لما فى البيع والشراء من الأيمان الكاذبة والغبن والتدليس وجمع التاجر تجار بالضم والتشديد وتجار بالكسر والتخفيف[٥].

و(الحبوة) ففى الحديث: **«الاحتباء حيطان العرب»** أى ليس فى البرارى حيطان فإذا أرادوا أن يستندوا احتبوا لأن الاحتباء يمنعهم من السقوط ويصير لهم ذلك كالجدار يقال: احتبى يحتبى احتباء والاسم: الحبوة بالكسر والضم[٦].

و(الحشوة) ففى حديث المبعث: **«ثم شقا بطنى وأخرجا حُشوتى»**.

---

(١) إرشاد المريد على إبراز المعانى من حرز الأمانى لأبى شامة ص ٣٣٤.

(٢) النهاية ٣/ ١٩٤ عدا والقاموس ٤/ ٣٦٢ واللسان ١٩/ ٢٥٧.

(٣) النهاية ٤/ ١٥٦ (كدن) والتهذيب ١/ ١٢١ والقاموس ٤/ ٤٦٤ واللسان ١٧/ ٢٣٥.

(٤) النهاية ٤/ ٣١٨ (مرر) والقاموس ٢/ ١٣٧ واللسان ٧/ ١٠.

(٥) النهاية ١/ ١٨١ تجر والصحاح ٢/ ٦٠٠ والقاموس ٢/ ٣٤٣ واللسان ١٢/ ١٥٦.

(٦) النهاية ١/ ٣٣٥، ٣٣٦ حبا والقاموس (مثلثة) ٤/ ٣١٦ واللسان ١٨/ ١٧٢.

الحشوة بالضم والكسر: الأمعاء[1].

و(الخيلاء) ففى الحديث: «من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة».

الخيلاء: بالضم والكسر: الكبر والعجب يقال: اختال فهو مختال وفيه خيلاء ومخيلة: كبر[2].

و(سوار) بكسر السين وضمها[3].

- (الرشوة) بكسر الراء وضمها[4].

- (الحظوة) بكسر الحاء وضمها[5].

- و(شجنة) فى الحديث (الرحم شجنة من الرحمن) أى قرابة مشتبكة العروق مشتملة بذلك مجازًا واتساعًا وأصل الشجنة بالكسر والضم شعبة من غصن من غصون الشجرة[6].

- الطبى بضم الطاء وكسرها يقال للأخلاف من الخيل والسباع والجمع أطباء كما يقال فى ذوات الخف والظلف الضروع وقيل: يقال لموضع الأخلاف خِلْف وضرع[7].

- و(الضبنة) فى الحديث: (اللهم إنى أعوذ بك من الضبنة فى السفر).

الضبنة: ما تحت يدك من مال وعيال ومن تلزمك نفقته سموا ضبنة لأنهم فى ضبن من يعولهم والضبن ما بين الكشح والإبط تعوذ بالله من كثرة العيال فى مظنة الحاجة والسفر، وقيل تعوذ من صحبة من لا غناء فيه ولا كفاية من الرفاق إنما هو كَلٌّ وعيال على من يرافقه[8].

---

(١) النهاية ١/ ٣٩٢ حشا والتهذيب ٥/ ١٣٨ والصحاح ٦/ ٣١٣ والقاموس ٤/ ٣١٩ واللسان ١٨/ ١٩٤.
(٢) النهاية ٢/ ٩٣ خيل والتهذيب ٧/ ٥٦٤ والصحاح ١/ ٣٨٢ والقاموس ٣/ ٣٨٣ واللسان ١٣/ ٢٤٠.
(٣) النهاية ٢/ ٤٢٠ سور والتهذيب ١٣/ ٥١ والقاموس ٢/ ٥٥ واللسان ٦/ ٥١.
(٤) النهاية ٢/ ٢٢٦ رشا والتهذيب ١١/ ٤٠٦ والقاموس ٤/ ٣٣٦ واللسان ١٩/ ٣٧.
(٥) النهاية ١/ ٤٠٥ حظو والتهذيب ٥/ ٢٠٥ والصحاح ٦/ ٣١٥ والقاموس ٤/ ١١٩ واللسان ٥/ ٧٨.
(٦) النهاية ٢/ ٤٤٧ شجن والتهذيب ١/ ٥٣٨ والقاموس ٤/ ٢٤٠ والصحاح ١/ ٦٥٠ واللسان ١٧/ ٩٧.
(٧) النهاية ٣/ ١١٥ طبل والقاموس ٤/ ٣٥٨ واللسان ١٩/ ٢٢٦.
(٨) النهاية ٣/ ٧٣ ضبن والقاموس ٤/ ٢٢٤ واللسان ١٧/ ١٢٠.

- وفى حديث صلاة الخوف (وطائفة وجاء) أى مقابلهم وحذاءهم وتكسر الواو وتضم[1].

- القرطم: حب العصفر، الفسطاط: المدينة التى فيها مجتمع الناس روى كل منهما بكسر الفاء وضمها[2].

د- بين الحركات الثلاث: الفتح والضم والكسر

- من ذلك: (غلظة).

قال تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣] قرأها الأعمش والمفضل بن عاصم بالفتح وقرأها السلمى وابن أبى عيلة بضمها وتكسر فالفتح للحجازيين والكسر لهجة بنى أسد وقيس والضم لهجة بنى تميم[3].

- (زعم) بكسر الزاى وفتحها وضمها: نسب أبو حيان الكسر لتميم وبعض قيس والضم لبنى أسد والفتح للحجاز[4] وذكر ذلك الفيومى[5] وفى بعض المصادر اكتفى بنسبة الضم والفتح[6].

- (غواث): هو كالغياث بالكسر من الإغاثة روى بالضم والكسر ويقول ابن الأثير: والفتح فيها شاذ[7] وربما جاء الشذوذ لأن ما دل على صوت يكون على وزن فعال كنباح إلخ.

- (قينقاع): بطن من بطون يهود وردت بضم النون وقد تكسر وتفتح[8].

---

(١) النهاية ٥/ ١٥٩ وجأ والتهذيب ٦/ ٣٥١ والقاموس ٤/ ٢٩٦ واللسان ١/ ١٨٥.

(٢) التهذيب ٩/ ٤٠٩ و١٢/ ٣٤٠ والقاموس ٢/ ٣٩١، ٤/ ١٦٥.

(٣) البحر المحيط ٥/ ١١٥، ٤/ ٢٢٧ ومختصر شواذ القرآن ص ٥٥، ٥٦.

(٤) البحر ٤/ ٢٢٧.

(٥) المصباح ٢٥٣ زعم.

(٦) الإتحاف ٢١٧ واللسان: زعم ١٥.

(٧) النهاية ٣/ ٣٩٢ غوث والتهذيب ٨/ ١١٧ والقاموس ١/ ١٧٧ واللسان ٢/ ٤٧٩.

(٨) النهاية ٤/ ١٣٦ قنع والقاموس ٣/ ٧٩.

- (حلاوة): وفى حـديث المبعث: (فسلقنى لحـلاوة القفا) أى أضـجعنى على وسط القفا، لم يمل به إلى أحد الجانبين وتضم حاؤه وتفتح وتكسر[١].

- (المطرف) بكسر الميم وفتحها وضمـها: الثوب الذى فى طرفيه كمكمان والميم زائدة[٢].

- (العرام): الشدة والقوة والشراسة وقد عرم بالضم والفتح والكسر[٣].

- (المهل والمهلة): وفى حديث أبى بكر: **ادفنونى فى ثوبىّ هذين فإنما هما للمُهل والتراب** ويروى للمهلة بضم الميم وكسـرها وفتحها وهى ثلاثتهـا: القيح والصديد الذى يذوب فيسيل من الجسد ومنه قيل للنحاس الذائب: مُهل[٤].

ومن هذا يفهم أن الضم لهجة للقبائل البدوية أما الفتح والكسر فهو لهجة أيضًا ولكن للحضـريين من أهل الحجاز وهذا تخريج تسـوغه القوانين الصوتيـة الحديثة (فالفتحة تلائم البيئة الحضرية لما فيها من خفة على حين تناسب الضمة أهل البادية لثقلها)[٥] وكذلك حيث تكون الضمة والكسرة تنسب الأولى إلى البدو والثانية إلى الحضر[٦].

وإن كنا نرى أن ذلك ليس مطردًا فقد يأتى عكس ما قيل فى النسبة - كما رأينا - وهذا يؤكد التأثر والتأثير بين البيئات اللغوية بدوها وحضرها.

****

(١) النهاية ١/ ٤٣٦ والتهذيب ٥/ ٣٣٦ والصحاح والقاموس ٤/ ٣٢١ واللسان ٨/ ٢٠٨.
(٢) النهاية ٣/ ١٢١ طرف والقاموس ٣/ ١٧٢.
(٣) النهاية ٣/ ٢٢٣ عرم والقاموس ٤/ ١٥٠ واللسان ١٥/ ٢٨٨.
(٤) النهاية ٣/ ٣٧٥ مهل والقاموس ٤/ ٥٤ واللسان ١٤/ ١٥٥.
(٥) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٢٥٩.
(٦) السابق.